



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية أصول الدين - بالرياض
قسم القرآن وعلومه

الخطيب الشيرازي في تفسيره النفسانية

رسالة مقدمة لنيك درجة الماجستير

أعدّها
فقيه بن سائر بن زهد الشيرازي

إشراف
فضيلة الدكتور / فريد بن هادي بن سليم
الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة
لمكتبة الأقصى

قطر - الدوحة - ص.ب : ٧٦٥٢ فاكس : ٤٤٨٢٩٢
فرع المطار : سوق خالد بجوار دوار البحرية ت : ٤٣٧٤٠٩
فرع النصر : شارع المرقاب ت : ٤٤٨٣٣٩ / ٤٤٨٢٩٢

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ = ١٩٩١ م

□ المقدمة □

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي
له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه ، وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

إن الاهتمام بما يتعلق بكتاب الله من علم ، هو أمر على رأس العلوم
جميعاً ، وعلم التفسير ، أعلاها شأنًا وأقواها برهاناً ، وأوثقها بنياناً ، فإنه
مأخذها وأساسها ، لأن موضوعه الكتاب المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ، لهذا اهتم العلماء بتفسيره ، وتجليه معانيه ، وأخذ
الأحكام والآداب والأخلاق منه .

ومن خصائص كتاب الله الكريم ، أنه لا يشيع منه القراء والدارسون ،
ولا يخلق من كثرة الرد ، فقد كثرت الدراسات حوله على مر العصور ،
فمن العلماء من تناول أسباب نزوله ، ومنهم من بحث ناسخه ومنسوخه ،
ومنهم من درس إعرابه ، ومنهم من تناول أحكامه ، ومنهم من تناول
تفسيره .

ومنذ أن توجهت إلى دراسة تفسير القرآن الكريم وعلومه ، ومن الله
علّي بذلك ، وتعرفت في هذا الميدان المبارك على كثير من مؤلفات أعلام
المفسرين الذين مدوا المكتبة القرآنية بروافد من علومهم ، وأثروها بمؤلفاتهم ،
ومن هؤلاء العلماء الخطيب الشربيني ، فقد وجدت فيه وفي تفسيره السراج
المنير بغيتي فاعتمدت على الله ، ثم اخترت (الخطيب الشربيني ومنهجه في

التفسير) موضوعاً للبحث الذى أتقدم به لنيل درجة الماجستير من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

ومن أسباب اختيارى لهذا الموضوع بعد تقدير الله سبحانه وتعالى ما

يلى :-

- ١- إظهار واحد من المفسرين ، الذى اشتهر فقيهاً ، ولم يشتهر مفسراً ، فأحببت أن أبرزه مفسراً .
- ٢- إبراز قيمة تفسيره العلمية ، والاستفادة منها .
- ٣- كون هذا الموضوع لم يطرق من قبل - فيما أعلم - وقد ذكر لى ، أنه قدمت دراسة عن منهج الخطيب الشربيني فى التفسير فى جامعة الأزهر ، وفى رحلتى إلى القاهرة عام ١٤٠٦ هـ لجمع المادة العلمية عن الخطيب الشربيني والاطلاع على ما قيل فى بحث منهجه فى التفسير ، فتوجهت إلى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، وبحثت عن هذا الموضوع ، وسألت المسؤولين ، فوجدت أنه قد سجلت فيه رسالة « دكتوراة » لباحث من الأردن اسمه محمد كامل حسين الشيخ ، ولكنه لم يتمكن من إتمام البحث لظروف الله أعلم بها ، وتم فصله وإلغاء الموضوع فى شهر مارس من عام ١٩٧٤ م ، لاستنفاذه المدة النظامية ، وقد رأيت ذلك وتحققت من واقع سجلات إدارة الدراسات العليا بالكلية .

.. وبعد فإن هذا البحث قد قام على بايين وخاتمة ..

أما الباب الأول فكان دراسة عن عصر الخطيب الشربيني ، وأما الباب الثانى فكان دراسة لمنهجه فى التفسير ، وأما الخاتمة فبينت فيها قيمة تفسيره

العلمية ، وأهم ما توصلت إليه من نتائج .

□ فالباب الأول : (عصر المفسر وحياته)

فقد جاء في ثلاثة فصول :

○ الفصل الأول : عصره : وجاء في مبحثين :

- المبحث الأول : الحالة السياسية والاجتماعية .
- المبحث الثاني : الحالة الدينية والعلمية .

○ الفصل الثاني : حياته الشخصية : وجاء في أربعة مباحث :

- المبحث الأول : اسمه ونسبه ولقبه .
- المبحث الثاني : مولده ونشأته .
- المبحث الثالث : وفاته .
- المبحث الرابع : أخلاقه وصفاته .

○ الفصل الثالث : مكانته العلمية والاجتماعية :

بحث فيه طلبه للعلم ، وترجمت لشيوعه ، وأبرز علماء عصره ، وتلاميذه ، وتتبع مصنفاًته ، فوجدتها في الفقه ، والتفسير ، والعقيدة ، واللغة ، ثم بينت مذهبه الفقهي والعقدي ، وقد جاء هذا الفصل في خمسة مباحث :

- المبحث الأول : طلبه للعلم .
- المبحث الثاني : شيوعه وتلاميذه .
- المبحث الثالث : ثقافته وآثاره العلمية .
- المبحث الرابع : مذهبه .
- المبحث الخامس : الأعمال التي تولاها .

□ أما الباب الثاني : (منهجه في التفسير)

فقد جاء في ثمانية فصول :

○ الفصل الأول : « مصادره » .

بينت فيه الأصول التي اعتمد عليها والموارد التي أخذ منها ، وهي التفسير بالرأى والتفسير بالمأثور ، وكتب السنة والقراءات ، والتاريخ والسير ، واللغة . وجاء هذا الفصل في خمسة مباحث :

- المبحث الأول : مصادره في التفسير .
- المبحث الثاني : مصادره في القراءات .
- المبحث الثالث : مصادره في الحديث .
- المبحث الرابع : مصادره في اللغة .
- المبحث الخامس : مصادره في التاريخ والسير .

○ الفصل الثاني : طريقته في تفسير الآيات :

بينت فيه طريقته في تفسيره الذي جاء مشتملاً على تفسير الآيات بنظائرها من الآيات الأخرى ، وتفسيره بالسنة ، وجمعه بين التفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين ، والتفسير بالرأى ، كما بينت عنايته بالقراءات السبع ، واهتمامه باللغة والنحو .

وقد جاء هذا الفصل في خمسة مباحث :

- المبحث الأول : تفسير الآيات بنظائرها من الآيات الأخرى .
- المبحث الثاني : تفسير القرآن بالسنة .
- المبحث الثالث : جمعه بين التفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين والتفسير بالرأى .

● المبحث الرابع : القراءات .

● المبحث الخامس : عنايته باللغة .

○ الفصل الثالث : اهتمامه بالأحكام الفقهية :

بينت فيه أنه لم يتوسع كثيراً في هذا الباب ، وأنه كثيراً ما يرجح

مذهب الإمام الشافعي .

○ الفصل الرابع : آراؤه في بعض مسائل العقيدة :

تحدثت فيه عن موقف الخطيب من تفسير آيات الصفات ، وكذلك القضاء والقدر ، وبينت موقفه من السحر وكرامات الأولياء ، وجاء في ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : موقفه من تفسير آيات الصفات .
- المبحث الثاني : القضاء والقدر .
- المبحث الثالث : السحر وكرامات الأولياء .

○ الفصل الخامس : اهتمامه بعلوم القرآن :

تحدثت فيه عن أهم المباحث في علوم القرآن ، والتي له منهج واضح فيها ، فتحدثت عن الحروف المقطعة في آوائل السور ، وكذلك أسباب النزول ، والأحرف السبعة والمكي والمدني ، والنسخ وإعجاز القرآن وغيرها . وقد جاء هذا الفصل في ستة مباحث :

- المبحث الأول : الحروف المقطعة في آوائل السور .
- المبحث الثاني : أسباب النزول .
- المبحث الثالث : الأحرف السبعة والمكي والمدني .
- المبحث الرابع : النسخ في القرآن .
- المبحث الخامس : إعجاز القرآن .
- المبحث السادس : موقفه من التكرار في القرآن ، وما قيل أن فيه من غير لغة العرب .

○ الفصل السادس : موقفه من الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة والموضوعة .

تكلمت عن إكثاره من الأخبار الإسرائيلية ، وبينت موقفه من

الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

وقد جاء في مبحثين .

● المبحث الأول : موقفه من الإسرائيليات .

● المبحث الثاني : موقفه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

○ الفصل السابع : عنايته بالتناسب بين الآيات ، والنكت التفسيرية ، والمشكلات القرآنية .

○ الفصل الثامن : موقفه من بعض المفسرين الذين سبقوه من حيث رد أقوالهم .

بينت في هذا الفصل بعض الأمثلة من رد الخطيب لبعض الآراء التي لم يرتضيها مما يدل على شخصيته في تفسيره .

□ الخاتمة :

ذكرت فيها القيمة العلمية لتفسير الخطيب الشربيني ، وأهم ما توصلت إليه من نتائج واقتراحات .

وقد قمت بتخريج الآيات والأحاديث التي وردت في البحث كما حكمت على بعض الأحاديث التي لم ترد في الصحيحين أو في أحدهما ، وترجمت لبعض الأعلام الذين رأيت أن القارئ قد يكون بحاجة إلى معرفتهم ، ولم أترجم لمشاهير الصحابة والتابعين ، والأئمة المشهورين نظراً لشهرتهم ومعرفتهم .

وأرى أنه من الواجب عليّ ، أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، على ما تقوم به من عناية ورعاية للعلوم الإسلامية ، وتشجيع البحوث في ذلك .

كما أشكر كلية أصول الدين التي شرفنتني بالانتساب إليها ، طالباً في

المرحلة الجامعية ، وطالباً في الدراسات العليا .

وأتقدم بعظيم الامتنان ، ووافر العرفان إلى فضيلة أستاذي الدكتور / فريد مصطفى سلمان ، على قبوله الإشراف على هذا العمل ، وعلى حسن رعايته ، ومتابعته لهذا البحث ، وأشكره أيضاً على ما قدمه لي من نصح وتوجيه وإرشاد ، فجزاه الله خير الجزاء ، ونفع الله بعلمه .

وبعد فهذا بحثي المتواضع قد بذلت فيه ما استطعت ، وأرجو الله أن أكون قد وفقت في ذلك ، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه .

تقيل بن ساير بن زيد الشمري

□ « الباب الأول » □

عصر المفسر وحياته

○ الفصل الأول : عصره :

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : الحالة السياسية والاجتماعية .
- المبحث الثاني : الحالة الدينية والعلمية .

○ الفصل الثاني : حياته الشخصية :

- المبحث الأول : اسمه ونسبه ولقبه .
- المبحث الثاني : مولده ونشأته .
- المبحث الثالث : وفاته .
- المبحث الرابع : أخلاقه وصفاته .

○ الفصل الثالث : مكانته العلمية والاجتماعية :

- المبحث الأول : طلبه للعلم .
- المبحث الثاني : شيوخه وتلاميذه .
- المبحث الثالث : ثقافته وآثاره العلمية .
- المبحث الرابع : مذهبه .
- المبحث الخامس : الأعمال التي تولاها .

○ الفصل الأول ○

عصره

● المبحث الأول : الحالة السياسية والاجتماعية

عاش الخطيب رحمه الله في أواخر دولة المماليك ، وأوائل الدولة العثمانية ، وبما أنه عاصر هاتين الدولتين ، فسأتحدث عن أوضاعهما السياسية والاجتماعية والعلمية بإيجاز تمهيداً لدراسة منهج الخطيب .

دولة المماليك :

قامت دولة المماليك في مصر ، وتنقسم إلى الدولة المملوكية الأولى ، والدولة المملوكية الثانية ، فالدولة الأولى قامت سنة ٦٤٨ هـ ، والتي تعرف أيضاً بالبحرية ، وسبب تسميتهم بذلك ، أن نجم الدين أيوب^(١) آخر الأيوبيين في مصر ، أسكن المماليك في قلعة الروضة ، وأمرهم بالتدرب على الأعمال البحرية ، ثم بعد أن مات نجم الدين ، جاء ابنه من الموصل واستلم الحكم وأبعد المماليك ، وأساء إلى شجرة الدر^(٢) زوجة أبيه التي أرسلت إليه وسلمته الحكم ، فما كان منها إلا أن دبرت أمر قتله ، ومنذ ذلك الحين تولى المماليك الحكم ، وقامت دولتهم الأولى المعروفة بالبحرية .

(١) هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد الأيوبي ، أحد الأيوبيين الذين

حكموا في مصر ، مات سنة ٦٤٧ هـ بالمنصورة ، انظر سمط النجوم العوالي ،

للعصامي المكي ٤ / ١٤ - المطبعة السلفية . وانظر شذرات الذهب ٥ / ٢٣٧ .

(٢) هي أم خليل شجرة الدر بنت عبد الله التركية ، كانت من حظايا الملك الصالح نجم

الدين أيوب ، وقد خطب باسمها ورسمت على المناشير مدة ثلاثة أشهر ، قتلها المماليك

سنة ٦٥٥ هـ . انظر البداية والنهاية ١٣ / ١٩٩ ، وانظر شذرات الذهب ٥ / ٢٦٨ .

وأما الدولة المملوكية الثانية ، وهى التى سأتكلم عن أوضاعها السياسية والعلمية فى مطلع القرن العاشر ، فقد قامت سنة ٧٨٤ هـ ، وسبب قيامها : أن الصالح حاجى بن الأشرف شعبان^(١) ، ببيع له وعمره لا يتجاوز ست سنوات ، فثارت فى أول حكمه بعض القبائل ، فنهبوا البلاد ، فجرد عليهم القائد برقوق^(٢) قوة تقدر بخمسمائة مملوك ، فحاربوهم حتى شتت شملهم ، وغنموا منهم غنائم كثيرة ، ولما علم القائد برقوق بمؤامرة بعض المماليك على قتله ، عزم على إظهار مقصده ، فجمع الخليفة والقضاة وأخبرهم بالحالة التى وصلت إليها البلاد ، من اختلال فى الأمن ورحيل كثير من السكان خارج القاهرة طلباً للأمان ، وأنه إذا لم يتسلم البلاد سلطان قوى فسوف تسوء الحالة الأمنية أكثر مما هى عليه ويعم الاضطراب وتزداد سطوة القبائل الثائرة وغيرهم ، فقرر الحضور خلع الملك الصالح ومبايعة القائد برقوق^(٣) .

وبذلك كانت بداية دولة المماليك الثانية ، والتى تعرف أيضاً بالبرجية نسبة إلى أبراج القلعة التى سكنوها فى عهد السلطان قلاوون^(٤) .

(١) هو الصالح حاجى بن الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون ، حكم وهو صغير مدة عام وأشهر ، ثم عزل لصغر سنه وسوء الأحوال فى عهده ، وتوفى سنة ٨١٤ هـ . انظر الأعلام للزركلى ٢ / ١٥٣ .

(٢) هو الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد بن أنص العثماني ، لقب ببرقوق لجحوظ عينيه ، وأصله من المماليك الأتراك فى دولة بنى أيوب توفى سنة ٨٠١ هـ ، انظر سمط النجوم العوالى ٤ / ٣٢٥ . وانظر شذرات الذهب ٧ / ٦ .

(٣) راجع العالم الإسلامى لرضا كحالة ٢ / ١١٧ ، ط الثالثة ١٤٠٤ هـ ، الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق - وقيام دولة المماليك الثانية ص ١١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ١٩٩ ط الثانية .

(٤) هو السلطان سيف الدين الملك المنصور قلاوون الألفى ، أصله من مماليك الملك الصالح أيوب ، طرد الصليبيين من طرابلس وبيروت وصيدا ، توفى سنة ٦٨٩ هـ ، انظر =

ثم تتابع سلاطين المماليك في الولاية ، وكانت الحروب والفتن بينهم مستمرة على السلطة ، وكان الأمراء كثيراً ما يفرضون رأيهم في الأمور المتعلقة بتولى السلطة ، وإبعاد من يريدون إبعاده ، فإنه لما توفى السلطان الملك العادل خشقدم^(١) ، ترك ولدين ، فأرادا الإمارة ، ولكن الأمراء القواد لم يتفقوا على تعيين أى منهما ، بل عينوا الأمير بلباي الذى تلقب بالملك الظاهر أبى النصر^(٢) .

وفى عهده كثر عصيان بعض الولايات الشامية ، وقل الأمن ، وأصبحت الطرق مخيفة ، قال ابن تغرى بردى بعد حديثه عن عصيان أمير حلب فى عهد الملك الظاهر بلباي ، وقتله بعض ولاية البلاد الشامية :

(... وجاء هذا الخبر والديار المصرية غير مستقيمة الأحوال لعدم المدير ، والطرق مخيفة ، والسبل غير آمنة ، وما ذاك إلا أن الملك الظاهر لما تسلطن وتم أمره غطاه المنصب ، وصار كالمذهول ولزم السكات ، وضعف عن بت الأمور وردع الأجلاب)^(٣) .

وإذا كان عصر المماليك قد تميز بكثرة الفتن الداخلية والحروب

= سمط النجوم العوالى ٤ / ٢٠ ، وانظر شذرات الذهب ٥ / ٤٠٩ .

(١) هو الملك العادل سيف الدين خشقدم الناصرى أحد المماليك . ساءت الأوضاع فى عهده ، وفشى فساد مماليكه وهو يعلم بذلك ، ولكنه لم يمنعهم فكرهه الناس . توفى سنة ٨٧٢ هـ . انظر سمط النجوم العوالى ٤ / ٤١ ، وانظر شذرات الذهب ٦ / ٣١٥ .

(٢) هو الملك الظاهر أبو النصر بلباي المؤيد أحد الأمراء ، كان ضعيفاً فى إدارته فساءت الأحوال فى ولايته ، فخلعه الأمراء بعد شهرين من تسلطه .

انظر سمط النجوم العوالى ٤ / ٤٢ ، وانظر شذرات الذهب ٦ / ٣١٥ .

(٣) النجوم الزاهرة ١٦ / ٣٦١ لابن تغرى بردى - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢ م . والأجلاب : هم المماليك الذين يجلبون من أماكن بعيدة .

الخارجية ، فإن السنوات الأخيرة من عمر الدولة المملوكية قد شهدت أعنف الفتن الداخلية التي دبرها الأمراء المماليك ضد السلطة من أسباب هذه الفتن ، العصبية والحزبية التي كان يؤلفها الأمراء حول أنفسهم ، فمن الفتن التي وقعت في مطلع القرن العاشر وهو القرن الذي تهمنا أحداثه أكثر من غيره ، نظراً لأن الخطيب الشربيني رحمه الله كان من علماء ذلك القرن ، ما وقع في عام ٩٠٣ هـ من غدر من الأمير طومان باي^(١) بالسلطان الناصر ابن قايتباي^(٢) ، فقد أعد له كميناً بالجيزة ودعاه للنزول عنده فاغتاله ثم تولى بعده أحد المماليك الجراكسة ، لكن الفتن استمرت مدة تزيد على السنة ، فتار عليه بعض الأمراء واتفقوا على خلعه ، وولى السلطة الأمير جان بلاط الجركسي^(٣) ، وتلقب بالملك الأشرف .

ثم تمرد عليه الأمير طومان باي^(٤) ، وذهب إلى دمشق ، وتآمر مع بعض الأمراء على خلعه ، فكتبوا بذلك أمراً بحضور علماء وأمراء دمشق ،

(١) هو الأشرف أبو النصر آخر ملوك الجراكسة بمصر ، قاتل العثمانيين إلى أن تمكنوا منه ، فقتله السلطان سليم الأول شنقا سنة ٩٢٣ هـ . انظر الأعلام ٣ / ٣٣٧ . وسمط النجوم العوالي ٤ / ٥٣ .

(٢) هو الملك الناصر أبو السعادات محمد بن السلطان قايتباي ، كان جباراً شديد البطش ، فيه سفه ، قتل سنة ٩٠٤ هـ ، انظر سمط النجوم العوالي ٤ / ٤٨ .

(٣) جان بلاط بن يشبك الأشرف أبو النصر ، أعتقه الأشرف قايتباي ، وجعله نائباً في حلب ، ثم بعد ذلك ولى السلطة في مصر ، وتلقب بالملك الأشرف ، ثم أسر وقتل في سجن الإسكندرية سنة ٩٠٦ هـ انظر شذرات الذهب ٨ / ٢٨ ، والأعلام ٢ / ٩٦ .

(٤) هو الملك العادل أبو النصر ، صار والياً في دمشق ، ثم تآمر مع بعض الأمراء على جان بلاط فحاصره في القلعة إلى أن أسره وتولى بعده السلطة ، ثم قتل سنة ٩٠٦ هـ ، انظر الأعلام ٢ / ٣٣٦ ، وسمط النجوم العوالي ٤ / ٤٩ .

وتسمى بالملك العادل ، ومن ثم توجه إلى مصر التي وصلها عام ٩٠٦ هـ ، وعندما علم جان بلاط بذلك تحصن بالقلعة ، فحوصر سبعة أيام تغل فيها جنوده عنه ، فدخل الملك العادل القلعة ، وأخرج جان بلاط وأرغمه على التنازل بحضور الخليفة والقضاة ، قال في الكواكب : (وأرسله إلى الإسكندرية ثم قتله خنقاً)^(١) .

وفي السنة نفسها حصل فتنة بين المماليك فر بعدها طومان باي واختفى مدة ثم قبض عليه فقتل ، وكان في فترة اختفائه قد تولى السلطة بعده الأمير قانصوه الغوري^(٢) الذي تلقب بالملك الأشرف ، وتميز بالظلم وقوة البطش ، قال النجم الغزى : (ولما تسلطن أخذ يتتبع رؤوس الأمراء ذوى الشوكة فيقتلهم شيئاً فشيئاً ، ثم فشا ظلمه ، ومصادرته للناس في أموالهم حتى صار شيخ الإسلام زكريا^(٣) يعرض بظلمه في الخطبة وهو تحت منبره)^(٤) .

ومن ابتلى بهم السلطان الغوري وأقلقوا باله ، وأقضوا مضجعه المماليك الجلبان ، فقد تعددت ثوراتهم ، وأكثروا من الفتن والمشاغبات بحجة المطالبة بحقوقهم .

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة للنجم الغزى ١/ ١٧١ تحقيق جبرائيل حبور - ط الثانية ١٩٧٩ - دار الأفاق الجديدة - بيروت . وانظر شذرات الذهب ١١٤/ ٨ .

(٢) قانصوه الغوري ، الملك الأشرف أبو النصر ، من أشهر سلاطين المماليك في مصر ، بويع له بالسلطنة في قلعة الجبل في القاهرة سنة ٩٠٦ هـ ، كان شجاعاً فيه بطش وظلم ، قتله جيش السلطان سليم العثماني في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ . انظر سمط النجوم العوالي ٤/ ٥٠ ، والأعلام ٦/ ٢٣ .

(٣) هو القاضي زكريا المتوفى سنة ٩٢٦ هـ . تأتي ترجمته في شيوخ الخطيب .

(٤) الكواكب السائرة ١/ ٢٩٥ .

وبالإضافة إلى الفتن الداخلية كانت هناك اضطرابات خارجية في الشام والحجاز ، واعتداءات من البرتغاليين على الموانئ الإسلامية في اليمن وجدة والهند ، قال في الشذرات : (وفي آخر أيام الغورى في حدود العشرين^(١)) ظهرت الفرنج البرتغال على بنادر^(٢) الهند استطرقوا إليها من بحر الظلمات^(٣) ، من وراء جبال القمر ، فعاثوا في أرض الهند ووصل أذاهم إلى جزيرة العرب ، وبنادر اليمن وجدة ، جهز إليهم الغورى خمسين غراباً^(٤) مع الأمير حسين الكردي^(٥) وجعل له جدة إقطاعاً وأمره بتحسينها^(٦) .

وفي زمن الغورى ذاع خبر الشاه إسماعيل الصفوى^(٧) جهة المشرق ، وسارت الركبان بأخبار قواته وقتلها لأهل السنة وإجبارهم على الرفض ، بينما تحركت أريحية العثمانيين لنجدة أهل السنة ، فخشى الغورى من إستيلاء العثمانيين عليه فخرج للقاء السلطان سليم الأول^(٨) وكان الغورى قد مال إلى الصفوى ، ولما خرج من مصر زعم أنه يريد الإصلاح بين السلطان سليم

(١) أى في حدود العشرين بعد التسعمائة .

(٢) بنادر : جمع بندر وهو الميناء البحرى .

(٣) المحيط الألسى .

(٤) من أنواع المراكب البحرية .

(٥) لم أجد له ترجمة .

(٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ٨ / ١١٥ ، دار الآفاق الجديدة بيروت وانظر الكواكب السائرة ٣ / ١٧١ .

(٧) إسماعيل بن حيدر بن إبراهيم بن سلطان خوجة بن الشيخ صفى الدين إسحاق الأردبيلي من غلاة الرافضة . انظر سمط النجوم العوالى ٤ / ٧٢ .

(٨) سليم بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد ، أحد السلاطين العثمانيين الذين كان لهم فضل في توحيد بلاد المسلمين ، ودفع الأخطار عنها ، توفي سنة ٩٢٦ هـ - شذرات الذهب ٨ / ١٤٣ ، والكواكب السائرة ١ / ٢٠٨ .

والصفوى ، لكن السلطان سليماً رفض تلك الوساطة ، واعتبرهما خارجين عن الحق ، فالتقيا عند مرج دابق^(١) فانتصر السلطان العثماني ، قال في الكواكب في شأن الغورى : (فلما كان مبطناً مودته لأهل البدعة رد الله تعالى كيده في نحره ، وسلط عليه ملك الروم^(٢) ، ويعنى بملك الروم السلطان سليماً الأول .

وبعد أن قتل الغورى في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ تولى السلطة بعده الأمير طومان باى الثانى ، فحارب العثمانيين عدة أشهر ، ثم استطاع العثمانيون دخول القاهرة في سنة ٩٢٣ هـ ، وقتلوا طومان باى ، وبذلك انتهت دولة المماليك^(٣) .

الدولة العثمانية :

ينتسب العثمانيون إلى سلطانهم الأول عثمان أرطغرل^(٤) ، وينتمى العثمانيون الأتراك إلى شعب الغز ، وينحدرون من قبيلة تسمى قبيلة قاى ، كانت تستوطن أراضى دولة خوارزم المحيطة ببحر الخزر ، الذى يسميه الروس الآن بحر أرال ، أما دخول الأتراك فى الإسلام ، فإنهم أسلموا منذ بداية

(١) مرج دابق : دابق قرية قرب حلب ، وعندها مرج معشب يعرف باسمها ، انظر مراصد الاطلاع ٥٠٣/٢ .

(٢) الكواكب السائرة ١ / ٢٩٧ .

(٣) انظر تاريخ الدولة العثمانية د / على حسون ص ٥٧ ، المكتب الإسلامى - بيروت - ط الثالثة ١٤٠٣ ، وانظر تاريخ الدولة العلية العثمانية للمحامى محمد فريد ص ٣٧ ، ٣٨ ، دار الجليل - بيروت ١٩٧٧ م .

(٤) عثمان أرطغرل أول سلاطين العثمانيين ، من المخاربيين الأقوياء ، والطامحين الأشداء توفى سنة ٧٢٥ هـ ، انظر سمط النجوم العوالى ٤ / ٦٠ وشذرات الذهب ٦ / ٦٨ .

الفتح الإسلامي لبخارى^(١) وسمرقند^(٢) (فإن أرجح الروايات تشير إلى أن انتشار الإسلام بين الأتراك بدأ بشكل تدريجي وبصورة غير منتظمة منذ قام القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي^(٣) في أثناء خلافة سليمان بن عبد الملك^(٤) بفتح بخارى ومرو^(٥) وسمرقند وغيرها من بلاد الترك في عام ٩٨ هـ^(٦) .

وبدأ تحول الأتراك إلى الإسلام بشكل جماعي في عام ٣٤٩ هـ ، عندما أسلم زعيمهم قره خان ، وكما قلنا : إن الدولة العثمانية تنتسب إلى مؤسسها السلطان عثمان الذى انتقلت إليه زعامة الترك بعد وفاة والده ، وقد أنعم الملك علاء الدين السلجوق^(٧) بهذه الإمارة عليه ، تقديراً لجهود أبيه ، واعترافاً بفضل قبيلته التى خاضت معه الكثير من الحروب ، وكان النصر قد تحقق له بفضل الله ثم بفضل هذه القبيلة ، فأعطاه عدة إقطاعات ، وأجاز له أن يضرب عملة خاصة به ، وأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة .

- (١) بخارى : من أكبر الحواضر الإسلامية القديمة وتقع الآن تحت الحكم الروسى .
- (٢) سمرقند : من بلاد ما وراء النهر ، وهى من المدن التى فتحها قتيبة بن مسلم وتقع الآن تحت الحكم الروسى ، انظر مراصد الاطلاع ٧٣٦/ ٢ .
- (٣) قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي : من أعظم القادة المسلمين الذين فتحوا بلاد ما وراء النهر ، وغزا أطراف الصين ، وضرب عليها الجزية ، توفى في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٨٦/٤ ، والبداية والنهاية ١٤٠/٧ .
- (٤) سليمان بن عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بنى أمية ، قام بعدة فتوحات منها فتح جرجان وطبرستان توفى سنة ٩٩ هـ ، انظر تاريخ الطبرى ١٢٦/ ٨ .
- (٥) مرو : من المدن المشهورة في التاريخ الإسلامى ، أنجبت كثيراً من العلماء المسلمين ، تقع في خراسان ، انظر معجم البلدان ١١٢/ ٥ .
- (٦) جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك للأستاذ زياد أبو غنيمة ص ١٨ ، ط الأول دار الفرقان ١٤٠٣ هـ الأردن .
- (٧) هو الملك علاء الدين كيقباز السلجوقى ، أحد ملوك سلاجقة الروم توفى سنة ٦٩٩ هـ ، انظر العالم الإسلامى ٢٠٠/ ٢ .

وعندما أغارت جيوش التتار على سلطنة قونية السلجوقية عام ٦٩٩ هـ ، فقتلت أميرها علاء الدين الذى كان عثمان يعمل فى خدمته ، وجد السلطان عثمان الدولة بلا سلطان ، فأعلن زعامته على السلطنة تحت اسم « بادشاه آل عثمان » ، وبذلك أصبحت دولة بنى عثمان الجهة الوحيدة التى رفعت راية الجهاد فى سبيل الله ، فانضم إليها كل راغب فى نصره دين الله ورفع راية الحق .

وبعد أن جعل مدينة يكي شهر^(١) عاصمة ملكه ، وأخذ فى تحصينها وإصلاح أمور البلاد ، فجهز للقتال وأرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخبرهم بين ثلاثة أمور : الإسلام أو الجزية أو القتال ، فأسلم بعضهم وقبل آخرون دفع الجزية ، ولكن قسماً منهم تأمر مع التتار ضد الأتراك فلم يهتم بهم السلطان وجهز جيشاً لغزوهم ، وأمر عليه ابنه اورخان^(٢) ، فسار إليهم وشتت شمل التتار .

وهكذا أصبحت هذه الإمارة الصغيرة دولة كبيرة ، تهاها أوربا وتحشى شوكتها ، ثم لم تلبث أن قضت على الدولة البيزنطية ، ودخلت عاصمتها القسطنطينية بعد أن من الله تعالى بفتحها على يد السلطان محمد الفاتح^(٣) فى عام ٨٥٧ هـ .

(١) يكي شهر : مدينة تقع فى تركيا فى هضبة الأناضول ، غربى مدينة قونية ، انظر تاريخ الدولة العثمانية ص .

(٢) هو السلطان اورخان الأول بن السلطان عثمان أرطغرل ، تولى السلطنة بعد أبيه ، وحصل على يديه فتح كبير وانتصارات عظيمة توفى سنة ٧٦١ هـ ، انظر العالم الإسلامى ٢ / ٢٠٨ .

(٣) هو السلطان محمد خان بن مراد بن محمد بن يلدوم ، المعروف بمحمد الفاتح ، لكثرة الفتوحات فى عهده ، ومنها فتح القسطنطينية ، توفى سنة ٨٨٦ هـ ، انظر سمط النجوم العوالى ٤ / ٦٦ ، وشذرات الذهب ٧ / ٣٤٤ .

وتتميز القرن التاسع والعاشر بالحروب والفتوحات الخارجية بالنسبة للدولة العثمانية ، وضم كثير من الولايات الإسلامية إليها ، وتعد الفترة التي حكم فيها الأتراك أطول فترة استظلت فيها الأمة الإسلامية تحت راية وقيادة دولة واحدة .

هذا وقد ظهر في القرن العاشر عدد من الفتن والحروب في الدولة العثمانية منها :

ما حصل في عام ٩١٨ هـ حيث تمرد أبناء السلطان بايزيد^(١) عليه وأشعلوا الحروب الداخلية حتى أرغموه على الاستقالة والتنازل عن الملك لابنه سليم الأول ، الذي حدثت بينه وبين إخوته حروب في بلاد آسيا الصغرى ، كما أنه حارب الشاه إسماعيل الصفوي ، الذي قوى سلطانه ، ونشر بدعته وأذل أهل السنة ، قال في الكواكب عند حديثه عن سليم الأول : (ولما استقر على سرير السلطنة أخذ في قهر الملوك والسلاطين ، فبدأ بمقاتلة الشاه إسماعيل بن الشيخ حيدر الصوفي ، لما بلغه إشاعته للرفض وقتله العلماء ، أهل السنة وأكابرها ، فسافر إليه السلطان سليم إلى بلاد العجم ، وتلاقيا بالقرب من تبريز^(٢) وتصافا فانكسر عسكر الصوفي^(٣) وانهمزم ، ودخلت عساكر السلطان سليم إلى تبريز ، ونفذت فيها أوامره ونواهيته^(٤) .

(١) هو السلطان بايزيد بن السلطان محمد الفاتح ، تولى السلطنة بعد أبيه وقام بعدة فتوحات ، وقاوم فتنة الرفض في عهد الشاه إسماعيل الصفوي ، وكان يتميز برجاحة العقل، وقوة الصبر وحب الخير. توفي سنة ٩١٨ هـ - سمط النجوم العوالي ٦٩/٤ .

(٢) تبريز : مدينة تقع في إقليم أذربيجان وهي في إيران .

(٣) هكذا في الكواكب السائرة وهو خلاف المشهور « الصفوي » .

(٤) الكواكب السائرة ٢٠٩/١ .

ثم فتح الموصل وإقليم ديار بكر^(١) ، كما حارب المماليك في الشام وانتصر عليهم في مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ ، وكان المماليك بقيادة قانصوه الغورى ثم اتجه إلى مصر وحارب المماليك فيها وهزمهم ، ودخل القاهرة في مستهل ٩٢٣ هـ ، بعد أن قتل طومان باي^(٢) آخر المماليك ، وبعد تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة ، وكانت الخلافة للعباسيين اسما ولم تكن لهم سلطة فعلية ، بل كانت السلطة الفعلية بيد المماليك ، ومنذ ذلك الحين صارت مصر ولاية عثمانية ، إلى أن ضعفت الدولة وجاء الاستعمار ، وبعد أن دخلت مصر في حكم الدولة العثمانية : (حضر أبوبى^(٣) ابن الشريف بركات شريف مكة إلى مصر فقدم الطاعة للسلطان سليم الأول وسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين وصار منذ ذلك خليفة المسلمين)^(٤)

بعد أن أتم العثمانيون فتح بلاد الشام ومصر وغيرها ، شعروا بالضعف الذى أصاب الأقاليم العربية ، وأنها غير قادرة على حماية نفسها من خطر الغزو البرتغالى والأسباني ، سارعت إلى ضم هذه الأقاليم العربية ، شعوراً منها برابطة الوحدة الإسلامية فضموا بغداد وتونس والجزائر وليبيا واليمن والجزيرة

(١) ديار بكر : هى بلاد واسعة تنتسب إلى بكر بن وائل ، وحدودها ما عرّب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين ، وآمد وكيفا وغيرها ، ويقع جزء منها الآن في العراق والآخر في تركيا ، انظر مراصد الاطلاع ٥٤٧/ ٢ .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) أبوبى هو محمد بن بركات بن محمد بن بركات ، أحد الأشراف الذين كانت لهم الأمانة في مكة ، ذهب إلى السلطان سليم الأول في مصر وسلمه مفاتيح الحرمين ، ورسم له السلطان بالمشاركة في الولاية مع والده ، ثم استقل بالحكم بعد وفاة والده ، وطالت فترة حكمه ، توفى سنة ٩٩٢ هـ ، انظر الأعلام ٢٧٦/ ٦ ، وسمط النجوم العوالى ٢٩٢/ ٤ .

(٤) تاريخ الدولة العثمانية د / على حسون ص ٥٧ ، ٥٨ .

العربية .

(إن حالة البلاد العربية قبيل الفتح العثماني ، كانت قد وصلت إلى أشد درجات السوء وإن العالم الإسلامي كان يتطلع إلى منقذ ينقذه من الهاوية التي سقط فيها فلما خرج آل عثمان إلى ميدان الكفاح ، وظهرت بوادر نجاحهم في حروبهم ضد الامبراطورية البيزنطية ، علق المسلمون عليهم الآمال ، واتجهوا بقلوبهم إليهم ، فالعالم الإسلامي الذي كان قد استولى عليه اليأس من جراء الكوارث التي حاقت بهم في الشرق والغرب ، شعر إثر هذه الانتصارات التي أحرزها العثمانيون ، بحياة جديدة ، ردت إليهم الآمال ورفعت رؤوسهم مرة أخرى)^(١) .

ولكن القوميين العرب يعتبرون الفتح العثماني للبلاد العربية غزواً ويعدون حكمها احتلالاً ويسمون الخلافة الإسلامية استعماراً ، قال أحدهم : (كان الأساس الأول الذي ارتكز عليه نظام الحكم العثماني في مصر هو أن أجهزة الحكم العثمانية ، كانت سلطة احتلال فكانت الدولة العثمانية دولة أجنبية ، اعتمدت على القوة المحضة في إخضاعها لمصر)^(٢) .

ولا غرو في ذلك فإن الذين حملوا لواء القومية والافتراء على الدولة العثمانية هم النصارى العرب ، ومن شايعهم من المنتسبين إلى الإسلام من تلاميذ الغرب وأفراخه ، وهدفهم من هذه الدعوة ضرب الإسلام وإبعاد أهله عنه .

والعرب المسلمون يعدون العثمانيين حماة الإسلام ، ويحتلون في نفوسهم مكانة عظيمة ، لأنه عندما عجز المماليك عن حماية الأقاليم العربية

(١) جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين للأستاذ أبو غنيمة ص ١١٦ وانظر تاريخ الدولة العثمانية د / علي حسون ص ٤٨ وما بعدها .

(٢) الغزو العثماني لمصر ص ٢٦٠ ، للدكتور محمد عبد المنعم .

من البرتغاليين والأسبان والصفويين ، تدخل العثمانيون حماة ومحمرين للبلاد العربية من أعدائها الخارجين ، وقد حرص العثمانيون على التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ، واشترطوا فيمن يتولى منصب السلطان عدة شروط :

- ١ - أن يخضع السلطان لأحكام الشريعة الإسلامية خضوعاً كاملاً .
- ٢ - أن يعظم الشريعة الإسلامية ويقدر علمائها .
- ٣ - أن يحمي المقدسات الإسلامية وينظم شئون الحج .
- ٤ - أن يدافع عن بلاد المسلمين .

وقد وضع السلطان سليم الأول نظاماً يحدد فيه الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتولى رئاسة الوزارة أو منصب الوزير منها (أن يكون ذلك الشخص مواظباً على أداء الصلاة في أوقاتها)^(١) .

هذا وقد كانت للحكم العثماني للبلاد العربية آثار طيبة منها :

- ١ - توحيد الأقطار العربية في إطار سياسي واحد بعد أن كانت كيانات متنافرة ومتباعدة .
- ٢ - وقف الفتح العثماني للبلاد العربية أمام خطر الصفويين الراضية على العالم العربي السني .
- ٣ - استفادت الشعوب العربية المسلمة من حكم الدولة الإسلامية في تقوية الحياة الدينية بينها^(٢) .

وفي هذا رد على الذين يتهمون الدولة العثمانية بالاستعمار للبلاد العربية ، وأن هدفها لم يكن إسلامياً ، على أننا لا ننكر أن الدولة العثمانية

(١) جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك ص ٢٦ .

(٢) انظر في تاريخ العرب الحديث ص ٣٤ وما بعدها للدكتور رأفت الشيخ - دار الثقافة - القاهرة ١٩٧٧ .

وخصوصاً في مرحلة الضعف قد تولى عليها بعض السلاطين الضعاف كما
ولى البلاد العربية بعض الولاة غير العادلين ، ومع ذلك لا يكون مبرراً
للخروج على دولة الخلافة .

كان القرن العاشر من أهم القرون التي حدثت فيها الفتوحات والتوسع
بالنسبة للدولة العثمانية ، كما أن الفتن الداخلية كانت كثيرة فيه وقد أثرت
تلك الفتن على سيرة الثقافة في الولايات العثمانية إلى حد ما ، ومن تلك
الولايات التي حدثت فيها الفتن مصر ، فإن الدولة العثمانية عندما أتمت ضم
مصر إلى سلطتها ، جعلت الحكم والولاية باسم السلطان العثماني ووكّل أمر
إدارتها إلى وال من المماليك الأمر الذي غير الوضع السياسي من سبب إلى
أسوأ للفتن والخصومات التي بين المماليك أنفسهم وبين خصومهم .

● الحالة الاجتماعية :

مرت مصر في القرن العاشر وما قبله بظروف اجتماعية ، تعكس طبيعة المجتمع في ذلك العصر ، فالسكان في مصر مسلمون وتوجد جماعات من النصارى الأقباط ، فالمجتمع المصرى يتكون من فئات من الناس ، كل فئة لها مميزات ووظائف تختص بها ، وأعمال تقوم بإدارتها ، وبما أن الخطيب الشربيني رحمه الله من أهل مصر ، فسأقصر الكلام على الوضع الاجتماعى في مصر ، وأبين فئات ذلك المجتمع باختصار .

● الحاكم ومعاونوه :

تتكون هذه الفئة من السلطان والأمراء وقادة الجيش والولاة وتتلخص مهمتها بإدارة البلاد والإشراف على شؤونها الخارجية والداخلية وتقوم بإعداد الجيش وإقامة المنشآت العامة كالموانئ والحصون والجسور والترع ، وبناء المدارس والمساجد وإدارة بيت المال ، والإشراف على دخله وما يصرف منه ، ولهذا الفئة الرأى النافذ والكلمة المسموعة ، والجاه والسلطان .

وكان السلطان عند المماليك يعتبر هو الحاكم الفعلى للبلاد إلا إذا كان صغيراً فيتولى أمر البلاد نائبه ، وفي حالة عدم وجود النائب ، يتولى إدارة الدولة القائد العام للجيش المملوكى الذى يطلق عليه اسم الأتابك^(١) .
ولكل سلطان معاون بمثابة مدير الأعمال يسمى داودار قال السيوطى : (والدوادارية موضوعها أن صاحبها يبلغ الرسائل عن السلطان ،

(١) الأتابك : كلمة تركية معناها مرى السلطان ، ثم استعمل لقائد الجيش .

ويقدم القصص إليه ويشاور على من يحضر إلى الباب ويقدم البريد إذا حضر ،
ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب^(١) .

كما أن السلطان عنده مجموعة ممن الكتبة الذين يكتبون له المراسيم
السلطانية ويقرأون عليه الرسائل الواردة ويكتبون أجوبة عليها ، قال
السيوطي : (ويعين كل سلطان لنفسه كاتب سر ، وظيفته قراءة الكتب
الواردة إلى السلطان وكتابة أجوبتها والجلوس لقراءة القصص بدار العدل ،
والتوقيع عليها وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً)^(٢) .

وقد مرت بالعالم الإسلامي عموماً وبمصر خصوصاً في مطلع القرن
العاشر ظروف اجتماعية قاسية نتيجة لظلم كثير من الحكام ، وفرض الضرائب
الباهظة .

ومن الأحداث الكثيرة التي تدل على ذلك الظلم ، وتصور القسوة
التي كانت سمة كثير من الولاة والسلاطين ، ما قام به السلطان قايتباي^(٣)
في عام ٩٠١ هـ ، من فرض ضريبة على بيع الغلال فجعل على كل أردب^(٤)
بيع نصفاً من الفضة .

وعندما تولى ابنه الناصر بن قايتباي^(٥) بعده ، اشتط في جمع الأموال

-
- (١) حسن المحاضرة ٢ / ١٣١ للسيوطي ط - مصطفى الباني الحلبي ط أولى ١٩٦٨ م .
 - (٢) حسن المحاضرة ٢ / ١٣٢ .
 - (٣) هو السلطان الأشرف قايتباي الحمودي الظاهري الجركسي ، قام بعدة إصلاحات في
المسجد المكي والمسجد النبوي وبيت المقدس ، وقام بتوسعة مسجد الخيف ، وقام
ببناء المدارس ، ويقال : إنه لم يحج من ملوك الجراكسة غيره ، توفي سنة ٩٠١ هـ .
انظر سمط النجوم العوالي ٤ / ٤٢ . والكواكب ١ / ٧٩٢ .
 - (٤) الأردب : مكيال ضخم يضم ٢٤ صاعاً ، أى ما يعادل ٦٠ كيلو جرام تقريباً .
 - (٥) سبقت ترجمته .

لينفق منها على المماليك الجلبان الذين زادت أطماعهم ، وثاروا في وجه السلطان وأرغموه على أن يدفع لهم مالا ، وأمام هذه الثورة اضطر لفرض غرامات على كل من القضاة والأعيان والتجار ، واليهود والنصارى ، وجعل أمر الجمع إلى أعوانه الذين قسوا في معاملة الناس ، واستخدموا لذلك الخوذ الحديدية المحماة ، لكل من يعارض ، وأهانوا كثيراً من الوجهاء والفضلاء ، فاختفى كثير من الصالحين والعلماء والقضاة ، وضرب ناظر العسكر لامتناعه عن الدفع ، فجمعت هذه الغرامات بالضرب والحبس والإهانة^(١) .

وبعد أن ولى الأشرف الغورى السلطة ، رأى الخزائن خاوية وثار عليه المماليك مطالبين بالنفقة التى تأخرت عليهم ، فقرر أخذ أموال الأوقاف وأراضيها ، وجمع الخليفة والقضاة والأمراء للمشورة ، وبعد نقاش طويل وعنيف اتفق الجميع على أن يأخذ من ريع الأوقاف سنة كاملة ، ومن إيجار العقارات عشرة أشهر ، ولكن واجه غضباً من الناس فاكتفى بإيجار سبعة أشهر .

وفي عام ٩١٨ هـ ، رسم السلطان الغورى إلى والى الشرقية ووالى الغربية بجمع الضرائب عن السنة المذكورة قبل استحقاقها ، فأخذوا يجمعونها من الفلاحين ، واستخدما فى ذلك الضرب والقوة والهجوم على المنازل للبحث عن المال ، ولم يراعوا فى ذلك حرمة مسافر ، فإن أعوانهم يقومون بإرغام أهل المسافر على دفع ما طلب منه^(٢) .

(١) انظر عصر سلاطين المماليك د / محمود رزق سليم ٢ / ٣١٨ بتصرف ، نشرته مكتبة الآداب - القاهرة ١٣٦٦ هـ . وانظر بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس ٦٩٣ / ٢ .

(٢) انظر عصر السلاطين المماليك ٢ / ٣٢٠ بتصرف ، وانظر بدائع الزهور ٢ / ٧٠٩ ، ٧٢٧ .

فأتقل كاهل الأمة بالضرائب ، بل إن الطرق التي كانت تجمع بها طرقاً قاسية وظالمة ، فالجباة من أفسى الناس ، ويجمعون الأموال مضاعفة ، حتى أضحت القسوة شعارهم ، والاستخفاف بالناس ديدنهم ، فالذى لا يجد ما يدفعه لإعساره يتعرض للتعذيب وربما قتل ، ففي عام ٩٠٨ هـ ، رسم السلطان الغورى بشنق رجل من أهل حلب لم يستطع أن يدفع مالاً فرض عليه ، فشنق على باب زويلة ، وهذا فعل من أبشع أنواع الظلم ، واستغلال سيء للسلطة ، وأمر لا يقره الشرع .

وفي عهد الغورى أيضاً فشا مرض الطاعون ، وكثر الموتى وذلك في عام ٩١٩ هـ فأمر بأن يؤخذ من تركة الموتى المماليك من الأسلحة : سيف وزردية^(١) وخوذة ، كما أمر بحجز وصية المتوفى حتى يدفع ما قرر عليه ، بل إن الأمر زاد عن ذلك فوصل إلى حجز زوجات المماليك ، ولا يطلقونها حتى تؤدي ما عليها^(٢) .

وكان الغورى يجب كثر المال وجمعه بأى وسيلة (ثم زاد الضرائب دفعة واحدة فكان يجيها من أصحاب مركبات المياه والسفن ، والجمال واليهود لكنز المال في الخزائن)^(٣) .

وفي فترة الحكم العثماني استمرت الحالة الاجتماعية على وضعها ، لأن الإدارة الفعلية في مصر قد سلمت للمماليك ، فصاروا أمراء ، تحت سلطة العثمانيين ، واعتبر بعض الباحثين دخول العثمانيين إلى مصر بداية الانهيار الاجتماعي والاقتصادى فيها^(٤) .

-
- (١) الزردية : من أنواع الدروع الحربية .
 - (٢) انظر بدائع الزهور ١٠٤١/٢ ، وعصر سلاطين المماليك ٣٢/٢ .
 - (٣) القاهرة تاريخها وآثارها ص١٨١ للدكتور عبد الرحمن زكى .
 - (٤) طومان باى - للدكتور عبد المنعم ماجد ص١٨٦ وما بعدها .

وإذا كان الواقع كذلك فليس معناه أن العثمانيين قصدوا تخريب مصر ولكن هدفهم كان توحيد المسلمين ضد أعدائهم ، أما ما حدث من سوء في الإدارة ، وسوء في اختيار الولاة فلا يحمل على أنه تخطيط من العثمانيين لإفساد البلاد ، بل كان هدفهم توحيد المسلمين في دولة واحدة ، ولذلك لما أتم السلطان سليم الأول فتح مصر أبقى الأحوال على ما هي عليه ، وقبل أن يعود إلى اسطنبول وضع الخطوط الرئيسية لإدارة مصر ، وقرر أن تعود إلى ولاية المماليك على أن يكونوا أمراء تحت سلطته ، وقد عين السلطان سليم نائبه من المماليك وهو خير بك الذى كان السبب في انتصاره على السلطان الغورى في معركة مرج دابق وقد جاء في خطاب التكليف بالنيابة (أعطيك هذه المملكة إقطاعاً لك إلى أن تموت)^(١) ، ولعل هذا المسلك من السلاطين العثمانيين هو السبب في ظلم الولاة واستبدادهم .

وبالإضافة إلى الحاكم ومعاونيه هناك عدد من الأجهزة الإدارية التى تختص بالأمور التى يعتمد عليها في قضاء مصالح الدولة ومصالح الناس اليومية ، ومن أهم هذه الإدارات : الدواوين ، وقد عرف عدد من الدواوين في عصر المماليك وفي عهد العثمانيين فكان هناك عدة دواوين منها :

١- ديوان الإنشاء : ومهمته تبادل المكاتبات الرسمية في الدولة .

٢- ديوان الأحباس : ويتولى الإشراف على شؤون الأوقاف .

٣- ديوان النظر : ويختص بمراقبة حسابات الدولة .

وفي عهد سليمان الأول - المعروف بالقانونى - تطورت الإدارة في الدولة العثمانية وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على الولايات العثمانية ومن أهمها مصر ، فقسمت إلى خمس ولايات وهى :

(١) طومان باى ص ٢٠٢ .

الغربية والشرقية والمنوفية والبحيرة^(١) وجرجا^(٢) ، كما قسمت القاهرة إلى ثلاثة أقسام ، يتولى كل قسم رئيس الشرطة ، كما كان أمراء الولايات من الممالك .

والوالى يعتبر ممثلاً للسلطان العثمانى فى مصر ، وتنحصر مهمته فى تنفيذ القرارات السياسية والإدارية الصادرة من اسطنبول ، وعليه أن يجمع الأموال ويرسلها إلى عاصمة الخلافة ، كما أن الوالى يتولى رئاسة الديوان الذى أصبح فى عهد سليمان الأول يتكون من عدة أعضاء من ضمنهم :

الأمراء ، ورئيس القضاة ، والمفتون الأربعة ، وأمير الحج ، وغيرهم .
● الإدارة المالية : حرص الممالك على أن يتولى هذه الإدارة والتى كانت تعرف بيت المال ، حرصوا على أن يتولاها من يتصف بالأمانة والعدالة ، قال السيوطى : (وأما نظر بيت المال فوظيفة جليلة موضوعها حمل حمول المملكة إلى بيت المال والتصرف فيه تارة بالميزان وتارة بالتسبب بالأقلام ، ولا يلى هذه الوظيفة إلا من هو من ذوى العدالة المبرزة)^(٣) .

وفى عهد العثمانيين زادت العناية بالإدارة المالية ، واهتمت بها الدولة ، نظراً لما لها من أهمية فى رعاية مصالح البلاد والعباد (وقد نظم العثمانيون الإدارة المالية فى مصر تنظيمًا دقيقاً لضبط إيرادات البلاد ومصروفاتها فكانت لمصر إدارة مالية دقيقة تفرعت إلى عدة دواوين أهمها الديوان الدفترى)^(٤) .

(١) البحيرة : إقليم مشهور فى مصر يتبعه كثير من المراكز والقرى .

(٢) جرجا : مدينة فى صعيد مصر .

(٣) حسن المحاضرة ٢ / ١٣٢ .

(٤) الديوان الدفترى : يسجل به إيرادات بيت المال ومصروفاته ، انظر الغزو العثمانى لمصر

ومع أن الإدارة المالية في مصر في ذلك الوقت كانت جيدة من الناحية التنظيمية إلا أن الناحية الاقتصادية عموماً كانت في ركود وتدهور نظراً لاستغلال بعض الولاة للأموال ، وإثقال كاهل الفلاحين بالضرائب جعلهم لا يهتمون بالزراعة كما ينبغي ، كذلك انتكست الصناعة وقلت الحرف ، كما أن الدولة العثمانية لم تهتم بالصناعة على أعلى الوسائل وذهب كثير من الحرفيين المصريين إلى عاصمة الخلافة .

ونتيجة لضعف الزراعة وتدهور الصناعة قلت التجارة الداخلية وقلت التجارة الخارجية لتحول الطريق التجارى الذى يمر بمصر إلى طريق رأس الرجاء الصالح^(١) .

● القضاة والعلماء :

منذ أن قامت دولة الإسلام والقضاء أحد معالم العدل التى أقيمت لتحقيق مصالح البشر ، فأقام الإسلام السلطة الحاكمة لضبط أمور الناس وتسيير شؤونهم وأقام سلطة القضاء لتحقيق العدل بين المتخاصمين^(٢) .

والقضاء والعلماء لهم دور كبير فى المجتمع الإسلامى ، فهم حلقة الوصل بين الحاكم ورعيته ، ومحل الثقة من الخلفاء والسلاطين . فالحاكم يعتمد عليهم فى كسب تأييد العامة وفى إثارة حماسهم للجهاد وترغيبهم فى الإنفاق فى سبيل الله ، فالقضاة والمفتون والخطباء الذين يختارهم الحاكم ، يتفاوتون فى التقوى والعلم والورع ، فمنهم من يجامل الحكام فلا يأمرهم بمعروف ولا ينههم عن منكر ، ومنهم من لا يجامل أحداً ولا تأخذه فى الله لومة

(١) الذى يأتي مع المحيط الأطلسى من غرب أفريقيا ثم ينفذ إلى المحيط الهندى .

(٢) انظر فن الحكم فى الإسلام ص ٢٠٣ للدكتور مصطفى أبو زيد فهمى - المكتب المصرى الحديث .

لائم كالقاضي زكريا الأنصارى رحمه الله ، شيخ الخطيب الشربيني ، فقد كان رئيساً للقضاء ، ولما فشا ظلم الغورى أخذ ينصحه ويعرض بظلمه تارة ويصرح تارة أخرى ، حتى غضب عليه الغورى وأقاله عن رئاسة القضاء ، لصلابته فى الحق ، قال فى الكواكب عند ترجمته للقاضي زكريا : (ثم عزل عن القضاء بسبب خطه على السلطان بالظلم وزجره عنه تصريحاً وتعريضاً)^(١) .

وفى عهد الغورى أيضاًرمى رجل بالزنا ، فضرب فأقر بالتهديد ، وبعد ذلك أنكر ، فأفتى ابن ابى شريف^(٢) رحمه الله بعصمة دمه ، فغضب عليه الغورى ، لأنه يريد أن يرحم ذلك الرجل ، ولكن الشيخ صدع بالحق ، فعزله عن المدرسة التى يدرس بها ، وصلب الرجل على باب الشيخ ابن ابى شريف زيادة فى الظلم والطغيان^(٣) .

● عامة الشعب :

وهى الفئة التى تتكون من مجموعات من الناس تختلف فى أعمارها وأجناسها وثقافتها ولكن يدخلون تحت إمرة الحاكم ويمثلون الرعية والشعب ، وأما السلطة فيتصارع عليها السلاطين ، والعامه يخضعون للمنتصر ولا شك أن هذه الطبقة لها دور كبير فى الحياة العامة فهى التى تتولى الأعمال الزراعية والاقتصادية والمهنية .

(١) الكواكب السائرة ١ / ١٩٩ .

(٢) ابن أبى الشريف هو : إبراهيم بن محمد بن أبى شريف المقدسى الشافعى ، أحد العلماء الأفاضل والأفاضل الأجلاء ، درس فى بيت المقدس ، ثم رحل إلى القاهرة وأخذ عن كثير من علمائها ، توفى سنة ٩٢٣ هـ ودفن بالقاهرة الكواكب السائرة ١ / ١٠٢ .

(٣) انظر الكواكب السائرة ١ / ٢٩٥ .

فمنهم الزراع الذين يحرثون الأرض ويقومون بشؤونها ، ومنهم التجار الذين يقومون بالبيع والشراء والتصدير ، ومنهم أهل المهن والحرف كالنجارين والمهندسين والصناع ، وقد اشتهرت مصر بصناعة الزيت والورق والنسيج .

وأما العمارة فقد تنافس كثير من سلاطين المماليك والعثمانيين على بناء القلاع والجسور والمساجد وغيرها . فالغورى عندما اهتم بجمع الضرائب وكون مالية ضخمة (بدأ بصرفها فى تشييد المباني العامة الكبيرة فشق الترع وفتح الطرق ، وأقام الحصون على السواحل)^(١) .

فهذه الفئة كما قلنا هى التى يركز عليها الاقتصاد وغيره من الأعمال الأخرى وهى التى تكد وتكدح لينعم الآخرون من ذوى الجاه والسلطان .

● الأقيليات :

والمقصود بها الفئات غير الإسلامية كاليهود والنصارى ، وهذه الأقيليات حفظ لها الإسلام حقوقها ، وأحكام أهل الذمة معروفة ومفصلة فى كتب الفقه وشروح الحديث .

وقد نعم أهل الذمة فى ظل الإسلام بأتم الحرية ، فحفظت لهم أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ودينهم .

وما يحصل لهم من ظلم من بعض السلاطين فهو ظلم عام يصيب غيرهم من المسلمين .

وقد وقعت بعض الوقائع من بعض السلاطين الظلمة كالغورى الذى فرض على اليهود والنصارى ضرائب باهظة من أجل أن يجمع المال .

(١) القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٨١ للدكتور عبد الرحمن زكى .

● المبحث الثاني : الحالة الدينية والعلمية .

● الحالة الدينية :

عرف المماليك ومن بعدهم العثمانيون الأتراك الذين حكموا معظم الديار الإسلامية بحبهم للدين وتمسكهم بمذهب أهل السنة ، ومحاربتهم لأعداء هذا الدين ، وفي القرن العاشر لم تكن هناك فرق فكرية قوية ظاهرة سوى الطائفة المنصورة^(١) ، وفرق الشيعة والمتصوفة .

وقد كان لهذه الفرق أثر على الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية ويحسن أن نعرض لأهم تلك الفرق الموجودة في ذلك العصر باختصار .

١ - أهل السنة :

وهم أهل الحق والفرقة الناجية والطائفة المنصورة ، لذلك حاربهم كثير من المبتدعة منذ ظهور الفرق المتبوعة كالمعتزلة والخوارج والجهمية والشيعة وغيرهم من الفلاسفة ، ولكن انتصر أهل السنة وقلت البدعة وضعفت دعوتها وقمع دعواتها فقل أتباعها وأنصارها ، وهياً الله لأهل السنة من العلماء والأمراء من يدافع عن مذهب أهل الحق ، وكان لحب الأتراك العثمانيين ومن قبلهم المماليك لمذهب أهل السنة ، الأثر الطيب في قمع أعداء الإسلام من

(١) المراد بها أهل السنة والجماعة .

من النصارى الذين أرادوا أن يسيطروا على موانئ الدول الإسلامية في اليمن والحجاز ، والخليج العربي كما حارب العثمانيون الروافض الذين قويت شوكتهم ، كما مر معنا في مبحث الحالة السياسية والذين هزمهم السلطان سليم الأول^(١) .

٢ - الشيعة^(٢) :

فرقة مشهورة وهي طوائف كثيرة منها الرافضة^(٣) والزيدية^(٤) والاسماعيلية^(٥) فالرافضة والاسماعيلية يوجدون في إيران وباكستان ، وهناك قسم من الروافض في بعض البلدان العربية مثل العراق ولبنان وبلدان الخليج . أما الزيدية فتوجد في اليمن وهي أعدل طوائف الشيعة ، فلا يكفرون

(١) انظر جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين ص ١١٠ ، ١١١ وتاريخ الدولة العثمانية ص ٥١ والعالم الإسلامي ٢ / ١٨٣ ، ٢١٦ ، وجاء دور المحوس للدكتور محمد الغريب ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) الشيعة : هم الذين شايعوا علياً رضى الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت تكون بظلم من غيره أو بتقية من عنده ، انظر الملل والنحل ١ / ١٤٦ .

(٣) الرافضة : هي الإمامية الذين قالوا بإمامة على رضى الله عنه بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً ، وتعييناً صادقاً ، انظر الملل والنحل ١ / ١٦٢ . وسموا رافضة لرفضهم إمامة زيد بن على لترحمه على أبى بكر وتصحيح إمامته .

(٤) الزيدية : هم أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ، ومن أصولهم جواز أمامة المفضول مع وجود الفاضل ، فأقروا إمامة أبى بكر وعمر ، انظر الملل والنحل ١ / ١٥٤ .

(٥) الإسماعيلية : نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذين أثبتوا له الإمامة ، وهو أمر لم تثبته الرافضة ، ويعرفون أيضاً بالباطنية والقرامطة والمزدكية . انظر الملل والنحل ١ / ١٩١ .

أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، ويجوزون إمامتهما ، مع وجود الفاضل وهو على رضى الله عنه كما يرون .

ومن أحيث هذه الطوائف الرافضة ، فإنهم يكفرون أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين ، ويكفرون العلماء والأئمة من السلف الصالح مثل : سعيد بن المسيب^(١) ، والثوري^(٢) وأبي حنيفة ومالك والشافعي ويستحلون دماء من خرج عن عقيدتهم^(٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ويرون في أهل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة وسائر بلاد الإسلام ، أنه لا يحل نكاح هؤلاء ولا ذبائحهم ، وأن المائعات التي عندهم من المياه والأدهان وغيرها نجسة ، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى لأن أولئك عندهم كفار أصليون ، وهؤلاء مرتدون ، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي^(٤) .

ومعروف عن الرافضة أنهم يعتقدون نقصاً وتحريفاً في القرآن وذلك مسطور عندهم في أمهات كتبهم المعتمدة ، وإليك بعض الأمثلة على اعتقادهم في القرآن :-

(١) سعيد بن المسيب بن حزن الخزومي القرشي ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان فقيهاً ومحدثاً ، كثير الزهد والورع توفي سنة ٩٤ هـ في المدينة ، الأعلام ٣ / ١٥٥ ، البداية والنهاية ٩ / ٩٩ .

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أمير المؤمنين في الحديث كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، توفي في البصرة سنة ١٦١ هـ ، وفيات الأعيان ١ / ٢١٠ ، وشذرات الذهب ١ / ٣٥٠ .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨ / ٤٧٧ ، وانظر تبديد الظلام لإبراهيم الجبهان ص ٥٠٤ نشرته مكتبة الحرمين بالرياض ١٤٠١ هـ .

(٤) مجموع الفتاوى ٢٨ / ٤٧٨ .

روى الكليني بسنده قال : (نزل جبرائيل بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا : وإن كنتم في ريب مما أنزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله ^(١) .

وروى أيضاً بسنده قال : (نزل جبرائيل بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا : فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ^(٢) .

وكتب الرافضة مليئة بمثل هذه الافتراءات ، وقد ألف أحد محدثيهم المسمى النورى الطبرى ^(٣) كتاباً يزعم فيه تحريف القرآن سماه : فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب .

وفي أوائل القرن العاشر الهجرى زادت قوة الرافضة ، فدخلوا العراق وقتلوا كثيراً من علماء أهل السنة ، ولكن حب العثمانيين الأتراك للسنة جعلهم يهبون لنجدة إخوتهم فدخلوا عاصمتهم تبريز وطردهم من العراق ، ووقفوا سداً منيعاً في وجوه أهل البغى والضلال ^(٤) .

٣ - الصوفية :

ظهر التصوف في القرن الثالث الهجرى ، أما قبله فلم يكن معروفاً بهذا الاسم وكان من عوامل ظهوره ، شدة النزاع بين المسلمين وظهور الفرق

(١) نقلا عن الشيعة والقرآن ص ١٦٩ ، لإحسان إلهى ظهور .

(٢) الشيعة والقرآن ص ١٦٩ .

(٣) هو حسين بن محمد بن تقى النورى الطبرى ، محدث إمامى ، عالم بالسير والتاريخ ، له مصنفات عديدة ، ولد في إيران وتوفى في النجف سنة ١٣٢٠ هـ انظر أعيان الشيعة ، نجس الأمين العامل ٢٧ / ١٣٩ ، وانظر الأعلام ٢ / ٢٥٧ .

(٤) انظر الكواكب السائرة ١ / ٢٠٩ ، وتاريخ الدولة العلية ص ٧٤ .

المتدعة ، فكثرت الجدال بينها ، وحصل التعصب لبعض المذاهب ، فسلك أصحاب الزهد والتقشف هذا المسلك للابتعاد عن تلك الخلافات فانصرفوا إلى العبادة ، وآثروا الزهد والتصوف ، وابتعدوا عن الكلام والجدال .

ثم تغير التصوف بعد ذلك وأصبح فلسفة وإلحاداً ، لدخول أناس فيه كفروا بالله من أصحاب الحلول والاتحاد ، ففعلوا من القبائح الشنيعة والأباطيل الفظيعة ما يستحي من ذكره^(١) .

وارتفع شأن المتصوفة واتسع نطاق التصوف في عصر الماليك والعمانيين ، وكثرت الفرق الصوفية ، واعتقد العامة بالأولياء وسادت الدروشة ، وكثر ادعاء الكرامات ، واهتم الحكام والولاة من الماليك والعمانيين بالتصوف ، فوقفوا الأوقاف على زوايا الصوفية ، وبنوا الأضرحة ، وشيدوا القباب على القبور كما فعل السلطان سليم على قبر ابن عربي^(٢) ، مع أن الشرع يمنع مثل تلك الأعمال المخالفة للسنة .

* * *

(١) انظر هذه هي الصوفية للشيخ عبد الرحمن الوكيل ص ٣٢ وما بعدها ، مطبعة السنة الحمديّة ط - الثالثة ١٣٧٥ هـ .

(٢) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائى الأندلسى ، من أهل الغلو في التصوف ، توفي في دمشق سنة ٦٣٨ هـ ، انظر شذرات الذهب ٥ / ١٩١ .

• الحالة العلمية :

تبين من دراسة الحالة السياسية ، أنها كانت غير مستقرة بل كثرت فيها الفتن والاضطرابات الداخلية والخارجية ، وأثرت هذه الأحداث على الحالة العلمية والثقافية ، في منتصف القرن العاشر إلى حد ما ، فضعفت العلوم وقل الاهتمام بها ، وكان مطلع القرن العاشر يعد امتداداً للقرن التاسع وهو القرن الذي كانت فيه حركة علمية جديدة وخصوصاً في مصر نظراً لأنها كانت دار الخلافة^(١) ، قال السيوطي : (واعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الإسلام فيها وعلت فيها السنة ، وعفت منها البدعة وصارت محل سكن العلماء ومحط رجال فضلاء)^(٢) .

وقد شجع كثير من السلاطين المماليك النشاط العلمي ، وكان بعضهم يحضر مجالس العلم ، فمثلاً السلطان الغوري كان يعقد المجالس العلمية بالقلعة كل أسبوع مرة أو مرتين (فأصبحت مصر في عهد سلاطين المماليك ميداناً لنشاط علمي واسع ، يدل عليه ذلك التراث الضخم من موسوعات أدبية وكتب تاريخية ومؤلفات في العلوم الدينية تركها علماء ذلك العصر^(٣) .

ويعتقد كثير من الناس أن سقوط الخلافة في بغداد هو بداية الانحطاط العلمي في العالم الإسلامي ، حتى شاع عند كثير من المتعلمين أنه بمجرد أن يذكر سقوط بغداد تبادر إلى أذهانهم التخلف والجهل ، والواقع أن سقوط الخلافة في بغداد أصاب الأمة بهزة من جميع النواحي ومن بينها الناحية

(١) المراد بالخلافة : خلافة العباسيين في مصر وهي خلافة اسمية ، فعندما انتهت الخلافة العباسية في بغداد على يد التتار ، انتقل من بقي من العباسيين إلى مصر وهناك جعلت لهم الخلافة اسماً ، والسلطة في أيدي المماليك .

(٢) حسن المحاضرة ٢ / ٩٤ .

(٣) العصر الممالكي ص ٣٤١ .

العلمية ، إلا أن هذه الهزة لم تستطع إيقاف مسيرة العلم والتقدم الفكرى فى الأمة الإسلامية (فنمت فى مصر مراكز العلم ودور المعرفة والمكتبات فأصبحت ملاذ العلماء ومأوى طلبة العلم الذين يفدون عليها من كل مكان ولم يمنع الاضطراب السياسى الداخلى فى مصر من نشوء حركة علمية قوية^(١) . وكذلك فى بلاد الشام وغيرها ، ويمكن إجمال الأسباب التى جعلت الحركة العلمية تزدهر وخصوصاً فى مصر خلال العصر المملوكى فى عدة أسباب :- .

- ١- إنشاء المكتبات وخزانات الكتب التى ضمت أنواع المصنفات الثمينة .
 - ٢- قوة نفوذ العلماء لدى السلطات الحاكمة ، وشعور الحكام أنهم الدولة التى تدافع عن المسلمين .
 - ٣- تشجيع السلاطين للعلماء ورصد الأوقاف على المدارس والمساجد وحضور كثير من الأمراء دروس العلماء .
- كما اهتم العثمانيون بأمر الدين وتعظيم الفقهاء ، كما اهتموا بأمر الحجاز وخصوصاً الحرمين الشريفين وبنوا فيها المدارس .

وبدأ الركود يدب إلى الحياة العلمية والفكرية فى مصر وغيرها من بلدان المسلمين منذ منتصف القرن العاشر ، ويعتبر العهد العثمانى بالنسبة للبلاد العربية عموماً ومصر خصوصاً عهد التردى العلمى ، وإن كان ذلك غير مقصود فلم يعد هناك اهتمام بالعلم كما كان من قبل ، ويعتبر القرن العاشر وما بعده من الفترات التى قلت فيها المراجع التاريخية التى تتحدث عن تلك الفترة بل اعتبرت نادرة الوجود ، نظراً لانصراف الناس عن العلم ،

(١) المصدر نفسه .

قال الجبرتي عن قلة اهتمام الناس بالتاريخ في تلك الفترة : (ولم ترزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني تعتنى بتدوينه سلفاً عن سلف وخلفاً من بعد خلف إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه)^(١) . ولا يعنى هذا أن كلام الجبرتي يعم العهد العثماني كله ، على أنه لا ينكر أن المراجع التاريخية التي تتكلم عن فترة القرن العاشر وما بعده قليلة جداً ، كما أن تسرب الكتب التاريخية من مصر إلى البلاد الأخرى أدى إلى تدهور علم التاريخ في تلك الفترة ، فأصبحت المعلومات عنها قاصرة ، نظراً لذهاب تلك المراجع ، وقد ذكر الجبرتي أسماء الكتب التاريخية التي يعرفها ثم قال : (وهذه صارت أسماء من غير مسميات ، فإننا لم نر من ذلك كله إلا بعض أجزاء بقيت في بعض خزائن الأوقاف بالمدارس مما تداولته أيدي (الصحافيين) وباعها القومة المباشرون ونقلت إلى بلاد المغرب والسودان)^(٢) .

ولعل من أبرز الأسباب التي عملت على تدهور الناحية العلمية في

تلك الفترة ما يلي :-

١- اضطراب شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية حيث اشتد الصراع على الحكم وكثرت المظالم وازدادت الضرائب واختفى الشعور بالأمن والاستقرار فانعكس ذلك كله على الناحية العلمية ، لأن العلم لا يزدهر إلا في جو الرخاء والأمن والعدل .

٢- أدى التدهور في الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلى هبوط مستوى المعيشة الذي ترتب عليه انصراف الناس إلى طلب الرزق ، فانتشر الجهل وقل المتعلمون ، وهذا لا يعنى انعدام العلماء بل هناك علماء أفاضل درسوا العلم وحافظوا على علوم الشريعة واللغة ، كما

(١) عجائب الآثار ١ / ٩ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ١١ وانظر أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ٣ / ١٩٩ .

سيأتي ذكر أشهرهم إن شاء الله .

٣- انتشار الطرق الصوفية : لأن كثيراً من العلماء صار يعتقد بالأولياء وما يزعمونه من كرامات لا يصدقها العقل السليم ، وأصبح التصوف مظهراً من مظاهر الدروشة ، فانحط مستوى العلماء الفكري إلى مستوى العامة وكان سلاطين العثمانيين يشجعون التصوف وأكثروا من بناء الأضرحة ، فقد مر معنا أن السلطان سليماً الأول عمر قبة على ضريح ابن عربي ، كما عمر قبة على قبر الشافعي وغيرهما ، وعلى الرغم من هذا الضعف الذي حصل فإنه كانت هناك بعض مراكز العلم التي تعنى به تتمثل في : المدارس والمساجد والمكتبات :-

● المدارس :

كانت المدارس تقوم بتدريس بعض العلوم الشرعية خاصة الفقه ، ويقوم العالم الذي يتولى التدريس ، بتدريس الفقه على مذهبه ، فالطالب الذي يريد أن يدرس مذهباً معيناً يتجه إلى شيخ المذهب في المدرسة ويتلقى العلوم على يديه ، وسبل العلم مفتوحة للجميع ، وبعد أن يتم الطالب الدراسة ويكون أهلاً للإجازة ، يمنحه الشيخ إجازة بذلك تفيد أن الطالب قد درس على يديه كذا وكذا ، وقد كانت المدارس كثيرة في عهد المماليك في بلاد الشام ومصر مثل : المدرسة الظاهرية التي بناها السلطان الظاهر بيبرس^(١) .
والمدرسة الأشرفية التي بناها السلطان الأشرف برسباي الدقماقي^(٢)

(١) هو الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، ولى بعد مقتل السلطان المظفر قطز وكان شهماً شجاعاً ، توفي سنة ٦٧٩ هـ ، انظر البداية والنهاية ١٣ / ٢٢٢ ، وشذرات الذهب ٣٥٠ / ٥ .

(٢) هو الملك الأشرف برسباي بن عبد الله أبو النصر الدقماقي الجركسي ، سلطان مصر والشام والحجاز ، فتح قبرص وضرب على ملكها الجزية ، توفي سنة ٨٤١ هـ ، شذرات الذهب ٧ / ٢٣٨ .

والمدرسة الغورية التي بناها السلطان الغورى ، وفي عهد العثمانيين بدأت تقل وتهمل ، حتى أن النظار قد تصرفوا في شؤون المدارس الموقوفة على خلاف شروط وقفها ، ومع ذلك وجدت بعض المدارس في اسطنبول والشام ومكة ، منها المدارس المعروفة بالسليمانية التي بناها السلطان سليمان الأول قال العصامى بعد حديثه عن السلطان سليمان الأول (وبنى المدارس المعروفة بالسليمانية للأربعة الأئمة المالكي ثم الحنفى ثم الشافعى ثم الحنبلى)^(١) .

● المساجد :

أما المساجد التي كانت تقوم بنشر العلم فعلى رأسها الجامع الأزهر الذى بقى منارة شامخة للعلم فى القاهرة واستطاع بعون من الله أن يقف فى جميع الظروف محافظاً على اللغة والدين دائماً عن حمى الثقافة الإسلامية . ومنها مسجد محمد أبى الذهب الذى قرر أن يدرس فيه المذهب الحنفى والمالكي والشافعى وغيرهما من المساجد^(٢) .

● المكتبات :

للمكتبات دور عظيم فى نشر الثقافة والعلم ، وقد اهتم المسلمون بالكتب والمكتبات ، وازدهرت أسواق الوراقين الذين يكتبون الكتب وينسخونها ، ثم بدأت تقل بعد ذلك وخصوصاً فى بداية القرن العاشر واقتصرت المكتبات على بعض المساجد والزوايا ، نظراً لإهمال الناس لها ، حتى امتدت إليها الأيدى ، ونقلت إلى خارج مصر ، ولم يكن فى عصر العثمانيين مكتبات مشهورة فى مصر ما عدا مكتبة الأزهر ومكتبة الشيخ أحمد

(١) سمط النجوم العوالى ٤ / ٧٤ .

(٢) انظر : القاهرة ص٢٠٦ ، لشحاتة عيسى إبراهيم .

الشرايبي^(١) التي كانت تطل على بركة الأربكية^(٢) ، ويقوم على المكتبة خازن الكتب ومهمته ترتيب الكتب وتنظيمها وإرشاد القراء إليها .

• أبرز علماء عصره :

العلماء في كل زمان مشعل للثقافة ورمز للحياة الفكرية والعلمية وإن كان القرن العاشر بداية التردى العلمى والفكرى فى الوطن الإسلامى ، فإنه مازال فيه علماء لهم نشاطهم العلمى فى الحياة العامة ويتضح ذلك من أسماء العلماء الذين لهم مؤلفات فى مختلف فنون العلم ، وقد حملت إلينا كتب التراجم - على قلتها - أسماء بعض العلماء المشهورين ، فمن هؤلاء :-

١- الشيخ الإمام العلامة أحمد بن محمد القسطلانى المصرى الشافعى عالم جليل ، له مؤلفات عديدة ، من أبرزها : شرحه على صحيح البخارى المعروف بضياء السارى ، وكتاب الجنى الدانى فى حل ألفاظ حرز الأمانى ، توفى رحمه الله سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة .

٢- الشيخ الإمام عبد الرحمن بن محمد العليمى الخنبلى ، من أفاضل علماء الحنابلة فى بيت المقدس ، تولى عدة مناصب منها : قضاء بيت المقدس الذى مكث فيه أكثر من ثلاثين سنة له عدة مؤلفات منها : كتاب الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ، وله كتاب المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد ، وله كتاب فى التفسير اسمه : فتح الرحمن بتفسير الفرقان ، وهو مازال مخطوطاً^(٣) ، منه نسخة فى مكتبة على باشا الملحقه بالمكتبة السلیمانية باسطنبول برقم ١٤٣ ، ومنه نسخة أخرى فى أيرلندا فى مكتبة نشستريتى برقم ٣١٦٠ ، توفى رحمه الله

(١) لم أجد له ترجمة .

(٢) انظر القاهرة ص ٢٠٦ .

(٣) حقق فى قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بالرياض .

عام ثمان وعشرين وتسعمائة^(١) .

٣- الإمام العالم العلامة أبو محمد عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني ، وجيه الدين الشافعي ، نقل عنه في النور السافر شيئاً من ترجمته (قال رحمه الله ورضى عنه في آخر كتابه بغية المستفيد بأخبار زبيد : كان مولدى بمدينة زبيد المحروسة في يوم الخميس الرابع من شهر الله الحرام أول سنة ستة وستين وثمانائة بمنزل والدى)^(٢) وأخذ العلم عن كثير من علماء بلده وسافر إلى الحجاز ، وحفظ القرآن وقرأ بالقراءات السبع ، وله اشتغال بعلوم كثيرة مثل الفقه والتفسير والحديث والحساب والجبر والمقابلة ، له كتاب تمييز الطيب من الخبيث فيما اشتهر على ألسنة الناس من الحديث ، وله أيضا حدائق الأنوار في السيرة وكلاهما مطبوعان .

توفى رحمه الله في شهر رجب سنة أربع وأربعين وتسعمائة ، ودفن في بلده زبيد^(٣) .

٤- الإمام العلامة سعد الدين علي بن محمد بن علي بن عراق الكنانى الشافعى الحجازى ، حفظ القرآن وهو ابن خمس سنين ، له باع في الفقه والحديث ، ومن مصنفاته كتابه المشهور : تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة قال في الشذرات (توفى بالمدينة وهو خطيبها وإمامها)^(٤) وكانت وفاته سنة ثلاث وستين وتسعمائة .

(١) الكواكب ١ / ١٢٦ ، الأعلام ٣ / ٣٣١ .

(٢) النور السافر ص ٩١ للعيدروس .

(٣) انظر الكواكب السائرة ٢ / ١٥٨ ، والنور السافر ص ١٩١ ، والأعلام ٣ / ٣١٨ .

(٤) شذرات الذهب ٨ / ٣٣٨ ، وانظر الأعلام ٥ / ١٢ .

٥- العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي السعدى الأنصارى ، مفتى مكة من أفاضل العلماء فيها ، برع في تحصيل العلم في سن مبكرة ، قال ابن العماد : (وأذن له بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين)^(١) . له مؤلفات ورسائل مفيدة ، وقام بشرح المنهاج في فقه الشافعية وصنف : الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة .

ولد رحمه الله في مصر ونشأ وتعلم فيها ، ثم انتقل إلى مكة وجاور هناك إلى أن توفي في رجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة ودفن بالمعلاة^(٢) .

٦- الإمام أبو السعود بن محمد العمادى ، عالم الروم ، من أفاضل علماء الدولة العثمانية في القرن العاشر ، تولى قضاء القسطنطينية ثم عين مفتياً عاما لها ، له عدة مؤلفات أشهرها تفسيره المسمى : « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » قال الشوكانى في البدر الطالع في ترجمته له (وله تصانيف منها التفسير المشهور عند الناس بأبى السعود .. وهو من أجمل التفاسير وأحسنها وأكثرها تحقيقاً وتدقيقاً)^(٣) . وكانت وفاته عام اثنين وثمانين وتسعمائة ودفن بالقسطنطينية .

٧- الإمام العالم العلامة موسى بن أحمد الحجازى الصالحى الحنبلى ، مفتى الحنابلة في دمشق ، كان رحمه الله عالماً عاملاً زاهداً ، تولى مشيخة الحنابلة كما قام بالتدريس في الجامع الأموى .

(١) المصدر نفسه .

(٢) انظر الأعلام ١ / ٢٣٤ والكواكب ٣ / ١١١ .

(٣) البدر الطالع ١ / ٢٦١ للشوكانى .

ألف كتابه المشهور : الإقناع وهو من الكتب المعتمدة عند الحنابلة ،
توفي سنة ثمان وستين وتسعمائة ، ودفن بسفح قاسيون^(١) .

٨- العلامة زيد الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجم الحنفي ، كان على قدر
كبير من العلم ، أجزى بالإفتاء والتدريس في حياة أسياده ، وانتفع به
الناس ، له من المؤلفات : البحر الرائق شرح كنز الدقائق في فقه
الأحناف ، وله الأشباه والنظائر في قواعد فقههم وغير ذلك . توفي
سنة سبعين وتسعمائة^(٢) .

وهناك علماء آخرون كالقاضي زكريا الأنصاري وغيره وهم من
شيوخ الخطيب الشربيني سنتكلم عنهم في الحديث عن شيوخه .

* * *

(١) الكواكب السائرة ٣ / ٢١٦ .

(٢) شذرات الذهب ٨ / ٣٥٨ ، والكواكب ٣ / ١٥٤ .

○ الفصل الثاني ○

حياته الشخصية

● البحث الأول : ١ - اسمه ونسبه ولقبه^(١) .

هو شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني المشهور بالخطيب الإمام العالم الشافعي القاهري .

اتفقت المصادر التي ترجمت له على أن اسمه محمد ، واختلف في اسم أبيه ، فصاحب الكواكب السائرة ترجم له دون أن يسمى أباه ، أما ابن العماد فقد ذكر في الشذرات أن اسم أبيه محمد ، وتبعه على ذلك الدكتور الذهبي في كتابه « التفسير والمفسرون »^(٢) وكذلك تبعه محمد المغراوى في كتابه (المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات)^(٣) ، وقد صرح الخطيب الشربيني رحمه الله في خاتمة تفسيره باسم أبيه حيث قال : (وكان الفراغ من تأليفه يوم الإثنين المبارك ثالث عشر صفر الخير من شهور سنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة ، على يد مؤلفه فقير رحمة الله ربه القريب محمد بن أحمد الشربيني الخطيب)^(٤) .

(١) انظر ترجمته في الكواكب السائرة ٣ / ٧٩ ، شذرات الذهب ٨ / ٣٨٤ ، الأعلام

٦ / ٢٣٤ ، معجم المؤلفين ٨ / ٢٦٩ .

هدية العارفين ٢ / ٢٥٠ ، معجم المطبوعات العربية ١ / ١١٠٨ .

(٢) انظر التفسير والمفسرون ١ / ٣٣٨ .

(٣) المفسرون بين التأويل والإثبات ٢ / ١٩١ ط الأولى - مكتبة طيبة بالرياض ١٤٠٥ .

(٤) السراج المنير ٤ / ٦١٩ .

ولقب بشمس الدين ، وهذا من الألقاب الشائعة في تلك العصور
لتعظيم الدين وسلطانه في نفوس المسلمين .

والشربيني : نسبة إلى شربين بلدة في محافظة الدقهلية في مصر .

والشافعي : نسبة إلى مذهب الإمام الشافعي رحمه الله ، فهو من علماء
المذهب في القرن العاشر ومصنفاته الفقهية في مذهب الشافعي معتمدة عند
متأخري الشافعية مثل : مغني المحتاج ، والإقناع .

والقاهري : نسبة إلى القاهرة التي سكن بها .

* * *

• المبحث الثاني : مولده ونشأته :

لم تذكر المصادر التي ترجمت للخطيب الشربيني تاريخ مولده أو مكانه ، ويظهر أنه ولد في الربع الأول من القرن العاشر لأنه أخذ عن علماء توفوا في تلك الفترة ، فهذا شيخه زكريا الأنصارى المتوفى في سنة ست وعشرين وتسعمائة ، وهي أقدم وفاة وجدتها لشيخ من شيوخه .

أما نشأته فلا نعرف عنها شيئاً وليس لدينا معلومات عن طفولته ونشأته الأولى ، إذ لم يذكر الذين ترجموا له أخباراً عن ذلك ، وكذلك لا نعلم شيئاً عن أسرته ، فلعله كان من أسرة فقيرة غير معروفة ، ليس لها سبق في ميدان العلم فإن الناس يعرفون بعلمهم كما عرف هو بعلمه . ولكن يستنتج من وفاة شيخه القاضي زكريا أن نشأته كانت في القاهرة والله أعلم .

لم تذكر المصادر التي ترجمت له أنه تزوج أو أن له أولاداً ، وأشار رحمه الله إلى أولاده وذلك في خاتمة تفسيره إذ قال : (فנסأل الله الكريم الذى به الضر والنفع والإعطاء والمنع أن يجعله لوجهه خالصاً ، وأن يمدنى بحسن المعونة وأن يهب لى خاتمة الخير ويقينى مصارع السوء وأن يتجاوز عن فرطاتى يوم التناد ولا يفضحنى على رؤوس الأشهاد أنا ووالدى وأولادى ..)^(١) . إلا أننا لا نعلم عددهم سوى أنهم أكثر من واحد ، ولم تشر المصادر التي بين أيدينا عن شيء من ذلك كما مر ، ولكن المحيى أورد اسماً في تاريخه يظهر منه أن عبد الرحمن بن محمد الخطيب هو ابن الخطيب الشربيني . وقد ذكر أنه أخذ عن أبيه وسأجعل ترجمته في تلاميذه .

* * *

(١) السراج المنير ٤ / ٦١٩ .

• المبحث الثالث : وفاته :

بعد حياة مملوءة بالنشاط العلمى والتدريس والتأليف قضاها الخطيب الشريينى ، اختاره الله سبحانه وتعالى بعد عصر يوم الخميس وهو الثانى من شهر شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

وقد اتفقت جميع المصادر التى اطلعت عليها على سنة وفاته^(١) .

* * *

(١) انظر الكواكب السائرة ٣ / ٨٠ .

● المبحث الرابع : أخلاقه وصفاته :

كان الخطيب الشربيني رحمه الله صاحب أخلاق فاضلة وصفات رفيعة ، وقد أثنى عليه من ترجم له وذكروا خصاله الحسنة وسيرته الكريمة ولم يذكر فيه قدح أو زلة ، كما ذكرت المصادر التي ترجمت له أنه على جانب كبير من التقوى والورع والزهد والتقشف ، لا يهتم بأموال الدنيا ، وفي الكواكب : (وكان من عاداته أن يعتكف من أول رمضان فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد ، وكان يكثر من تلاوة القرآن ، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف)^(١) .

وإذا كان في سفر لا يركب الدابة إلا بعد تعب شديد وهذا من تواضعه ورأفته على الدابة ، كما كان على جانب كبير من الإيثار وتعليم الناس الخير فإذا خرج مع الحجاج أخذ يعلمهم المناسك وآداب السفر ويثبتهم على الصلاة ويعلمهم كيفية الجمع والقصر ، قال في الكواكب : (ويؤثر على نفسه ، كان يؤثر الخمول ولا يكثر بأشغال الدنيا ، وبالجملة كان آية من آيات الله تعالى وحجة من حججه على خلقه)^(٢) .

* * *

(١) المصدر نفسه ٣ / ٧٩ ، وانظر شذرات الذهب ٨ / ٣٨٤ .

(٢) الكواكب السائرة ٨ / ٣ .

○ الفصل الثالث ○

مكاته العلمية والأجتماعية

● المبحث الأول : طلبه للعلم :

طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ولهذا اهتم المسلمون بكثير من العلوم وأقبلوا عليها ، ورحلوا في سبيل الحصول عليها ، وعمررو المساجد والمدارس بحلقات العلم ، فأنتجوا إنتاجاً علمياً ضخماً ، وخلفوا ثروة ثقافية وفكرية عظيمة استفادت منها البشرية .

ومن خصائص طلبه العلم والعلماء المسلمين الرحلة إلى حواضر العالم الإسلامي لطلب العلم ، ولكن بعد قيام دولة المماليك في مصر ، وأصبحت القاهرة هي دار الخلافة ، وجاء إليها العلماء من كل مكان فراراً من الظلم ، وللتجمع العلمي الذي صار فيها بعد سقوط بغداد . فكثرت الرحلة إليها وقلت الرحلة في طلب العلم إلى سواها .

والخطيب الشربيني رحمه الله من أهل القاهرة ، وعالم بارز من علماء القرن العاشر ، لم تذكر المصادر أنه رحل خارج القاهرة لطلب العلم إلا ما ذكر أنه سافر إلى الحج عدة مرات فزار الحرمين الشريفين ، ولم يذكر أنه أخذ من أحد من علمائهما .

كذلك لم يذكر أنه أخذ العلم من أحد من أصحاب المذاهب غير مذهب الشافعي ، فكل شيوخه شافعية ، وكلهم من أهل القاهرة وعلى هذا فالخطيب قد طلب العلم في القاهرة متنقلاً بين مساجدها ومدارسها

وعلمائها ، إلى أن برز في العلم فدرس وأفتى في حياة أسياخه وانتفع به خلق كثير ، وأجمع أهل مصر على صلاحه ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع ، كما بادر إلى التأليف في فنون كثيرة مثل الفقه والتفسير والعقيدة واللغة وغير ذلك .

* * *

● المبحث الثاني : شيوخه وتلاميذه :

تبين مما سبق أن الخطيب الشربيني رحمه الله نشأ في القاهرة ، وتلقى العلوم فيها على أيدي علمائها فأفادوه في الفقه والتفسير واللغة والقراءات والنحو والعقيدة وغيرها ، وقد حاولت أن أتتبع أسماء شيوخه فوجدتهم قلة ، ولعل الذين لم أجد لهم ذكراً أكثر من ذلك ، وكذلك لم نجد لبعضهم ترجمة ، أما الذين حصلنا على ترجمة لهم فمنهم :

١ - القاضي زكريا بن محمد بن زكريا الأنصارى ، أصله من بلدة سنيكة من شرقية مصر ، رحل إلى القاهرة ، ودرس في الجامع الأزهر وأخذ الكثير من العلوم ، وبرع في الفقه والتفسير والقراءات والحديث وغيرها . وبعد أن صار أهلاً للإفتاء والتدريس ، أجازته شيوخه ، فأفتى ودرس وألف إلى أن وصل منصب رئيس القضاة ، فكان موفقاً في أقضيته ، وكان رحمه الله قوياً شجاعاً ، صادعاً بكلمة الحق ، فعندما كان في رئاسة القضاء فشا ظلم السلطان الغورى ، وينصحه حتى أنه صار يصرح أحياناً بظلم الغورى وهو موجود في المسجد فعزله السلطان ، وأفاد منه طلبة كثيرون منهم الخطيب الشربيني ، فكان لا يمل من التدريس ومذاكرة العلم .

(وبالجملة فقد صار أمثل أهل زمانه وأرأس العلماء من أقرانه ورزق البركة في عمره وعلمه وعمله وأعطى الحظ في مصنفاته وتلاميذه ، حتى لم يبق بمصر إلا طلبته وطلبة طلبته ، وقرىء عليه شرحه على البيهجة سبعاً وخمسين مرة حتى حرره أتم تحرير ، ولم ينقل ذلك عن غيره من المؤلفين^(١) .

وألف رحمه الله في مختلف الفنون في الفقه والتفسير والقراءات

(١) شذرات الذهب ٨ / ٢٣٦ .

والتجويد والنحو والصرف والتصوف والمنطق وغير ذلك ، وبلغت مؤلفاته واحداً وأربعين مؤلفاً .

توفي رحمه الله في شهر ذى القعدة سنة ست وعشرين وتسعمائة وصلى عليه بالجامع الأزهر ودفن بالقرافة^(١) .

٢ - ومنهم الشيخ الإمام المحقق شهاب الدين أحمد البرلسي الشافعي الملقب بعميرة ، كان عالماً زاهداً ورعاً حسن الأخلاق ، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الشافعي ، قام بالتدريس والإفتاء إلى أن أصابه الفالج ومات به سنة سبع وخمسين وتسعمائة^(٢) .

٣ - ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي المنوفي المصري الشافعي من أجل العلماء في زمانه ، وهو أحد تلاميذ الشيخ الأنصاري الأجلاء ، قال النجم الغزي : (وكان مقدماً عنده حتى أذن له أن يصلح في مؤلفاته في حياته وبعد مماته ولم يأذن لأحد سواه في ذلك ، وأصلح عدة مواضع في شرح البهجة وشرح الروض)^(٣) وهي للقاضي زكريا رحمه الله .

كما قام بشرح صفوة الزيد في الفقه ، وكتبه الناس في حياته وقرعوه عليه ، وله مؤلفات كثيرة ، وفتاوى مختلفة ، قام الخطيب الشربيني بجمع فتاويه ، فصارت مجلداً ، وانتهت إليه الرئاسة في العلوم الشرعية ، وجاءته الأسئلة من كثير من الأقطار ، وكان له تقدير وتعظيم عند علماء مصر . وكان رحمه الله على جانب كبير من التواضع ، يقوم بخدمة نفسه ولا يمكن أحداً أن يشتري له شيئاً من السوق إلى أن كبر سنه وعجز ، توفي رحمه الله في سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، وصلى عليه بالجامع الأزهر .

(١) انظر المصدر السابق ٨ / ٢٣٦ ، والكواكب ٣ / ١٢٣ .

(٢) انظر الكواكب السائرة ٢ / ١١٩ ، والشذرات ٨ / ٣١٦ .

(٣) شذرات الذهب ٨ / ٣١٦ ، والكواكب ٣ / ١١١ .

٤ - ومنهم : الإمام الفاضل بدر الدين محمد بن أبي بكر المشهدى المصرى الشافعى ، كان عالماً بالفقه والحديث والتفسير ، يتميز بدمائة الخلق والورع وكثرة العبادة ، ترك الشهرة وآثر الخمول ولم يسع إلى شيء من حطام الدنيا ، وكان كثير الانعزال عن الناس لا يفتر عن قراءة القرآن والذكر ، فإن أتاه أحد يقرأ عليه فتح له داره وإلا أغلق الباب .
توفى رحمه الله سنة اثنتين وستين وتسعمائة^(١) .

٥ - ومنهم الإمام ناصر الدين محمد بن سالم الطبلاوى الشافعى أحد العلماء الأفراد فى مصر بعد وفاة أقرانه ، تلقى العلم من علماء أجلاء ، وقام بالتدريس وتبحر فى التفسير والقراءات والفقه والنحو والحديث والأصول والمعانى والمنطق والكلام والحساب .

كان رحمه الله كثير التواضع متسامحاً سهلاً حسن الخلق قال ابن العماد : (وشهد له الخلائق بأنه أعلم من جميع أقرانه وأكثرهم تواضعاً وأحسنهم خلقاً وأكرمهم نفساً لا يكاد أحد يغضبه)^(٢) .
توفى سنة ست وستين وتسعمائة ودفن فى القاهرة .

وذكر النجم الغزى أسماء ثلاثة من شيوخه ، ولكن لم أحصل على ترجمة لهم وهم :

النور المحلى ، والنور الطهوانى ، ومحمد بن عبد الرحمن الكردى^(٣) .

● تلاميذه :

لم تذكر المصادر أسماء تلاميذه ، ولم نحصل على شيء من ذلك ، إلا

(١) انظر شذرات الذهب ٨ / ١٨٦ ، والكواكب ٣ / ٢٧ .

(٢) شذرات الذهب ٨ / ٣٤٨ ، والكواكب ٢ / ٣٣ .

(٣) انظر الكواكب السائرة ٣ / ٨٠ .

أن المحبى ذكر فى خلاصة الأثر أن من الذين أخذوا على الخطيب ابنه عبد الرحمن ، وهو الذى له شرح على البهجة الوردية سماه المواهب السنية ، وعبد الرحمن بن محمد المنعوت زين الدين بن شمس الدين الخطيب الشربى الفقيه الشافعى المصرى الإمام العمدة ابن الإمام العمدة ، كان من أهل العلم والبراعة فى فنون كثيرة ، حسن الأخلاق ، كثير التواضع ، أخذ عن والده وغيره ، وكان كثيراً ما يحج ، توفى فى صفر سنة أربع عشرة وألف (١) .

* * *

(١) خلاصة الأثر ٢ / ٣٧٨ .

• المبحث الثالث : ثقافته وآثاره العلمية :

كانت حياة الخطيب رحمه الله حياة مباركة ، وأفاء الله عليه بعقلية بارعة وذكاء متقد ، بحيث كانت له مناهل متعددة ، وموارد كثيرة ، فقد برع في الفقه واللغة والنحو والصرف وغيرها بالإضافة إلى أنه مفسر ضليع ، فنقلت لنا كتب التراجم مجموعة من أسماء مؤلفاته وهي :

١ - معنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، وهو شرح على متن المنهاج للإمام النووي ، وهو من أهم كتب فروع الشافعية المعتمدة عند المتأخرين ، ومن أوسعها انتشاراً ، وطبع في مصر طبعة قديمة في المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٨ هـ .

وطبع بعد ذلك في مطبعة الحلبي في أربعة مجلدات سنة ١٩٥٨ م .

٢ - الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ، وهو شرح على المختصر المسمى « غاية الاختصار » للعلامة أبي شجاع أحمد بن الحسين الأصفهاني الشافعي المتوفى سنة ٥٩٣ هـ .

وطبع في بولاق سنة ١٢٨٥ هـ وبعد ذلك طبعته مكتبة محمد علي صبيح ، ولقيمة هذا الكتاب وحسن تحريره قرر الأزهر تدريسه لطلاب المرحلة الثانوية في معاهده ، ويقع الكتاب في مجلدين .

٣ - مناسك الحج : وهو كتاب يبحث في أحكام الحج وما يتعلق به من عبادات وأركان وواجبات ، على مذهب الإمام الشافعي وطبع في مصر طبعة قديمة سنة ١٣١١ هـ في مطبعة عثمان عبد الرازق .

٤ - شرح التبيه وهو في فقه الشافعية تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن

على الشيرازى الفقيه المتوفى سنة ٤٧٦ هـ^(١) .

٥ - السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلمات ربنا الحكيم الخبير وهو تفسير كامل للقرآن الكريم ، طبع فى بولاق سنة ١٢٨٥ هـ ، ووضع بهامشه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن لتركيا الأنصارى .

وطبع فى بولاق مرة أخرى سنة ١٢٩٩ هـ ، ووضع بهامشه تفسير البيضاوى ، وطبع فى سنة ١٣١١ هـ فى المطبعة الخيرية ، ثم صورت دار المعرفة فى بيروت طبعة بولاق ونشرته وهى الطبعة التى اعتمدت عليها ، وهى فى أربعة مجلدات .

٦ - شرح منهاج الدين للحليمى فى شعب الإيمان ، وهو الإمام أبو عبد الله حسين بن الحسن الحليمى الجرجانى الشافعى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ والكتاب فيه أحكام كثيرة تتعلق بأصول الإيمان^(٢) .

٧ - فتح الخالق المالك فى حل ألفاظ كتاب ألفية ابن مالك وهو شرح لألفية العلامة محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، فى النحو^(٣) .

٨ - شرح شواهد القطر ، والقطر هو قطر الندى فى النحو لابن هشام وشرحه طبع فى مصر عدة طبعات قديمة ، فى سنة ١٢٨٣ هـ فى المطبعة الشرقية ، وطبع سنة ١٣٠٤ هـ بمطبعة عثمان عبد الرازق ، وطبع فى سنة ١٣١١ هـ فى المطبعة الوهيبية^(٤) .

(١) الكواكب السائرة ٣ / ٨٠ ، معجم المؤلفين ٨ / ٢٦٩ ، هدية العارفين ٢ / ٢٥٠ .

(٢) معجم المؤلفين ٨ / ٢٦٩ ، هدية العارفين ٢ / ٢٥٠ ، الكواكب السائرة ٣ / ٨٠ .

(٣) هدية العارفين ٢ / ٢٥٠ ، معجم المؤلفين ٨ / ٢٦٩ .

(٤) الأعلام ٦ / ٢٣٤ ، معجم المطبوعات العربية ص ١١٠٩ .

٩ - نور السجية في حل ألفاظ الأجرومية في النحو^(١) .

١٠ - الفتح الرباني في حل ألفاظ تصريف عز الدين الزنجاني ، وهو

أبو الفضائل إبراهيم بن عبد الوهاب بن عماد الدين بن إبراهيم الزنجاني المتوفى
بعد سنة ٦٥٥ هـ^(٢) .

١١ - تقارير على المطول في البلاغة ، طبع في مصر^(٣) .

* * *

(١) هدية العارفين ٢ / ٢٥٠ .

(٢) معجم المؤلفين ٨ / ٢٦٩ .

(٣) معجم المطبوعات العربية ص ١١٠٩ .

• المبحث الرابع : مذهبه :

مذهب الخطيب الشربيني في الفروع على مذهب الإمام الشافعي وهو من أعيان علماء الشافعية في القرن العاشر ، ولقيت مؤلفاته في فروع المذهب قبولاً واسعاً وصارت من الكتب المعتمدة .

أما مذهبه في الاعتقاد فقد سار على مذهب أهل التأويل في أسماء الله وصفاته ، فيرجح مذهب الأشاعرة في هذا ، كما سيأتي تفصيله في الباب الثاني عند الحديث عن موقفه من آيات الصفات إن شاء الله تعالى .

* * *

● المبحث الخامس : الوظائف التي تولاها :

من الوظائف التي تولاها الخطيب رحمه الله وظيفة التدريس ، فقد ذكر أنه أجزى بالتدريس فدرس في حياة أشياخه ، ولم يصل إلينا سوى هذا شيء ، ولعله لم يهتم بشيء من تلك المناصب لأنه رحمه الله كان زاهداً يحب الخمول وعدم الذكر والشهرة .

* * *

□ « الباب الثاني » □

منهجه في التفسير

وفيه ثمانية فصول :

- الفصل الأول : مصادره .
- الفصل الثاني : طريقته في تفسير الآيات .
- الفصل الثالث : اهتمامه بالأحكام الفقهية .
- الفصل الرابع : آراؤه في العقائد .
- الفصل الخامس : اهتمامه بعلوم القرآن .
- الفصل السادس : موقفه من الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة .
- الفصل السابع : عنايته بالتناسب بين الآيات والكتب التفسيرية والمشكلات القرآنية .
- الفصل الثامن : موقفه من بعض المفسرين الذين سبقوه .

○ الفصل الأول ○

مصادره في تفسيره

- المبحث الأول : مصادره في التفسير .
- المبحث الثاني : مصادره في القراءات .
- المبحث الثالث : مصادره في الحديث .
- المبحث الرابع : مصادره في اللغة والنحو .
- المبحث الخامس : مصادره في التاريخ والسير .

○ الفصل الأول ○

مصادره في تفسيره

مصادر الخطيب الشربيني رحمه الله من كتب التفسير والحديث والقراءات واللغة والسير كثيرة ، وقد اعتمد على كتب التفسير بالرأى وخصوصاً الزمخشري والبيضاوي والرازي ، كما اعتمد أيضاً على كتب التفسير بالمأثور ، فنقل عن الطبري والبغوي والقرطبي وابن كثير وغيرهم . وسأذكر أهم المصادر التي أخذ الشربيني منها مع ذكر بعض الأمثلة على ذلك . وفي مباحث :

● المبحث الأول مصادره في التفسير :

تعتبر كتب التفسير بالرأى أهم مصادر الخطيب الشربيني رحمه الله في تفسيره ، ثم تليها كتب التفسير بالمأثور ، وإليك بعض الأمثلة التي تبين طريقة إفادته من تلك التفاسير :

١ - كتب التفسير بالرأى :

- أفاد الخطيب الشربيني رحمه الله من الإمام الرازي^(١) ومن الأمثلة على ذلك :

(١) هو الإمام محمد بن عمر الرازي من الفقهاء والأصوليين المشاهير ومن المفسرين المعروفين - توفي سنة ٦٠٦ هـ وكتابه في التفسير اسمه « مفاتيح الغيب » .
انظر طبقات المفسرين للداودي ٢ / ٢١٥ .

* في قوله تعالى : ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذ هم
ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين ﴾^(١) .

نقل الخطيب الشربيني رحمه الله قول الرازي في الآية وهو وجوب
النظر في الآيات التي يضربها الله للناس من أجل العبرة ، وأن الذي لا ينظر
فيها فإنه مذموم ، قال الرازي : (والآية تدل على أن الواجب في الآيات
النظر فيها ، فلذلك ذمهم الله بأنهم غفلوا عنها ، وذلك على أن التقليد طريق
مذموم)^(٢) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير
صالح ﴾^(٣) .

أورد الشربيني في تفسيره قولاً نسبته لمجاهد والحسن : أن ولد نوح
ولد حنث^(٤) على فراشه ، لكنه لم يرض هذا القول ورده مستشهداً بقول
الرازي :

(وهذا قول واهٍ حيث يجب صون منصب الأنبياء عن هذه الفضيحة
لاسيما وهو خلاف نص القرآن)^(٥) .

ويعنى به قوله تعالى : ﴿ ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني
اركب معنا ﴾^(٦) .

(١) سورة الأعراف الآية ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) السراج المنير ١ / ٥٠٩ وانظر تفسير الرازي ١٤ / ٢٢١ .

(٣) سورة هود الآية ٤٦ .

(٤) أي ولد زنا .

(٥) السراج المنير ٢ / ٦١ ، تفسير الرازي ١٧ / ٢٣١ .

(٦) سورة هود الآية ٤٢ .

وأما دليل من قال : أنه ولد حنث فقوله تعالى في شأن امرأة نوح وامرأة لوط ﴿فخانتاهما﴾^(١) وحملوا الخيانة على خيانة الفراش ، وهذا باطل ، لأن الله عصم أعراض الأنبياء من الدنس ، والمراد بالخيانة في الآية خيانة الدين حيث لم تؤمنا لهما .

* وفي قوله تعالى : ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾^(٢) الآية .

قال الشرييني رحمه الله (قال الرازي : والآية دالة على أن طرق الكفر والبدع كثيرة وأن طريق الحق ليس إلا واحداً لأنه تعالى قال : ﴿لتخرج الناس من الظلمات﴾ وهي صيغة جمع وعبر عن الإيمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد ، وذلك يدل على أن طرق الجهل والكفر كثيرة وأن طريق العلم والإيمان ليس إلا واحداً)^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم﴾^(٤) ، (قال الرازي : وهنا لطيفة وهي أن للعبد أموراً هي أصناف حسناته ، عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وإنما يعلم ، وعمل لسانه وهو يسمع ، وعمل أعضائه وجوارحه وهو يرى ، فإذا أتى بهذه الأشياء جعل الله لمسموعه ما لا أذن سمعت ولمرئيه ما لا عين رأت ولععمل قلبه ما لا خطر على قلب بشر)^(٥) .

(١) سورة التحريم الآية ١٠ .

(٢) سورة إبراهيم الآية ١ .

(٣) السراج المنير ٢ / ١٦٧ .

(٤) سورة العنكبوت الآية ٥ .

(٥) السراج المنير ٣ / ١٢٥ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾^(١) .

نقل الخطيب الشرييني رحمه الله قول الرازي فيما أخذه من الآية (في الآية إشارة إلى بيان حال المؤلفة قلوبهم إذا أسلموا ويكون إيمانهم ضعيفاً فيقال لهم لم تؤمنوا لأن الإيمان إيقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبهم وسيدخل باطلاعهم على محاسن الإسلام)^(٢) .

كان غالب نقل الخطيب عن الرازي باختصار نظر لطول المسائل التي كان يناقشها الرازي .

- كما أفاد من تفسير البيضاوي^(٣) في مواضع عديدة نذكر منها :

* في قوله تعالى : ﴿ فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعاً ﴾^(٤) .

قال الخطيب الشرييني (قال البيضاوي : (والآية وإن نزلت في الحرب لكن يقتضى إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل الفوات)^(٥) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾^(٦) .

قال الخطيب الشرييني : (قال البيضاوي : وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما أنزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد ، وقصد بإنزاله ،

(١) سورة الحجرات الآية ١٤ .

(٢) السراج المنير ٤ / ٧٥ ، انظر تفسير الرازي ٢٨ / ١٤٢ .

(٣) الإمام العلامة عبد الله بن عمر الشيرازي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ، طبقات المفسرين للداودي ١ / ٢٤٨ .

(٤) سورة النساء الآية ٧١ .

(٥) السراج المنير ١ / ٣١٥ .

(٦) سورة المائدة الآية ٦٧ .

اطلاعهم عليه فإن من الأسرار الإلهية ما يحرم إنشاؤه^(١) .
* وفي قوله تعالى : ﴿ وتحتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب
العالمين ﴾^(٢) .

قال الشرييني : (قال البيضاوى : المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعانوا
عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعته بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة
بالسلامة من الآفات والفوز بأصناف الكرامات)^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه
إن كنتم صادقين ﴾^(٤) .

قال الخطيب الشرييني : (إن كنتم صادقين : أيها الكفار في أنهما
ساحران فأتوا بما ألزمتكم به ، قال البيضاوى : وهذا من الشروط التي يراد
بها الإلزام والتبكييت ولعل مجيء حرف الشك للتهمك بهم)^(٥) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وله المثل الأعلى في السموات والأرض ﴾^(٦) .
قال الخطيب الشرييني في تفسيره للمثل الأعلى (أى الوصف العجيب
الشان كالقدرة العامة والحكمة الشاملة ، قال البيضاوى : ومن فسر به بلا
إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية)^(٧) .

- وقد لاحظت أن الخطيب الشرييني رحمه الله ينقل عن البيضاوى في بعض
المواضع من تفسيره من غير أن يشير إلى ذلك ، ومن الأمثلة على هذا ما يلي :

(١) السراج المنير ١ / ٣٨٧ .

(٢) سورة يونس الآية ١٠ .

(٣) السراج المنير ٢ / ٧ .

(٤) سورة القصص الآية ٤٩ .

(٥) السراج المنير ٣ / ١٠٥ .

(٦) سورة الروم الآية ٢٧ .

(٧) السراج المنير ٣ / ١٦٦ .

* عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ ﴾^(١) .

قال الشربيني في تفسيره للحق : (أى بالصدق فى أخباره أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو فى موضع الحال)^(٢) .

وإليك عبارة البيضاوى فى تفسيره حيث فسر الحق (بالعدل أو بالصدق فى أخباره أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو فى موضع الحال)^(٣) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ ﴾^(٤) .

قال الخطيب الشربيني فى تفسيره للمتشابهات : (أى محتملات لا يتضح مقصودها لإجمال أو مخالفة ظاهرٍ إلا بالفحص والنظر ، فإن قيل : لم جعل بعضه متشابهاً ، وهلا كان كله محكماً ؟ أجيب : بأن فى التشابه من الابتلاء حكمة عظيمة ، وهى التمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ، وليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استبطاؤها ، فينالوا بها وابتاع القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات الدرجات العلاء عند الله ، فإن قيل : لم فرق هنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن محكماً فى موضع آخر فقال : ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْكِتَابَ مُحْكَمَاتٌ ﴾^(٥) وجعل كله متشابهاً فى

(١) سورة آل عمران الآية ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) السراج المنير ١ / ١٩٤ .

(٣) تفسير البيضاوى ٢ / ٢ ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت .

(٤) سورة آل عمران الآية ٧ .

(٥) سورة هود الآية ١ .

موضع آخر فقال : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ﴾^(١) ،
أجيب بأنه حيث جعل الكل محكماً فمعناه أن آياته حفظت من فساد المعنى
وركاكة اللفظ وحيث جعل الكل متشابهاً فمعناه أن آياته يشبه بعضها بعضاً
في صحة المعنى وجزالة اللفظ^(٢) وهذه عبارة البيضاوى في تفسيره
للمتشابهات قال : (. محتملات لا يتضح مقصودها لإجمال أو مخالفة ظاهر
إلا بالفحص والنظر ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في
تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وبإتباع
القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات ،
وأما قوله تعالى : ﴿ ألر كتاب أحكمت آياته ﴾ فمعناه أنه يشبه بعضه بعضاً
في صحة المعنى وجزالة اللفظ^(٣) .

- ويلاحظ أن الخطيب الشربيني رحمه الله قد نقل عن البيضاوى بدون أن
يشير إلى ذلك ، كما أنه تصرف قليلاً في النص عن طريق الإشكالات والإجابة
عليها من خلال كلام البيضاوى .

- كما أفاد الخطيب رحمه الله من تفسير الزمخشري^(٤) ، ومن المواضع التي
أخذها منه :

* عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾^(٥) .
بين الخطيب رحمه الله أن الهمة التي كانت ، إنما هي حديث نفس
ثم قال : (وقال الزمخشري : والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس ،
وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردّها صاحبها إلى الثبات

(١) سورة الزمر الآية ٢٣ .

(٢) السراج المنير ١ / ١٩٦ .

(٣) تفسير البيضاوى ٢ / ٤ .

(٤) هو محمود بن عمر جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ - أنظر طبقات المفسرين

للداودى ٢ / ٣١٤ .

(٥) سورة آل عمران ١٢٢ .

والصبر ويوطنها على احتمال المكروه^(١) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ ﴾^(٢) .

قال الخطيب الشربيني : (روى أن ناساً كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم فى شىء مما ساقه إلى امرأته فقال تعالى : إن طابت نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه هنيئاً مريئاً ، قال الزمخشري : وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقال : فإن طبن ولم يقل فإن وهين أو سمحن ! إعلاناً بأن المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة^(٣) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) .

قال الشربيني : (قال فى الكشاف : وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة ، كأنه جعل من لا يعمل غير عالم ، قال وفيه إزدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويقتنون ، ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله تعالى جهلة ، حيث جعل الله تعالى القانتين هم العلماء ، قال ويجوز أن يراد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون ، كذلك لا يستوى القانتون والعاصون^(٥) .

(١) السراج المنير ١ / ٢٤٣ .

(٢) سورة النساء الآية ٤ .

(٣) السراج المنير ١ / ٢٨١ .

(٤) سورة الزمر الآية ٩ .

(٥) السراج المنير ٣ / ٤٣٦ وانظر الكشاف ٣ / ٣٩٠ للزمخشري - دار المعرفة بيروت .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالطَّيْرَ صَافَاتٍ يَقْبِضُنَّ ﴾^(١) .

ذكر الخطيب الشربيني قول الزمخشري في تفسير الآية فقال : (قال الزمخشري : صافات باسقاط أجنحتهن في الجو عند طيرانها لأنهن إذا بسطنها صفنن قوادمها صفاً ﴿ وَيَقْبِضُنَّ ﴾ ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن ، فإن قلت لم قال ويقبضن ولم يقل قابضات ؟ قلت : لأن أصل الطيران هو صف الأجنحة ، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها ، وأما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك ، فجىء بما هو طارىء غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهم صافات ، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح)^(٢) .
- وقد نقل الخطيب الشربيني رحمه الله عن الزمخشري ولم يشر إلى ذلك :
* ففي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾^(٣) .

قال الشربيني عن الشعائر : (جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أى جعل شعاراً وعلماً للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى ، والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعى والحلق والنحر)^(٤) .

وإليك عبارة الزمخشري في كشافه ليتضح لك الأمر (الشعائر : جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أى جعل شعاراً وعلماً للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى ، والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها الإحرام والطواف والسعى والحلق والنحر)^(٥) . ويظهر من هذا أن

(١) سورة الملك الآية ١٩ .

(٢) السراج المنير .

(٣) سورة المائدة الآية ٢ .

(٤) السراج المنير ١ / ٣٥١ .

(٥) الكشاف ١ / ٥٩١ .

الخطيب الشريبي رحمه الله قد نقل نص الزمخشري في تفسيره دون إشارة أو تصرف .

* وفي قوله تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾^(١) .

قال الخطيب الشريبي رحمه الله : (والبخع أن يبلغ بالذبح البخاع بالخاء وبالباء وهو عرق مستبطن الفقار ، وذلك أقصى حد الذابح ، ولعل للإشفاق أى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إيمان قومك .. فصبره وعزاه وعرفه أن حزنه وغمه لا ينفع كما أن وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع)^(٢) .

وإليك عبارة الزمخشري في كشفه حيث يقول : (البخع أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ، ولعل للإشفاق يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك)^(٣) .

وفي هذا النص لم يتصرف الخطيب في نقله ولم يشر إليه بل نقله حرفياً من غير إشارة إلى قائله .

— كما أفاد الخطيب رحمه الله من تفسير أبي حيان^(٤) :

* ففي قوله تعالى ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾^(٥) .

قال الخطيب الشريبي رحمه الله في تفسير ﴿ خطبكم ﴾ أى شأنكم ،

(١) سورة الشعراء الآية ٣ .

(٢) السراج المنير ٣ / ٣ .

(٣) الكشف ٣ / ١٠٣ .

(٤) أبو حيان هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي المشهور

بأبي حيان ، وتفسيره : البحر المحيط ، توفي رحمه الله (٧٤٥ هـ) ، انظر طبقات

المفسرين للداودي ٢ / ٢٨٧ .

(٥) سورة الحجر الآية ٥٧ .

ثم أورد قول أبي حيان في معنى الخطب قال أبو حيان : (والخطب لا يكاد يقال إلا في الأمر الشديد)^(١) .

* وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾^(٢) .

أورد الخطيب رحمه الله قولاً لأبي حيان حول النكته في البدء بالخاص ثم بالعام (بدأ تعالى بخاص وهو الصلاة ثم بعام وهو واعبدوا ربكم ، ثم بأعم وهو وافعلوا الخير)^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فلما جاء سليمان قال أعمدونى بمال ﴾^(٤) .
والذى جاء سليمان ﷺ هو رسول ملكة سبأ قال الخطيب رحمه الله : (أى الرسول الذى بعثته والمراد به الجنس ، قال أبو حيان : وهو يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث)^(٥) .

* وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين ﴾^(٦) .

قال الخطيب - رحمه الله - : (أى خير من استعملت من قوى على العمل لشيء من الأشياء وأداء الأمانة ، ثم ذكر قول أبي حيان فى بلاغة قولها وجمال تعبيرها ، قال أبو حيان : (وقولها قول حكيم ، جامع لا يزداد عليه)^(٧) .

-
- (١) السراج المنير ٢ / ٢٠٦ .
 - (٢) سورة الحج الآية ٧٧ .
 - (٣) السراج المنير ٢ / ٥٦٧ .
 - (٤) سورة النمل الآية ٣٦ .
 - (٥) السراج المنير ٣ / ٥٩ .
 - (٦) سورة القصص الآية ٢٦ .
 - (٧) السراج المنير ٣ / ٩٣ ، وانظر على سبيل المثال أيضا ١ / ١٩٩ ، ٢ / ٤٧٥ ، ٧٠ / ٤ ، ٧١ .

— كما أفاد من تفسير الخازن^(١) :

* ففى قوله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾^(٢) .

ذكر الخطيب رحمه الله أن الآية قد نزلت في حمزة وأبى جهل ، كما ذكر رواية أخرى تقول إنها نزلت في عمار وأبى جهل فقال : (ونزل في حمزة وأبى جهل وقيل في عمار وأبى جهل^(٣)) ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق ﴾ أى يؤمن به ويعمل بما فيه وهو حمزة أو عمار رضى الله عنهما ﴿ كمن هو أعمى ﴾ أى أعمى البصيرة ، ولا يؤمن ولا يعمل بما فيه وهو أبو جهل . وقد حمل الخطيب رحمه الله الآية على العموم فقال : (قال ابن الخازن في تفسيره : وحمل الآية على العموم أولى ، وإن كان السبب مخصوصاً والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن هو لا يبصر الحق ولا يتبعه ، وإنما شبه الكافر والجاهل بالأعمى لأن الأعمى لا يهتدى لرشده^(٤)) .

— ومن المصادر التى أفاد منها الخطيب الشريينى أيضا تفسير ابن عادل^(٥) :
* ففى قوله تعالى : ﴿ فلما أتاها نودى من شاطيء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين ﴾^(٦) .

(١) هو علاء الدين على بن محمد الخازن المتوفى سنة ٧٢٥ هـ وكتابه : لباب التأويل فى معانى التنزيل ، انظر طبقات المفسرين للدوادى ١ / ٤٢٦ .

(٢) سورة الرعد الآية ١٩ .

(٣) السراج المنير ٢ / ١٥٥ .

(٤) السراج المنير ٢ / ١٥٥ ، وانظر على سبيل المثال ٢ / ٢١٦ ، ٣ / ٤٦٩ .

(٥) هو أبو حفص عمر بن على بن عادل الحنبلى ، وتفسيره اسمه : (اللباب فى علوم الكتاب) مخطوط منه نسخة فى تركيا فى مكتبة كوبريلى باسطنبول برقم ٥٥ ، ٥٦ ، ومنها صورة فى قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض برقم ٢٧٤٠ ، ٢٧٤١ / ف .

(٦) سورة القصص الآية ٣٠ .

ذكر الله سبحانه ندائه لموسى في سورة طه وفي سورة النمل وفي سورة القصص وفي كل سورة يذكره فيها يذكر شيئاً مختلفاً عن الآخر وقد يبدو في ظاهره تعارض ، وقد أزال الخطيب رحمه الله ذلك عندما نقل قول ابن عادل في ذلك : (قال ابن عادل : واعلم أنه تعالى قال : في سورة النمل : ﴿ نودى أن بورك من في النار ومن حولها ﴾^(١) ، وقال ههنا أى في سورة القصص : ﴿ إني أنا الله رب العالمين ﴾ وقال في سورة طه : ﴿ إني أنا ربك ﴾^(٢) .

ولا منافاة بين هذه الأشياء ، فهو تعالى ذكر الكل إلا أنه تعالى حكى في كل سورة ما اشتمل عليه ذلك النداء^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ﴾^(٤) . قال الشرييني رحمه الله (أى حين رؤية العذاب أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعبير ، قال ابن عادل : ويحتمل أن يقال : إنهم لما تراجعوا في القول رجعوا إلى الله تعالى بقولهم : أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً ، وأجيبوا بأن لا مرد لكم فأسروا ذلك القول^(٥)) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾^(٦) .

بين تعالى في الآية أن للموفى بعهده مع الله أجراً عظيماً ، وحول هذا

(١) سورة النمل الآية ٨ .

(٢) سورة طه الآية ١٢ .

(٣) السراج المنير ٣ / ٩٧ .

(٤) سورة سبأ الآية ٣٣ .

(٥) السراج المنير ٣ / ٣٠١ .

(٦) سورة الفتح الآية ١٠ .

الأجر .

قال الخطيب الشربيني رحمه الله : (لا تسع عقولكم شرح وصفه ، قال ابن عادل : والمراد به الجنة)^(١) .

- ومن الذين أفاد منهم الخطيب أيضاً تفسير البقاعى^(٢) . فمن الأشياء التي تميز بها تفسير البقاعى ، شرحه لمفردات البسملة في كل سورة بما يتناسب والسورة المفسرة ، وقد أخذ الخطيب رحمه الله هذا المسلك من البقاعى ، فأخذ كثيراً من تلك المعاني مباشرة من غير تصرف أو إشارة ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :-

* ففي شرح مفردات البسملة التي في سورة الشعراء قال الخطيب الشربيني :

بسم الله : الذى دل علو كلامه على عظمة شأنه وعز مرامه .

الرحمن : الذى لا يعجل على من عصاه .

الرحيم : الذى يحيى قلوب أهل وده بالتوفيق لما يرضاه^(٣) .

* وفي البسملة التي في القصص قال الخطيب رحمه الله :

بسم الله : الذى اختص بالكبرياء والعظمة .

الرحمن : الذى عم بنعمه أهل الإيمان والكفران .

الرحيم : الذى خص بنعمه بعد البعث أهل الإيمان^(٤) .

* وفي سورة الروم قال الخطيب عند شرحه لمفردات بسملتها :

(١) السراج المنير ٤ / ٤٣ .

(٢) هو برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥ هـ .

(٣) انظر السراج المنير ٣ / ٢ ، ونظم الدرر ١٤ / ٢ ، للبقاعى .

(٤) انظر السراج المنير ٣ / ٧٩ ونظم الدرر ١٤ / ٢٣٢ . وهذا التأويل على مذهب الأشاعرة .

بسم الله : الذى يملك الأرض .

الرحمن : الذى رحم الخلق كلهم بنصب الأدلة .

الرحيم : الذى لطف بأوليائه^(١) .

* وفى سورة السجدة قال :

بسم الله : ذى الجلال والإكرام .

الرحمن : بعموم البشارة والندارة .

الرحيم : الذى أسكن فى قلوب أحبائه الشوق إليه والخضوع بين

يديه^(٢) .

* وفى سورة المنافقون قال الخطيب رحمه الله :

بسم الله : الذى له الإحاطة العظمى علماً وقدرة .

الرحمن : الذى ستر بعموم رحمته من أراد من عباده .

الرحيم : الذى وفق أهل وده لما يحبه ويرضاه^(٣) .

- ومن المواضع الأخرى التى أفاد منها الخطيب سوى شرح مفردات البسملة

ما يلي :

* عند قوله تعالى : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ﴾^(٤) .

قال الخطيب رحمه الله : (أى أرض مصر - قال البقاعى : التى هى

كالأرض كلها لكثرة منافعها بالملك فيها ، لتمكنه من الحكم بالعدل

والنبوة)^(٥) .

(١) انظر السراج المنير ٣ / ١٥٥ ونظم الدرر ١٥ / ١ .

(٢) انظر السراج المنير ٣ / ٢٠١ ، ونظم الدرر ١٥ / ٢٢٢ .

(٣) انظر السراج المنير ٤ / ٢٩١ ، ونظم الدرر ٢٠ / ٧٣ .

(٤) سورة يوسف الآية ٢١ .

(٥) السراج المنير ٢ / ١٩٩ .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾^(١) .

بين الخطيب رحمه الله أن السمع والبصر والفؤاد آلات لإزالة الجهل ، ثم وضع الحكمة من جميع الأبصار والأفئدة وإفراد السمع فقال : (قال البقاعي : ولعله تعالى جمعها أى الأبصار والأفئدة - دون السمع لأن التفاوت فيهما أكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه إلا الله)^(٢) .

وفي سورة الإسراء ذكر الله سبحانه وتعالى أنه أسرى بعبده ﷺ إلى المسجد الأقصى لكنه لم يذكر المعراج قال الخطيب : (قال البقاعي : ولعل حذف ذكر المعراج من القرآن هنا لقصور أفهامهم عن إدراك أدلته لو أنكروه ، بخلاف الإسراء فإنه أقام دليله عليهم بما شاهدوه من الأمارات التي وصفها لهم ، وهم قاطعون بأنه ﷺ لم يرها قبل ذلك)^(٣) .

٢ - كتب التفسير بالماثور :

- كذلك أفاد الخطيب الشربيني رحمه الله من كتب التفسير بالماثور ومن عمدته في ذلك تفسير الإمام الطبري^(٤) ، فمن المواضع التي أفاد منه الخطيب الشربيني رحمه الله :

* عند قوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ﴾^(٥) .

(١) سورة النحل الآية ٧٨ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٢٥٢ ونظم الدرر ١١ / ٢٢٢ .

(٣) السراج المنير ٢ / ٢٧٤ ونظم الدرر ١١ / ٢٨٦ .

(٤) هو الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري ، له تصانيف مشهورة توفى سنة ٣٤٠ هـ وتفسيره مشهور عند أهل العلم وهو جامع البيان عن تأويل أى القرآن ، انظر طبقات المفسرين للداودي ٢ / ١١٠ ، والبداية والنهاية ١١ / ١٤٥ .

(٥) سورة الروم الآية ١٤ ، ١٥ .

قال الخطيب رحمه الله في تفسير الروضة : وهى أرض عظيمة جداً منبسطة واسعة ذات ماء غدق ونبات معجب بهيج هذا أصلها فى اللغة ثم أورد قول الطبرى فى وصفه لجمال الروضة وحسن رائحتها ، قال الطبرى : (ولا تجد أحسن منظراً ولا أطيب نشراً من الرياض)^(١) .
 * وفى قوله تعالى : ﴿ إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله ﴾^(٢) .
 ذكر الخطيب رحمه الله قول الطبرى فى أصل الغض فقال : (قال الطبرى : وأصل الغض الكف فى لين)^(٣) .

هذا وقد اعتمد الخطيب الشربىنى رحمه الله فى نقل كثير من المأثور على الإمام الطبرى .

- وقد أخذ منه من غير أن ينسبه إليه :

* وفى قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾^(٤) .
 أورد الخطيب رحمه الله أقوال المفسرين فى معنى قدم صدق فقال :
 (اختلفت عبارات المفسرين وأهل اللغة فى معنى قدم صدق ، فقال ابن عباس : أجراً حسناً بما قدموا من أعمالهم ، وقال مجاهد : الأعمال الصالحة ، صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم .

وقال الحسن : عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه ، وقال زيد بن أسلم : هو شفاعة الرسول ﷺ)^(٥) .

وإليك عبارة الإمام الطبرى رحمه الله فى تفسير معنى قدم صدق قال :

(١) السراج المنير ٣ / ١٦٠ .

(٢) سورة الحجرات الآية ٣ .

(٣) السراج المنير ٤ / ٦١ .

(٤) سورة يونس الآية ٢ .

(٥) السراج المنير ٢ / ٣ .

(واختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ قدم صدق ﴾ فقال بعضهم معناه : أن لهم أجراً حسناً بما قدموا من صالح الأعمال ، ثم ذكر الأسانيد إلى من قالوها ، فعن ابن عباس قوله في : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قد صدق عند ربهم ﴾ يقول : أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم . وعن مجاهد : أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال : صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسيبهم . وقال آخرون : معنى ذلك : أن محمداً ﷺ شفيع لهم . ثم ساق السند إلى من قال ذلك فقال : عن قتادة أو الحسن : ﴿ أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ :

قال : محمد شفيع لهم . وعند زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ قال : محمد ﷺ^(١) .

والذى يقارن بين عبارتي الخطيب والإمام الطبرى ، يجد أن الخطيب قد نقل من الطبرى بلا إشارة ، ولكن يتصرف أحيانا بالعبارة بالحذف والإضافة فيلخص الموضوع وكان جل اعتماده عليه في نقل كثير من المأثور عن السلف .

— كما أفاد الخطيب أيضاً من تفسير الإمام البغوى^(٢) فمن المواضع التى نقل منها : * عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لفتهاه ﴾^(٣) .

ذكر الخطيب رحمه الله أقوال أهل التفسير في المراد بموسى في الآية فقال : (أكثر العلماء على أن موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن

(١) انظر تفسير الطبرى ١١ / ٨١ - الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨ هـ ، مصطفى البابى الحلبي - مصر .

(٢) هو الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الغراء المعروف بالبغوى المتوفى سنة ٥١٤ هـ وتفسيره « معالم التنزيل » ، انظر طبقات المفسرين للدوادى ١ / ١٦٠ .

(٣) سورة الكهف الآية ٦٠ .

عمران صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة ، وعن كعب الأحبار أنه موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب ، وهو قد كان نبيا قبل موسى ابن عمران ، قال البغوى : والأول أصح^(١) . وقد أيد الخطيب رحمه الله قول البغوى باستشهاده له بكلام القفال^(٢) حيث قال : (واحتج له القفال بأن الله تعالى لم يذكر في كتابه موسى إلا أراد به صاحب التوراة ، فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه ولو كان المراد شخصاً آخر يسمى موسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وإزالة الشبهة)^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ واضمم إليك جناحك من الرهب ﴾^(٤) .

وفي بيان معنى الرهب نقل الخطيب الشربيني قول البغوى فيه : (قال البغوى : وقيل الرهب الكم بلغة حمير ، قال الأصمعى سمعت بعض الأعراب يقول : أعظني ما في رهبك أى في كمك ، ومعناه اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم لأنه تناول العصا ويده في كمه)^(٥) .

- وقد لا حظت أن الخطيب الشربيني ينقل عن البغوى في بعض المواطن من غير إشارة إلى أنه نقل عنه :

* ففي قوله تعالى : ﴿ ص والقرآن ذى الذكر ﴾^(٦) .

ذكر الخطيب رحمه الله تفسير الآية ، فقال : (ص ، فقيل قسم ، وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور ،

(١) السراج المنير ٢ / ٣٨٨ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن علي القفال الشاشي الشافعي ت ٣٩٢ هـ .

(٣) السراج المنير ٢ / ٣٨٨ .

(٤) سورة القصص الآية ٣٢ .

(٥) السراج المنير ٣ / ٩٨ وانظر أيضاً ٢ / ٦٦ ، ٢ / ٥٦٥ ، ٣ / ٥٢٣٥ .

(٦) سورة ص الآية ١ .

وقال محمد بن كعب القرظي : مفتاح اسمه الصمد ، وصادق الوعد ، وقال الضحاك : معناه صدق الله ، وروى عن ابن عباس ، صدق محمد ﷺ .
﴿ ذى الذكر ﴾ أى الموعظة والتذكير ، وقال ابن عباس : ذى البيان ، وقال الضحاك : ذى الشرف ودليله قوله تعالى : **﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾** ^(١) ^(٢) .

وإليك عبارة الإمام البغوى رحمه الله فى معالم التنزيل : (ص) قيل هو قسم وقيل : اسم للسورة ، كما ذكرنا فى سائر حروف التهجى فى أوائل السور ، وقال محمد بن كعب القرظي : (ص) مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد ، وقال الضحاك : معناه صدق الله ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنه : صدق محمد ﷺ ، **﴿ والقرآن ذى الذكر ﴾** أى ذى البيان قاله ابن عباس ، وقال الضحاك : ذى الشرف دليله قوله تعالى **﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾** ^(٣) .

تبين من هذه المقارنة أن الخطيب الشربيني رحمه الله قد نقل نص البغوى من غير تصرف أو إشارة .
 - كما أفاد الخطيب رحمه الله من تفسير الإمام القرطبي ^(٤) ، فمن المواضع التى أخذ عنه :
 * عند تفسير قوله تعالى : **﴿ وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴾** ^(٥) .

(١) سورة الزخرف الآية ٤٤ .

(٢) السراج المنير ٣ / ٣٩٩ .

(٣) معالم التنزيل ٦ / ٤٠ بهامش الخازن ، دار الفكر بيروت ، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م .

(٤) هو الإمام محمد بن أحمد بن فرح الأنصارى الخزرجى المالكى القرطبي وهو من العلماء المشهورين الزاهدين توفى سنة ٦٧١ هـ ، وكتابه فى التفسير مشهور وهو : الجامع لأحكام القرآن ، انظر طبقات المفسرين ٢ / ٦٩ .

(٥) سورة الطلاق الآية ٢ .

ذكر الخطيب رحمه الله أقوال الفقهاء في الإشهاد على الرجعة وحكمه ، ومن جامع بنية الرجعة ، ومن جامع بغير نية ثم نقل عن القرطبي رأياً للإمام مالك فقال : (قال القرطبي : وكان مالك يقول : إذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ، ولا يعود إلى وطئها حتى يستبرئها من مائه الفاسد ، وله الرجعة في بقية العدة الأولى)^(١) .

* وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴾^(٢) .

قال الخطيب : (قال القرطبي : والآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا ، فعوقبوا قبل فعلهم)^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾^(٤) .

نقل الخطيب رحمه الله قول القرطبي في بيان معنى الرصد فقال : (قال القرطبي : الرصد قيل من الملائكة ، والرصد الحافظ للشيء ، والجمع أرصاد ، وقيل الرصد هو الشهاب أى شهاباً قد أرصد له ، ليرجمه به فهو فعل بمعنى مفعول)^(٥) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾^(٦) .

ذكر الخطيب أقوالاً متعددة في المراد بالمساجد من بينها قول القرطبي الذى يقول فيه : (المراد بها البيوت التى تبنيتها أهل الملل للعبادة)^(٧) .

(١) السراج المنير ٤ / ٣١٣ - وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٥٨ ، دار الكتاب العربى - القاهرة ١٩٦٧ م .

(٢) سورة القلم الآية ١٧ .

(٣) السراج المنير ٤ / ٣٥٩ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٤١ .

(٤) سورة الجن الآية ٩ .

(٥) السراج المنير ٤ / ٤٠٢ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ١٤ .

(٦) سورة الجن الآية ١٨ .

(٧) السراج المنير ٤ / ٤٠٥ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٢٠ .

- هذا وإن الخطيب رحمه الله قد نقل عن عدد من المفسرين المشهورين إلا أنه لم يكن مكثرًا من النقل عنهم ولهذا نترك ضرب الأمثلة ونكتفي بالإشارة إلى بعض المواضع التي نقلها منهم في تفسيره ، والمفسرون هم :
- ١- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المتوفى سنة ٥٤٦ هـ ، وكتابه :
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز^(١) .
- ٢- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، وكتابه :
النكت والعيون^(٢) .
- ٣- جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ - وكتابه : الدر المنثور
في التفسير بالمأثور^(٣) .

* * *

-
- (١) انظر على سبيل المثال بالسراج ١ / ٥٦٠ ، ٢ / ٢٦٦ ، ٣ / ١٤٥ .
- (٢) ورد ذكره في تفسيره انظر على سبيل المثال ٣ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٤ / ١٢٥ ،
٣٥٣ .
- (٣) ذكره في تفسيره انظر على سبيل المثال ١ / ٣٤٩ ، ٤٠٨ ، ٢ / ٢٩٠ .

• المبحث الثاني : مصادره في القراءات :

لم يذكر الخطيب الشربيني في تفسيره إلا القراءات السبع ، وقد نص على هذا في مقدمة تفسيره فقال : (وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات فهو من السبع المشهورات)^(١) . حتى أنه لما ذكر قراءة شاذة بين سبب إيرادها : * ففي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٢) .

قال : (وقرئ شاذاً من أنفسهم بفتح الفاء ، ثم قال : ولم أذكر في التفسير قراءة شاذة إلا هذه لكونها في شرف الرسول ﷺ)^(٣) . فهو رحمه الله يذكر القراءة ومن قرأ بها ، لكنه لا يذكر المصدر الذي أخذ منه ولا بد أنه اعتمد على كتب القراءات التي اقتصر على القراءات السبع مثل كتاب : التبصرة في القراءات السبع ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، المتوفى سنة ٤٣٧ هـ ، وكتاب الحجة في علل القراءات السبع للحسن بن أحمد الفارسي المشهور بأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ .

وكتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ .

* * *

(١) السراج المنير ١ / ٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

(٣) السراج المنير ١ / ٢٦٢ .

● المبحث الثالث : مصادره من كتب السنة :

احتوى تفسير الخطيب الشربيني على كثير من الأحاديث الشريفة ، وقد اهتم الخطيب بإيرادها للاستشهاد بها ، فإن الحديث النبوى هو المصدر الثانى بعد القرآن فى توضيح المراد من كلام الله ، فاعتنى الخطيب الشربيني بإيراد الأحاديث الصحيحة والحسنة ، بل إنه قال إنه لم يورد من الأحاديث إلا الصحيحة أو حسنها ، وقد كان هذا إلى حد لا بأس به ، إلا أنه ذكر بعض الأحاديث الضعيفة من غير إشارة إلى ضعفها ، كما سيأتى فى مبحث موقفه من الأحاديث الضعيفة .

وكان جل اعتماده على الصحيحين وبعض دواوين السنة المشهورة ومن هذه المصادر التى اعتمد عليها وأخذ منها :

١ - صحيح البخارى ، للإمام محمد بن إسماعيل البخارى المتوفى سنة

٢٥٦ هـ .

* فعند قوله تعالى : ﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً ﴾^(١) .

بعد أن تحدث الخطيب عن كيفية ذلك الحشر ، وقدرة الله على ذلك استشهد بما رواه البخارى فقال : « روى البخارى أن رجلاً قال : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ، قال : الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة »^(٢) .

(١) سورة الفرقان الآية ٣٤ .

(٢) انظر السراج المنير ٢ / ٦٦١ ، وصحيح البخارى ٦ / ١٤ كتاب التفسير .

٢ - صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري
المتوفى سنة ٢٦١ هـ .

* فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم
وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾^(١) .

رجح الخطيب أن الختم هو إسكات الألسنة ، وأن الله ينطق
جوارحهم ، فتشهد عليهم ، وأن هذا في قدرة الله يسير ، ثم استشهد على
ذلك بما رواه مسلم قال :

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ
فضحك ، فقال : هل تدرون مم أضحك ؟ قال : قلنا الله ورسوله أعلم ،
قال : من مخاطبة العبد ربه ، قال يقول العبد : يارب ألم تجرني من الظلم
فيقول بلى ، فيقول : إني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني ، فيقول تعالى
كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتين شهوداً ، فيختم على فيه
ويقول لأركانه انطقي فتنتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول بعداً
لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل)^(٢) .

٣ - سنن الترمذى للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذى المتوفى
سنة ٢٧٩ هـ .

* عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾^(٣) .

فسر الخطيب الشربيني الكتاب في الآية باللوح المحفوظ ، وأن كل

(١) سورة يس الآية ٦٥ .

(٢) انظر السراج المنير ٣ / ٣٦٠ ، وصحيح مسلم ٤ / ٢٢٨ ، كتاب الزهد ١٧ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٥٨ .

شيء مقدر ومكتوب فيه ، ثم أورد حديثاً أخرجه الترمذى ليقوى به ما قال ،
(قال عبادة بن الصامت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول ما خلق الله
القلم ، فقال : اكتب ، فقال : وما أكتب ؟ قال : القدر ، ما كان وما هو
كائن إلى أبد الأبد)^(١) .

٤ - سنن أبي داود ، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى
سنة ٢٧٥ هـ .

* أورد الخطيب الشربيني حديثاً رواه أبو داود وذلك عند تفسير قوله تعالى :
﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم
وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ﴾^(٢) .

بين الخطيب المراد بالإيمان بما عند أهل الكتاب ، وهو إيمان بأصل
كتبهم لأنها حق ، وإن نسخ منها ما نسخ مادام ليس عندنا ما يصدقها أو
ما يكذبها ، واستدل لهذا بما رواه أبو داود ، أنه ﷺ قال : (لا تصدقوا
أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله ، فإن قالوا باطلاً
لم تصدقوهم ، وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم)^(٣) .

٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١ هـ .
* ذكر الخطيب الشربيني حديثاً رواه الإمام أحمد في مسنده وذلك عند
تفسير قوله تعالى :

﴿ وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

(١) انظر السراج المنير ٢ / ٣١٥ ، وسنن الترمذى ٤ / ٤٥٧ ، كتاب القدر ١٧ وقال

عنه : غريب من هذا الوجه ، وفيه عبد الواحد بن سليم قال في التقريب ضعيف .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

(٣) رواه أبو داود ٣ / ٣١٨ في كتاب العلم ، وهو صحيح عنده ، وانظر السراج المنير

٣ / ١٤٤ .

والسائلين ﴿١﴾ .

بين الخطيب رحمه الله أن المراد بالسائلين هم الذين ألبتاهم الحاجة للسؤال ، ثم ذكر الحديث الذى رواه الإمام أحمد مستدلاً به على أن السائل ينبغي أن يعطى وإن بدا أنه غير محتاج ، قال صلى الله عليه وسلم : « للسائل حق وإن جاء على ظهر فرس » ^(٢) .

ونكتفى بما سبق من الأمثلة التى توضح كيفية أخذه من تلك المصادر فلعلنا نرى مزيداً من ذلك خلال الرسالة إن شاء الله .

* * *

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ١ / ٢٠١ ، المكتب الإسلامى ط الخامسة ١٤٠٥ هـ
والحديث حسن ، وانظر السراج المنير ١ / ١١٥ .

● المبحث الرابع : مصادره من كتب اللغة :

اعتمد الخطيب الشربيني في تفسيره على كثير من كتب اللغة التي لها صلة بالقرآن الكريم مثل كتب معاني القرآن وغريبه ، وغيرها من الكتب اللغوية الأخرى كالقواميس وكتب النحو .

وإليك أبرز المصادر التي أفاد منها :

- كتاب معاني القرآن للفراء^(١) :

* ففى قوله تعالى : ﴿ إن يمسخكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾^(٢) .

ذكر الخطيب الشربيني : أن القرح الذى مسهم هو ما أصابهم يوم أحد من جرح وجهه ومشقة ، ثم أورد قول الفراء فى معنى القرح فقال : (قال الفراء : القرح بالفتح الجرح وبالضم ألمه)^(٣) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾^(٤) .

ذكر الخطيب رحمه الله قول الفراء فى بيان معنى الكره فقال : (وقال الفراء الكره بالفتح ما أكره عليه ، وبالضم المشقة)^(٥) .
* وفى قوله تعالى : ﴿ وهزى إليك بمجدع النخلة ﴾^(٦) .

(١) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، انظر طبقات المفسرين ٢ / ٣٦٧ ، والبداية والنهاية ١٠ / ٢٦١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٠ .

(٣) السراج المنير ١ / ٢٤٩ ، وانظر معاني القرآن للفراء ١ / ٢٣٤ ، ط الثالثة ١٤٠٣ هـ عالم الكتب - بيروت .

(٤) سورة النساء الآية ١٩ .

(٥) السراج المنير ١ / ٢٩٠ .

(٦) سورة مريم الآية ٢٥ .

قال الخطيب الشربيني مبينا معنى الباء في قوله « بجذع » (والباء في :
 بجذع زائدة والمعنى : هزى إليك جذع النخلة كما في قوله تعالى : ﴿ ولا
 تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾^(١) قال الفراء تقول العرب : هزه وهز به ،
 وخذ الخطام ، وخذ بالخطام وزوجتك فلانة وبفلانة^(٢) . ومراد الخطيب
 بالزيادة : أن الكلام يصح لو حذف لأن الزيادة في اللغة الفضل ، ولكن
 لا ينبغي أن يقال في كلام الله مثل هذا ، لأن المجيء بها لغرض أبلغ مما
 لو حذف منه .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾^(٣) .

ذكر الخطيب الشربيني ، أن الرجاء في هذه الآية بمعنى الخوف
 فقال : (أى لا يخافون البعث) ثم أورد قول الفراء في أن الرجاء بمعنى
 الخوف في لغة أهل تهامة (قال الفراء : الرجاء بمعنى الخوف ، لغة تهامة
 ومنه قوله تعالى : ﴿ مالكم لا ترجون لله وقاراً ﴾^(٤) أى لا تخافون لله
 عظمة^(٥) .

- وكذلك أفاد من كتاب : مجاز القرآن لأبي عبيدة^(٦) ونقل منه كثيراً .
 * ففي قوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من
 آمن تبغونها عوجاً ﴾^(٧) .

(١) سورة البقرة الآية ١٩٥ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٤٢٢ ، وانظر معاني القرآن للفراء ٢ / ١٦٤ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٢١ .

(٤) سورة نوح الآية ١٣ .

(٥) السراج المنير ٢ / ٦٥٥ وانظر معاني القرآن ٢ / ٢٦٥ .

(٦) هو معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، انظر التهذيب ١٠ / ٢٤٦ .

وطبقات المفسرين ٢ / ٣٢٦ .

(٧) سورة آل عمران الآية ٩٩ .

قال الخطيب الشربيني (فائدة : قال أبو عبيدة : العوج بالكسر في الدين والقول والعمل ، وبالفتح في الجدار وكل شخص قائم)^(١) .
* وفي قوله تعالى : ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً ﴾^(٢) .

نقل الخطيب الشربيني رحمه الله قول أبي عبيدة في معنى الهوى فقال (قال أبو عبيدة : لم يذكر الهوى إلا في موضع الشر ، لا يقال فلان يهوى الخير إنما يقال يريد الخير ويحبه)^(٣) .
* وفي قوله تعالى : ﴿ وآتيناهم من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ﴾^(٤) .

ذكر الخطيب رحمه الله أن في الباء التي في العصبة وجهين :
(الأول : أنها للتعدية كالهزمة ولا قلب في الكلام والمعنى لتنىء المفاتيح بالعصبة الأقوياء كما تقول : أجاته وجئت به ، وأذهبت وذهبت به .
والثاني : قال أبو عبيدة : إن في الكلام قلباً والأصل لتنوء العصبة بالمفاتيح أى لتنهض بها كقولهم عرضت الناقة على الحوض)^(٥) وإنما يعرض الحوض على الناقة .
* وفي بيان معنى الصعر الذى في قوله تعالى : ﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾^(٦) .

(١) السراج المنير ١ / ٢٣٥ ، ومجاز القرآن ١ / ٩٨ لأبي عبيدة ، تحقيق فؤاد سزكين ، ط الثانية ١٤٠١ هـ مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٧ .

(٣) السراج المنير ١ / ٣٩٠ .

(٤) سورة القصص الآية ٧٦ .

(٥) السراج المنير ٣ / ١١٧ ، ومجاز القرآن ٢ / ١١٠ .

(٦) سورة لقمان الآية ١٨ .

قال الشريبي : (أى لا تملح متعمداً إيمانه بإمالة العنق متكلفاً لها صرفاً عن الحالة القاصدة ، ثم أورد قول أبى عبيدة فى بيان أصل الصعر فقال : قال أبو عبيدة : وأصل الصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه ^(١) ، شبه المتكبر الذى يصد عن الناس بالبعير المصاب بداء الصعر وهو غاية فى الذم .

* وفى قوله تعالى : ﴿ ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ ^(٢) .

قال الشريبي رحمه الله فى تفسيره لمعنى فاقرة (وهى الداهية العظيمة) ثم أورد قول أبى عبيدة فى سبب تسميتها بذلك (قال أبو عبيدة : سميت بذلك لأنها تكسر فقار الظهر ، يقال فقرته الفاقرة أى كسرت فقار ظهره) ^(٣) .

— كما أفاد الخطيب رحمه الله أيضاً من كتاب معانى القرآن وإعرابه للزجاج ^(٤) :

* وفى قوله تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ ^(٥) . قال الشريبي عند قوله : ﴿ والله خير الماكرين ﴾ (أى أعلمهم به ، قال الزجاج : مجازاتهم على مكروهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لأنه فى مقابلته كقوله تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ ^(٦) ﴿ وهو خادعهم ﴾ ^(٧)) ^(٨) .

(١) السراج المنير ٣ / ١٨٩ .

(٢) سورة القيامة الآية ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) السراج المنير ٤ / ٤٤٤ .

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السرى النحوى المعروف بالزجاج المتوفى سنة ٣١٦ هـ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٥٤ .

(٦) سورة البقرة الآية ١٥ .

(٧) سورة النساء الآية ١٤٢ .

(٨) السراج المنير ١ / ٢١٩ .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ﴾^(١) .

قال الخطيب رحمه الله في بيان متعلق قوله : ﴿ في السموات وفي الأرض ﴾ (متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل : هو مستحق العبادة فيهما ، ثم أورد قولاً للزجاج حول توجيه الآية من جهة النظم فقال : (قال الزجاج : فيه تقديم وتأخير تقديره : (وهو الله يعلم سركم وجهركم)^(٢) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يعلمون ﴾^(٣) .

ذكر الخطيب قول الزجاج في بيان المراد من الرجس في الدنيا والآخرة فقال : (قال الزجاج : الرجس في الدنيا اللعنة ، وفي الآخرة العذاب)^(٤) .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون ﴾^(٥) .

أورد الخطيب رحمه الله أقوال أهل اللغة حول معنى « لا جرم » فقال : (تنبيه : قال الفراء لا جرم بمنزلة قولنا لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقاً ، تقول العرب لا جرم أنك محسن على معنى حقاً إنك محسن) ثم أورد قول الزجاج في المسألة ورجحه بإيراد قول الأزهري شاهداً

(١) سورة الأنعام الآية ٣ .

(٢) السراج المنير ١ / ٤١٠ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

(٤) السراج المنير ١ / ٤٤٩ .

(٥) سورة هود الآية ٢٢ .

له ، (قال الزجاج : إن كلمة « لا » نفى لما ظنوا أنه ينفعهم . وجرم : معناه كسب ذلك الفعل ، والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة ، قال الأزهري : وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب)^(١) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾^(٢) .
ذكر الخطيب رحمه الله قول الزجاج في بيان معنى « تبارك » فقال :
(قال الزجاج : تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومنه (تبارك الله) وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر ، أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله)^(٣) .

- كما نقل الخطيب رحمه الله بعض الأقوال القليلة عن كثير من علماء اللغة مثل : الكسائي المتوفى سنة ١٨٣ هـ ، والمبرد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، والخليل المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، وابن الأباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، وابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، وإليك بعض الأمثلة التي تبين كيفية إفادته من هؤلاء العلماء رحمهم الله :

* ففى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾^(٤) .
قال الخطيب : (يقتضى تشبيه شيء بهذا الإخراج ، واختلفوا في تقدير ذلك ، فقال المبرد تقديره : الأنفال لله والرسول وإن كرهوا ، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق إلى القتال ، وإن كانوا كارهين له ، ثم ذكر قول الرازى كالمرجح لقول المبرد فقال : (قال الرازى : وهذا الوجه أحسن

(١) السراج المنير ٢ / ٥١ .

(٢) سورة الفرقان الآية ١ .

(٣) السراج المنير ٢ / ٦٤٦ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٥ .

الوجوه المذكورة في هذا الموضع) (١) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا ﴾ (٢) .

ذكر الخطيب رحمه الله اختلاف أهل اللغة في أصل « مهما » فقال :

(تنبيه : اختلف في أصل مهما ، ف قيل أصلها ماما ، الأولى ما الشرطية والثانية ما الزائدة ضمت إليها للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقلاً لتكرير المتجانسين فصارت مهما ، هذا قول الخليل والبصريين ، وقيل أصلها مه التي بمعنى اكفف وما الجزائية ، كأنهم قالوا : اكفف ما تأتانا به من آية لتسحرنا بها فهو كذا وكذا ، هذا قول الكسائي ، فهي مركبة على هذين القولين) ، وقد رد الخطيب الشرييني رحمه الله هذين القولين ، ورجح أنها بسيطة وليست مركبة فقال : (والمعتمد الذي جرى عليه ابن هشام وغيره أنها بسيطة لأن دعوى التركيب لم يقيم عليها دليل .. قال في الكشاف وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها في غير موضعها ويحسب أنها بمعنى متى ، ويقول : مهما جئتنى أعطيتك) (٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٤) .

قال الخطيب : (قال ابن الأنباري : يقال : ورث فلان علم فلان إذا انفرد به بعد أن كان مشاركاً له فيه) (٥) .

(١) السراج المنير ٢ / ٦٤٦ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٣٢ .

(٣) السراج المنير ١ / ٥٠٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٠ .

(٥) السراج المنير ١ / ٢٦٩ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾^(١) .

نقل عند تفسيره للحكمة عنه ابن قتيبة قوله : (لا يقال الشخص الحكيم حتى يجتمع له الحكمة في القول والفعل ، قال : ولا يسمى المتكلم بالحكمة حكيماً حتى يكون عاملاً بها)^(٢) .

* * *

(١) سورة لقمان الآية ١٢ .

(٢) السراج المنير ٣ / ١٨٣ .

● المبحث الخامس : مصادره من كتب السير والتاريخ :

أفاد الخطيب الشربيني رحمه الله من كثير من كتب السير ومن أهم الكتب التي أخذ منها كتاب « سيرة الرسول ﷺ » لابن إسحاق^(١) وكتاب « المغازى » للواقدي^(٢) :

* فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾^(٣) .

ذكر الخطيب ما فعله اليهود يوم الخندق من تحزيب الأحزاب ضد رسول الله ﷺ وأورد رواية عن ابن إسحاق في ذلك فقال : (روى محمد ابن إسحاق عن مشايخه ، قال : دخل حديث بعضهم في بعض أن نفرًا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهودة بن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه) . ثم ذكر بقية الرواية وما حصل بين اليهود وقريش وغطفان من اتفاق ضد المسلمين ، وما قام به النبي ﷺ من حفر الخندق ، ثم أورد ما قيل من شعر في أيام حفر الخندق ، وما كان ينشده النبي ﷺ ومنه :

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥٠ هـ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر الأسلمي الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٩ .

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا

ثم قال وكان النبي ﷺ ينشد هذا ويرفع به صوته^(١).

* وفي قوله تعالى: ﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾^(٢).

ذكر الخطيب الشربيني قصة جمع النبي ﷺ لأقاربه وأورد أثراً عن
عليّ أن النبي ﷺ أمره أن يصنع طعاماً وليدعو أقاربه ، وعندما هم النبي
ﷺ بأن يكلمهم سبقه أبو لهب فقال : لقد سحركم محمد ففترقوا ولم
يكلمهم النبي ﷺ ، ثم أعاد الدعوة مرة أخرى فكلمهم^(٣).

وفي سند الرواية عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم وهو متروك
الحديث ، قال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : (ذكر لأحمد بن حنبل
فقال : ليس بثقة ، وقال عنه يحيى بن معين : ليس بشيء ، وهو متروك
الحديث كان من رؤساء الشيعة)^(٤) ، وقال عنه ابن كثير في تفسيره
(ضعفه الأئمة رحمهم الله)^(٥).

* وفي قوله تعالى: ﴿ وألنا له الحديد أن يعمل سبغات و قدر في
السرود ﴾^(٦).

- (١) السراج المنير ٣ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، وانظر البداية والنهاية ٤ / ٩٢ ، وما بعدها وانظر
صحيح مسلم ٤ / ١٤٣ ، كتاب الجهاد والسير .
- (٢) سورة الشعراء الآية ٢١٤ .
- (٣) السراج المنير ٣ / ٣٦ ، وانظر على سبيل المثال ١ / ٣٧١ ، ٥٦٤ ، ٢ / ٣٥١ ،
٣٥٩ ، ٣ / ٤١٤ .
- (٤) الجرح والتعديل ٦ / ٥٤ لابن أبي حاتم الرازي ، الطبعة الأولى - حيدر آباد الهند .
- (٥) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٥١ ، دار المعرفة بيروت ١٣٨٨ هـ .
- (٦) سورة سبأ الآية ١٠ .

تكلّم الخطيب الشرييني عن تليين الحديد لداود صلى الله عليه وسلم ثم تكلّم عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (عن الواقدي أنه انكسر سيف سلمة بن أسلم^(١) يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيباً كان في يده من عراجين رطاب ، فقال : اضرب به فإذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل^(٢)) .

* * *

-
- (١) هو سلمة بن أسلم الخزرجي الأنصاري صحابي جليل شهد بدرا توفي سنة ١٤ هـ
انظر الإصابة ٤ / ٢٢٥ .
- (٢) السراج المنير ٣ / ٢٨٤ .

○ الفصل الثاني ○

طريقته في تفسير الآيات

- المبحث الأول : تفسير الآيات بنظائرها من الآيات الأخرى.
- المبحث الثاني : تفسير القرآن بالسنة .
- المبحث الثالث : جمعه بين التفسير المأثور عن الصحابة والتابعين والتفسير بالرأى .
- المبحث الرابع : القراءات .
- المبحث الخامس : عنايته باللغة .

* * *

○ الفصل الثاني ○

طريقته في تفسير الآيات

اهتم الخطيب رحمه الله في تفسيره للآية أو الآيات بعدة جوانب ، فاهتم بتفسير الآية بنظائرها من الآيات الأخرى ، فيورد الآية التي تؤيد المعنى الذي اختاره أو توضح المراد بالآية ، كما أكثر من الشواهد من السنة النبوية ، والمأثور عن الصحابة والتابعين ، كما اهتم بالقراءات القرآنية ، التي لها أثر في المعاني والأحكام ، كما اهتم بالنواحي اللغوية والنحوية ، وأكثر من الاستشهاد بالشعر ، ولكنه رحمه الله كان أحياناً يورد الأقوال في الآية ولا يرجح ، وأحياناً يرجح ولكن جانب الإطلاق أكثر وإليك تفصيل طريقته في تفسير الآيات مع الأمثلة وفيها مباحث :

* * *

• المبحث الأول تفسير الآيات بنظائرها من الآيات الأخرى :

من المعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن هو أحسن ما يفسر به ، وقد لُحظ هذا الخطيب الشريفي فقد استشهد في تفسيره بآيات لبيان معاني آيات أخرى ، وتفسير القرآن بالقرآن لا يحصل إلا لمن له علم بمعاني الآيات التي جعلها نظائر لبعضها ويحتاج إلى ذكاء وعلم كبير .

* وقد فعل هذا الخطيب رحمه الله فيين المراد بالمغضوب عليهم والمراد بالضالين في آخر سورة الفاتحة ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ وهم اليهود لقوله تعالى فيهم ﴿ من لعنه الله وغضب عليه ﴾ ، ﴿ ولا الضالين ﴾ وهم النصارى لقوله تعالى فيهم : ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً ﴾^(١) .

قال الإمام الطبري في تفسيره : (فإن قال لنا قائل : من هؤلاء المغضوب عليهم الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألته أن لا يجعلنا منهم ؟ قيل : هم الذين وصفهم الله جل ثناؤه في تنزيهه فقال : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ﴾^(٢) .

ثم أورد دليلاً من السنة من حديث عدى بن حاتم وغيره وفيه (المغضوب عليهم اليهود)^(٤) .

ثم قال : (فإن قال قائل : ومن هؤلاء الضالون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله أن يسلك بنا سبيلهم ؟ .

قيل : هم الذين وصفهم الله في تنزيهه فقال : ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا

(١) سورة المائدة الآية ٦٠ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٧ وانظر السراج المنير ١ / ١٢ .

(٣) سورة المائدة الآية ٦٠ .

(٤) أخرجه الطبري ١ / ٧٩ ، والترمذي في كتاب التفسير ٥ / ٢٠٢ .

في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً ﴿١﴾ .
ثم أورد أدلة من السنة على ذلك منها حديث عدى بن حاتم
وغيره^(١) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ﴾^(٢) .
بين رحمه الله أن المراد بالدم في الآية ، الدم المسفوح ، قال تعالى :
﴿ أو دماً مسفوحاً ﴾^(٣) . قال ابن العربي : (اتفق العلماء على أن الدم
حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به ، وقد عينه الله تعالى ها هنا مطلقاً - في
البقرة - وعينه في سورة الأنعام مقيداً بالمسفوح ، وحمل العلماء المطلق على
المقيد إجماعاً)^(٤) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت
الآن ﴾^(٥) .

قال : (حين لا يقبل من كافر إيمان ولا من عاص توبة) واستشهد
على هذا المعنى بقوله تعالى : ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا
بأسنا ﴾^(٦) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾^(٧) وضح أن المعنى
بالكلمات هو قوله تعالى : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾^(٨) الآية .

-
- (١) جامع البيان ١ / ٧٩ - ٨٣ ، وانظر الترمذى ٥ / ٢٠٢ كتاب التفسير .
 - (٢) سورة المائدة الآية ٣ .
 - (٣) سورة الأنعام الآية ٤٥ ، وانظر السراج المنير ١ / ٣٥٢ .
 - (٤) أحكام القرآن ١ / ٥٣ لابن العربي ، تحقيق : علي محمد الجاوي دار الفكر - بيروت .
 - (٥) سورة النساء الآية ١٨ .
 - (٦) سورة غافر الآية ٨٥ وانظر السراج المنير ١ / ٢٨٩ .
 - (٧) سورة البقرة الآية ٣٧ .
 - (٨) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾^(١) .
 ذكر أن المراد بالعبادة الأفراد وعدم الشرك ، واستدل على ذلك بقوله
 تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(٢) .
 * وذكر أن الأصنام والآلهة المعبودة من دون الله تكفر وتبرأ من أتباعها
 يوم القيامة فعند قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾^(٣) .
 قال : (أى ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون : ما عبدتمونا كقوله
 تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾^(٤) وفي آية أخرى :
 ﴿ وَمَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾^(٥) .

- هذا وأورد الخطيب الشربيني في تفسيره النظائر من الآيات التى توضح
 المعنى وتقوى المضمون وتبين المراد فى الآيات المفسرة .
 * فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾^(٦) .
 قال : (أى ما تشتهيه النفس) ، ثم استدل لمعنى الزينة بآية تناظرها
 فقال : (كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ﴾^(٧) .
 وفى قوله تعالى : ﴿ أَيَّتُفُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
 جَمِيعًا ﴾^(٨) .

-
- (١) سورة مريم الآية ٣٦ .
 - (٢) سورة الجن الآية ١٨ ، وانظر السراج المنير ٢ / ٤٢٦ .
 - (٣) سورة مريم الآية ٨٢ .
 - (٤) سورة البقرة الآية ١٦٦ .
 - (٥) سورة القصص الآية ٦٣ ، وانظر السراج المنير ٢ / ٤٤٤ .
 - (٦) سورة آل عمران الآية ١٤ .
 - (٧) سورة الكهف الآية ٧ ، وانظر السراج المنير ١ / ٢٠٠ .
 - (٨) سورة النساء الآية ١٣٩ .

ذكر أن المراد بها العزة في الدنيا والآخرة وقال : (لا يناها إلا أوليائه) . واستشهد لهذا بقوله تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾^(١) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾^(٢) . قال ونظيره قوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾^(٣) .

* وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴾^(٤) . قال : (أى بيناه تبيناً وهو كقوله تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(٥) . وكقوله تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾^(٦)) .

* وقد رجح رحمه الله أن المراد بالذكر الشرف في قوله تعالى : ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾^(٧) ، وأسند ذلك الترجيح وقواه باستشهاده بقوله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾^(٨) فهو يرى أن المراد بالآية بيان تشريف النبي ﷺ وقومه بهذا الكتاب .

قال البغوى عند تفسير الآية ﴿ فيه ذكركم ﴾ أى شرفكم ، وهو شرف لمن آمن به ، وقال الحسن : (﴿ فيه ذكركم ﴾ أى ذكر ما تحتاجون

-
- (١) سورة المنافقون الآية ٨ وانظر السراج المنير ١ / ٣٣٩ .
 - (٢) سورة يونس الآية ١٨ .
 - (٣) سورة الزمر الآية ٣ ، وانظر السراج المنير ٢ / ١١ .
 - (٤) سورة الاسراء الآية ١٢ .
 - (٥) سورة الأنعام الآية ٣٨ .
 - (٦) سورة النحل الآية ٨٩ وانظر السراج المنير ٢ / ٢٨٧ .
 - (٧) سورة الأنبياء الآية ١٠ .
 - (٨) سورة الزخرف الآية ٤٤ ، وانظر السراج المنير ٢ / ٤٩٨ .

إليه من أمر دينكم) (١).

* وفي قوله تعالى : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ (٢).

فسر ذلك بالجدب وقلة المطر ، وقلة الصيد في البحر وكل ذلك بسبب ذنوب الناس ومعاصيهم وأيد هذا المعنى بقوله تعالى :
﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ (٣).

* وفي قوله تعالى : ﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ﴾ (٤) ، ذكر أن فائدة الجهاد إنما تعود على صاحبها ، وأن الله غني عن ذلك ، فقال : (لأن منفعة جهاده له لا لله تعالى فإنه غني مطلق) ثم ذكر أيضاً أنه غني عن الإنس والجن والملائكة ثم قال : (وهذا كثير في القرآن كقوله تعالى : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ (٥) وقوله : ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ﴾ (٦).

* وفسر العهن بالصوف الملون بالأصباغ ففي قوله تعالى : ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ (٧) ، وعلل وصف الجبال بذلك قال : (لأنها ملونة) واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر ﴾ (٨).

(١) معالم التنزيل ٣ / ٢٣٩ .

(٢) سورة الروم الآية ٤١ .

(٣) سورة الشورى الآية ٣٠ ، انظر السراج المنير ٣ / ١٧٢ .

(٤) سورة العنكبوت الآية ٦ .

(٥) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٦) سورة الاسراء الآية ٧ ، وانظر السراج المنير ٣ / ١٢٥ .

(٧) سورة القارعة الآية ٥ .

(٨) سورة فاطر الآية ٢٧ ، انظر السراج المنير ٤ / ٥٧٩ .

فسر بعض المفسرين العهن بمطلق الصوف وقيده بعضهم بالصوف
المصبوغ ونقل ذلك عن أهل اللغة قال ابن فارس في عهن : (العين والهاء
والنون أصل صحيح يدل على لين وسهولة وقلة غذاء في الشيء ، ثم قال :
وأما العهن وهو الصوف المصبوغ ، فليس ببعيد أن يكون من القياس ، لأن
الصبغ يلينه)^(١) .

وقال الفراء وابن قتيبة وأبو عبيدة : إنه الصوف المصبوغ^(٢) .

* * *

(١) معجم مقاييس اللغة (عهن) .

(٢) معاني القرآن ٣ / ٢٨٧ ، مجاز القرآن ٢ / ٣٠٩ ، وغريب القرآن لابن قتيبة

● المبحث الثاني : تفسير القرآن بالسنة :

إن تفسير القرآن بالقرآن هو أعلى درجات التفسير ثم بعد ذلك تفسيره بالسنة ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، والخطيب الشرييني يورد الأحاديث النبوية التي توضح معنى آية أو تزيل إشكالها أو تقوى معناها ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

* في قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾^(١) فسر البر بأمر عام وهو الخير والرحمة ورضا الله ، ثم بين هذا الأمر ووضحه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »^(٢) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٣) .

بعد أن تكلم عن معنى الآية وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، زاد المراد من الآية بياناً بإيراده أحاديث رويت حول الموضوع منها ما رواه الإمام أحمد وغيره ، أنه صلى الله عليه وسلم سئل وهو على المنبر من خير الناس ؟ .

(١) سورة آل عمران الآية ٩٢ .

(٢) رواه البخارى في الأدب ٧ / ٩٥ ومسلم ٤ / ٢٠١٢ في كتاب البر والصلة ، السراج ٢٣٠ / ١ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

قال : « أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم الله وأوصلهم للرحم »^(١) .

ومنها : أنه ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم »^(٢) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ﴾^(٣) .

فسر الإرادة التى جاءت فى الآية على أنها النية واستدل على ذلك بقوله ﷺ : « من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راعمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه ، وشتت عليه أمره ، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له »^(٤) ثم دلل على أن الأمور بمقاصدها فاستشهد بحديث عمر رضى الله عنه ، « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »^(٥) .

* وعند قوله تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾^(٦) .

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٤٣٢ / ٦ .

(٢) المسند ٣٨٨ / ٥ ، وانظر السراج المنير ٢٣٧ / ١ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٥ .

(٤) رواه أحمد فى المسند ١٨٣ / ٥ وهو حسن .

(٥) رواه البخارى ٢ / ١ فى بدء الوحي - ومسلم ١٥١٥ / ٣ فى كتاب الإمارة .

(٦) سورة آل عمران الآية ١٨٠ .

قال : (اختلفوا في هذا الوعيد فقال ابن عباس وابن مسعود : يجعل ما منعه من الزكاة حيث يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه إلى قدمه وتنقر رأسه تقول : أنا مالك) وذكر ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ في عقوبة مانع الزكاة قال : « من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى شديقه - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ثم تلا : ﴿ ولا تحسبن الذين ييخلون ﴾^(١) .

وذكر حديثاً آخر عن أبي ذر فقال : (قال أبو ذر قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده أو الذى لا إله غيره أو كما حلف : ما من رجل تكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدى حقها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت عليه أحرأها ردت عليه أولأها حتى يقضى بين الناس »^(٢) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ﴾^(٣) .

فعند تفسيره للجار ذى القربى بين أنه القريب بنسب أو جوار وأن الجار الجنب هو البعيد فى النسب أو الجوار ، والبداية بالأقرب تشير إلى أنه الأولى من الأبعد ، قال : وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله إن لى جارين فألى أيهما أهدى قال : إلى أقربهما منك باباً^(٤) .

(١) رواه ابن ماجه ١ / ٥٦٨ فى كتاب الزكاة - ومالك فى الموطأ ص ١٧٢ فى كتاب الزكاة .

(٢) رواه البخارى ٢ / ١١٠ فى كتاب الزكاة . والسراج المنير ١ / ٢٦٩ .

(٣) سورة النساء الآية ٣٧ .

(٤) رواه البخارى ٧ / ٧٩ فى كتاب الأدب .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي ذر : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وإذا طبخت مرقة فأكثر ماءها واغرف لجيرانك منها »^(١) . وروى أنه ﷺ قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يورثه »^(٢) .

فقد أورد الخطيب رحمه الله هذه الأحاديث ليوضح بها المراد ، وهو الاهتمام بالجار والتأكيد على حقه خصوصا الجار الأقرب .

وعند تفسيره للمقصود بابن السبيل في الآية ذكر قولين : الأول : أنه المسافر ، والثاني : الضيف ، ورجح القول الثاني وقال : (كما عليه الأكثر) .

واستشهد له بهذا الحديث ، روى أنه ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله ، واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »^(٣) .

كما ذكر أن المراد بملك اليمين في الآية ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ أنهم الأرقاء من العبيد والإماء ، وأن الله قد أوصى بهم ويؤكد هذا المعنى ويؤيده بما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال في حق الأرقاء « هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه »^(٤) .

(١) رواه مسلم ٤ / ٢٠٢٥ في كتاب البر والصلة .

(٢) رواه مسلم ٤ / ٤٠٢٤ في كتاب البر والصلة ، وابن ماجه ٢ / ١١ في الأدب .

(٣) رواه ابن ماجه ٢ / ١٢١١ في الأدب - ومسلم في ١ / ٦٨ في الإيمان وأنظر السراج المنير ١ / ٣٠١-٣٠٢ .

(٤) رواه البخارى ١ / ١٣ في كتاب الإيمان ، وابن ماجه ٢ / ١٢١٦ في الأدب وانظر السراج المنير ١ / ٣٠٢ .

* ووضح المراد بالسيئات التي تذهبها الحسنات أنها الذنوب الصغيرة فعند قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾^(١) قال : (أى الذنوب الصغائر) واستدل لقوله بما رواه مسلم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر »^(٢) . لأن الكبائر لا تكفرها إلا التوبة النصوح .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾^(٣) .

بعد أن ذكر أن الحمد المطلق يكون لله سبحانه وتعالى ، وأنه المستحق لجميع المحامد لكماله وتفردته ذكر عدة أحاديث تبرز أهمية الحمد منها :

ما رواه الإمام أحمد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول : « آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك »^(٤) .

وعن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدهون في السراء والضراء »^(٥) .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن أفضل الدعاء الحمد لله ، وأفضل الذكر لا إله إلا الله »^(٦) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾^(٧) .

-
- (١) سورة هود الآية ١١٤ .
(٢) رواه مسلم ١ / ٢٠٩ في كتاب الطهارة ، والبعوى في شرح السنة ٢ / ١٧٧ ،
والترمذى ١ / ٤١٨ .
(٣) سورة الإسراء الآية ١١١ .
(٤) أخرجه في المسند ٣ / ٤٣٩ .
(٥) أخرجه البغوى في شرح السنة ٥ / ٥٠ .
(٦) أخرجه ابن ماجه ٢ / ٢٤٩ ، في الأدب ، والبعوى في السنة ٥ / ٤٩ ، وإسناده حسن .
(٧) سورة الأنعام الآية ٨٢ .

فسر الظلم بالشرك واستدل لهذا بما روى عن رسول الله ﷺ أنها لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين ، وقالوا : يا رسول الله أينما لم يظلم نفسه فبين لهم رسول الله ﷺ أن المراد بالظلم الشرك فقال : « ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه : يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم »^(١) .

* وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾^(٢) .

ذكر في المراد بالقوة ثلاثة أقوال :

الأول : الرمي ، الثاني : الحصون ، الثالث : جميع الآلات والأسلحة ، التي تكون لكم قوة في الحرب ، وهذه المعاني لا تناقض بينها لأنها كلها من القوة المطلوبة ، ولكنه استدلل للقول الأول بما روى عن رسول الله ﷺ من حديث عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ألا إن القوة الرمي ثلاثاً^(٣) ، وذكر أحاديث في فضيلة الرمي وتعلمه^(٤) .

قال الطبري في هذه الآية (ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيال)^(٥) .
وقال الشيخ السعدي^(٦) (ما استطعتم من قوة : أى كل ما تقدرتون

(١) أخرجه الترمذى ٥ / ٢٦٢ في التفسير وصححه ، وانظر السراج المنير ١ / ٤٣٣ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٣) رواه أبو داود ٣ / ٧٣ في الجهاد ، والطبري ١٠ / ٣٠ .

(٤) انظر السراج المنير ١ / ٥٧٨ .

(٥) جامع البيان ٢٠ / ٢٩ .

(٦) هو العالم الجليل والفقير الأصولي المحقق ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله

آل سعدي التميمي ، كان تقياً ورعاً زاهداً ، مقبلاً على العلم توفي سنة ١٣٧٦ ،

انظر : روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد لمحمد القاضي ١ / ٢٢٠ .

عليه من القوة العقلية والبدنية ، وأنواع الأسلحة ، فدخل في ذلك ، أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات ، والبنادق والطائرات الجوية ، والمراكب البرية والبحرية ، وآلات الدفاع ، والرأى والسياسة التي يتقدم بها المسلمون^(١) .

فإن الله أمرنا أن نعد لهم ما استطعنا من قوة ، ومن رباط الخيل ، والعدة الموجودة فيها في ذلك الزمان هي إرهاب الأعداء ، والحكم يدور مع علته ، فإذا كان الشيء الموجود أكثر إرهاباً منها ، أصبح مأموراً به .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَر أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾^(٢) .

أورد الخطيب رحمه الله عدة أحاديث تبين موقف الإسلام من الشعراء منها ما روى أن كعب^(٣) بن مالك قال للنبي ﷺ : إن الله أنزل في الشعراء ما أنزل فقال النبي ﷺ : « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسى بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل »^(٤) .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهب الخليل عن خليله

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣ / ١٨٣ ، نشرته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالرياض ١٤٠٤ هـ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) كعب بن مالك الأنصاري صحابى جليل ، من شعراء الرسول ﷺ ، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا ، وتاب الله عليهم وغفر لهم ، توفي في خلافة معاوية سنة ٥٣ هـ انظر الاستيعاب برقم (٢٢٠٥) بهامش الإصابة ٩ / ٢٥١ .

(٤) رواه أحمد في المسند ٣ / ٤٥٦ ، وإسناده صحيح .

فقال له عمر : يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر ، فقال النبي ﷺ : « خل عنه يا عمر فهى أسرع فيهم من نضح النبل »^(١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : إن النبي ﷺ قال : اهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال : اهجهم فلم يرض ، فأرسل إلى كعب بن مالك ، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فقال حسان قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد ثم أدلع لسانه ، فجعل يحركه ، فقال : والذي بعثك بالحق لأفرينهم فرى الأديم ، فقال النبي ﷺ لا تعجل ، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها ، وإن لى نسباً حتى يخلص لك نسبي ، فأتاه حسان ، ثم رجع فقال : يا رسول الله لقد أخلص لى نسبك ، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما يسئل الشعر من العجين قالت عائشة : فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان : « إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله » قالت : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « هجاهم حسان فشفى وأشفى »^(٢) .

فالخطيب رحمه الله قد أورد عدداً من الأحاديث لبيان الآية التي يفسرها أو ليوضح الحكم الذي جاء في الآية ، أو لزيادة المعنى بياناً وإيضاحاً ، لأن السنة موضحة ومبينة للقرآن ، ونكتفى بهذه الأمثلة خشية الإطالة .

* * *

(١) ذكره الحفاظ في الإصابة ٦ / ٨٠ وقال أخرجه أبو يعلى بسند حسن .

(٢) رواه مسلم ٤ / ١٩٣٥ في الفضائل ، والبعوى في السنة ١٠ / ٢٥ .

• المبحث الثالث : جمعه بين التفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين والتفسير بالرأى :

يطلق التفسير بالمأثور ويراد به تفسير القرآن بالقرآن ، أو تفسيره بالسنة ، وتفسيره بأقوال الصحابة ، ويعرف أيضا بالتفسير بالرواية .
وأما التفسير بالرأى فالمراد به الاجتهاد ، فإن استند الاجتهاد إلى اللغة والشرع فهو اجتهاد مقبول ومحمود لا حرج فيه ، وأما إذا استند إلى الهوى والضلال ، فهو المذموم الذى ورد فيه الوعيد ، .

ويسمى التفسير بالرأى (التفسير بالدراية) ، وهى الأصول والأدوات التى يحتاجها المفسر من علوم القرآن وفنون العربية .

وما ورد عن الرسول ﷺ وعن بعض الصحابة وغيرهم من السلف من التحذير فى القول بالقرآن بغير علم ، محمول على القول بالجهالة والهوى ، وقد روى عنه ﷺ أنه قال : « من قال فى القرآن برأيه فأصاب ، فقد أخطأ »^(١) .

وروى عن بعض الصحابة تورعهم عن القول فى القرآن بغير علم ، فقد روى عن ابن عباس أنه سئل عن يوم كان مقداره ألف سنة فقال : ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾^(٢) فقال السائل : إنما سألتك لتحدثنى ، فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله فى كتابه والله أعلم بهما ،

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١ / ٣٥ ، وأبو داود فى سننه ٣ / ٣٢٠ فى كتاب العلم والترمذى ٥ / ٢٠٠ فى كتاب التفسير ، والبغوى فى السنة ١ / ٢٥٩ وفيه عند الجميع سهيل بن أبى حزم وهو ضعيف .

(٢) سورة المعارج الآية ٤ .

وروى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الأب في قوله تعالى :
﴿ وفاكهة وأبا ﴾^(١) فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا أنا قلت
في كتاب الله ما لا أعلم) وهو مروى عن عمر بن الخطاب أيضاً ، وغير
هذا كثير^(٢) .

قال ابن كثير : (وهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة
السلف ، محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه ،
فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً ، فلا حرج عليه ، ولهذا روى
عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة ، لأنهم تكلموا فيما علموه
وسكتوا عما جهلوه)^(٣) .

وما يروى من اختلاف مفسرى الصحابة وأئمة التابعين فإنه اختلاف
تنوع لا اختلاف تضاد كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، فإذا اختلفوا
في تفسير آية فإنهم يفسرون الشيء المراد ببعض صفاته ، فمثلاً الصراط في
قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ منهم من فسره بكتاب الله ومنهم
من فسره بالإسلام ومنهم من فسره بالسنة والجماعة وكل ذلك حق والمسمى
واحد ، وإن تعددت أسماءه ، وتنوعت صفاته^(٤) .

وبما أن الخطيب الشربيني قد أخذ التفسير رواية ودراية كما نص على
ذلك في مقدمة تفسيره حيث قال : (وقد تلقيت التفسير بحمد الله من تفاسير
متعددة رواية ودراية)^(٥) . فإن تفسيره جاء كذلك وإليك بعض الأمثلة :

(١) سورة عبس الآية ٣١ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٥ ، ٦ ، وجامع البيان ٣٠ / ٥٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٦ .

(٤) انظر الفتاوى ١٣ / ٣٨١ بتصرف .

(٥) السراج المنير ١ / ٣ .

* في بيانه للقرية التي أمر بنوا إسرائيل بدخولها في قوله تعالى :
﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾^(١) .

قال : (أى بيت المقدس كما قال مجاهد ، أو أريحاء كما قاله ابن عباس
وهى قرية الجبارين ، كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ، ثم قال :
سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها)^(٢) .

فالخطيب رحمه الله لم يرجح المراد من القرية ، وإنما ذكر أن اسم القرية
يعم الجميع . والقول الذى ذكره الطبرى فى المراد بالقرية أنها بيت المقدس
هو الراجح قال : (والقرية التى أمرهم الله جل ثناؤه أن يدخلوها ، فبأكلوا
منها رغداً حيث شاءوا فيما ذكر لنا : بيت المقدس)^(٣) .
ورجح ذلك ابن كثير فى تفسيره ، واستبعد قول من قال : أنها أريحاء
أو مصر^(٤) .

- وأحياناً يذكر الخطيب آراء التابعين لزيادة بيان الآية ووضوح المراد .
* فى قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نَسَائِهِمْ تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾^(٥) .
قال : يخلفون أن لا يجامعوهن ، والإيلاء الحلف ، قال قتادة : كان
الإيلاء طلاقاً لأهل الجاهلية ، وقال سعيد بن المسيب : كان ذلك من ضرار
أهل الجاهلية ، كان الرجل لا يحب المرأة ولا يريد أن يتزوجها غيره ، فيحلف
أن لا يقربها أبداً فيتركها أبداً لا أيماً ولا ذات بعل^(٦) .

(١) سورة البقرة الآية ٥٨ .

(٢) السراج المنير ١ / ٦٢ .

(٣) جامع البيان ١ / ٢٩٩ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٩٨ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٢٦ .

(٦) السراج المنير ١ / ١٤٦ .

وقد أبطل الإسلام هذا الأمر وحدده بأربعة أشهر حتى لا يقع الظلم على المرأة ، فإذا مضى أربعة أشهر تطلق المرأة طليقة رجعية ، وقيل بائنة^(١) .
* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾^(٢) .

قال : (واختلفوا في كيف كفروا بعد إيمانهم فقال أبو بن كعب : أراد به الإيمان يوم الميثاق حيث قال لهم : ﴿ ألسنت بربكم قالوا بلى ﴾^(٣) يقول : أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق وعلى هذا هم جميع الكفرة .

وقال الحسن : هم المنافقون ، تكلموا بالإيمان بألسنتهم ، وأنكروا بقلوبهم ، وعن عكرمة : أنهم أهل الكتابين ، آمنوا بأنبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به ، وقال قتادة : هم أهل البدع وقال أبو أمامة هم الخوارج^(٤) . وقد ذكر الخطيب في المسألة خمسة أقوال ولكنه لم يرجح شيئاً منها ولعله رحمه الله لم يظهر له ما يرجح بعض الأقوال على بعض .

قال الطبري بعد أن أورد الأقوال في المسألة (وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب أنه عني بذلك جميع الكفار ، وأن الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذي أقرؤا به يوم قيل لهم : ﴿ ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾^(٥) وذلك

(١) انظر القرطبي ٣ / ١٠٢ وما بعدها ، وانظر المغني مع الشرح الكبير لابن قدامة ٨ / ٥٠٢ وما بعدها ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٧٢ م .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٦ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

(٤) السراج المنير (١) / ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين : أحدهما داخلون في فريق من سود وجهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجهه ^(١) . وما رجحه الإمام الطبري من قول في المسألة رأى وجهه ، لأنه ليس في الآية ما يدل على أن المراد طائفة معينة .
* وفي قوله تعالى : ﴿ وهو شديد المحال ﴾ ^(٢) .

ذكر عدة أقوال في بيان المراد بالمحال فقال : (اختلف المفسرون في معنى شديد المحال فقال : على رضى الله عنه : شديد الأخذ ، وقال ابن عباس : شديد الحول ، وقال مجاهد : شديد القوة ، وقال أبو عبيدة : شديد القوة والمغالبة) ^(٣) .

أورد في بيان معنى شديد المحال أربعة أقوال ، ولكنه لم يعقب عليها ولم يشر إلى القول المرضي منها ، وهي أقوال تؤدي معنى واحداً عند النظر .
* وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ ^(٤) .

أورد رحمه الله عدة أقوال في الآية منها : أنه أراد بالمستقدمين الأموات والمستأخرين الأحياء ، وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال عكرمة المستقدمين : من خلق الله تعالى ، والمستأخرين من لم يخلق ، وقال الحسن : المستقدمين في الطاعة والخير ، والمستأخرين المستبطلون عنه ^(٥) .
* وفي قوله تعالى : ﴿ قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم

(١) جامع البيان ٤ / ٤١ .

(٢) سورة الرعد الآية ١٣ .

(٣) السراج المنير ٢ / ١٥٢ .

(٤) سورة الحجر الآية ٢٤ .

(٥) السراج المنير ٢ / ١٩٩ .

أولى بأس شديد ﴿١﴾ . وحول المراد بالقوم أصحاب البأس الشديد أورد الخطيب رحمه الله أقوال بعض مفسرى الصحابة والتابعين فى ذلك فقال :
 (قال ابن عباس ومجاهد : هم أهل فارس ، وقال كعب : الروم ، وقال الحسن : فارس والروم ، وقال سعيد بن جبیر : هوزان وثقيف ، وقال قتادة : هوزان وغطفان قوم حنين ، وقال الزهري وجماعة : هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب) وكأنه أرتضى القول الأخير ورجحه فقال : (قال ابن الخازن : وأقوى هذه الأقوال قول من قال : أنهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب) ﴿٢﴾ .

لم يبين الله لنا المراد بهؤلاء القوم أصحاب القوة والبأس فى الحرب ، وليس هناك دليل من السنة أو المعقول على تعيين جنس بعينه ، وقد يكون المراد بذلك الأجناس المذكورة كلها أو بعضها ، وهذا ما رجحه الإمام الطبرى فى تفسيره ﴿٣﴾ .

وأما ما رجحه الخطيب تبعاً للخازن فليس عليه دليل يرجحه على غيره من الأقوال ، والله أعلم .

* ويذكر فى المراد بالأمانة فى قوله تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ ﴿٤﴾ .

أقوال بعض الصحابة والتابعين (قال ابن عباس : أراد بالأمانة الطاعة من الفرائض التى فرضها الله تعالى على عباده ، وقال ابن مسعود ، الأمانة أداء الصلوات ، وإيتاء الزكوات وصوم رمضان ، وحج البيت ، وصدق

(١) سورة الفتح ١٦ .

(٢) السراج المنير ٤/٤٥ . ويسمى الخطيب الخازن بابن الخازن فى جميع نقوله عنه والصواب الخازن :

(٣) انظر جامع البيان ٢٦ / ٨٣ .

(٤) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .

الحديث وقضاء الدين ، والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع ، وقال مجاهد^(١) : الأمانة الفرائض وحدود الدين ، وقال أبو العالية^(٢) : ما أمروا به ، ونهوا عنه ، وقال زيد بن أسلم^(٣) . هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع^(٤) . ما قيل في الأمانة هي أقوال متقاربة في المعنى لكن تخصيصها بعمل معين لم يدل عليه دليل ، والراجح في هذه الأمانة أنها أمانة التكليف الشرعية وهي تشمل كل ما يرضى الله سبحانه وتعالى . ولهذا انقسم الخلق في تحمل هذه الأمانة إلى ثلاثة أقسام : قسم قائمون بها ظاهراً وكافرون بها باطناً وهم المنافقون ، وقسم كافرون بها ظاهراً وباطناً وهم المشركون ، وقسم قائمون بها باطناً وظاهراً وهم المؤمنون .

* وذكر الخطيب رحمه الله قولين في المراد بالذبيح في قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾^(٥) :

قول : إنه إسحاق وقول : إنه إسماعيل ، وقد رجح القول الثاني . قال رحمه الله (اختلف في الذبيح فقيل : هو إسحاق عليه السلام وبه قال عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم وغيرهم ، وقيل : إسماعيل وبه قال : ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب رضى الله عنهم وغيرهم ، وهو الأظهر كما قاله البيضاوى ، وقال الإمام أحمد

-
- (١) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المفسر توفى سنة ١٠٤ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٢ ، وطبقات المفسرين ٢ / ٣٠٥ .
- (٢) هو رفيع بن مهران الرياحي ، من التابعين المشهورين بالتفسير توفى سنة ٩٠ هـ - طبقات المفسرين ١ / ١٧٨ ، ومعرفة القراء الكبار ١ / ٦٠ .
- (٣) هو أبو أسامة زيد بن أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب ، من كبار التابعين توفى سنة ١٣٦ هـ - طبقات المفسرين ١ / ١٨٢ . وطبقات القراء ١ / ٢٩٦٠ .
- (٤) السراج المنير ٣ / ٢٧٥ .
- (٥) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

ابن حنبل : الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف (١) .

وبعد أن أورد أقوال بعض السلف من الصحابة والتابعين في الموضوع رجح أن المراد بالذبيح هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام .
وقد تكلم عن هذه المسألة الإمام ابن كثير في البداية والنهاية وفي التفسير فرجح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، وأن من زعم أنه إسحاق فمستنده الإسرائيليات (٢) .

* وفي تفسيره للفتح في قوله تعالى : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ (٣) .
أورد فيه عدة أقوال فقال : (واختلف في هذا الفتح فروى عن أنس أنه فتح مكة ، وقال مجاهد : فتح خيبر ، والأكثر على أنه صلح الحديبية (٤) . والراجح أنه صلح الحديبية ويؤيده ماورد من أسباب النزول عند البخارى وأحمد والطبرى وغيرهم (٥) ، وخلاصته أن سورة الفتح نزلت منصرف رسول الله ﷺ من الحديبية وسميت فتحاً لأنها من أسباب الفتح ومقدماته .

* وحول المراد بالكوثر في قوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ (٦) .
قال الخطيب الشربيني : (نهر في الجنة وهو حوضه ﷺ ، وقيل : الكوثر الخير الكثير ، وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضلها على جميع

(١) السراج المنير ٣ / ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ١٧ ، والبداية والنهاية ١ / ١٥٧ ، وجامع البيان

٢٣ / ٧٧ ، ولباب التأويل ٦ / ٢٦ .

(٣) سورة الفتح الآية ١ .

(٤) السراج المنير ٤ / ٣٦ .

(٥) انظر البخارى ٦ / ٤٣ ، وجامع البيان ٢٦ / ٦٨ ، ومسند أحمد ٣ / ٤٨٦ .

(٦) سورة الكوثر الآية ١ .

الخلائق ، ثم قال : لا منافاة بين هذه الأقوال كلها ، فقد أعطيها النبي ﷺ ،
ثم قال رحمه الله مرجحاً : وأولى الأقاويل في الكوثر ، وهو الذى عليه جمهور
العلماء ، أنه نهر في الجنة (١) .

وقد ورد عنه ﷺ أن الكوثر نهر أعطيه في الجنة ، ورد ذلك في
الصحيح وغيره ، فقد روى البخارى في كتاب التفسير من حديث أنس
رضى الله عنه « قال : لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال : أتيت على نهر
حافته قباب اللؤلؤ مجوف فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا
الكوثر » (٢) . وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس قال : « أغفى
النبي ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسماً إما قال لهم أو قالوا له : لم ضحكت ؟
فقال رسول الله ﷺ : إنه أنزلت على آناً سورة فقرأ رسول الله ﷺ
بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ حتى ختمها ، قال : هل
تدرون ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هو نهر أعطانيه ربي
عز وجل في الجنة » (٣) .

أوضحت الأمثلة السابقة التي ذكرتها أن الخطيب الشربيني جمع في
تفسيره بين المأثور عن الصحابة والتابعين ، وبين التفسير بالرأى المعتمد على
المعقول والاجتهاد واللغة ، كما اتضح أيضاً من الأمثلة السابقة أنه عندما يورد
الأقوال لتفسير بعض الآيات فإنه يرجح أحياناً ، ويكتفى أحياناً بإيراد
الأقوال بلا تعقيب .

* * *

(١) انظر السراج المنير ٤ / ٥٩٩ .

(٢) رواه البخارى ٦ / ٩٢ في كتاب التفسير .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣ / ١٠٢ ، وإسناده صحيح .

● المبحث الرابع : القراءات :

إن قراءة لفظ الآيات القرآنية بقراءة معينة وتفسير تلك الآيات بالقراءات الواردة فيها له أثر في توجيه المعنى ، وجهات مختلفة ، فالقراءة الواحدة تعطى معنى ، والقراءتان تعطيان أكثر من ذلك ، لذا اهتم المفسرون بالقراءات التي تقرأ بألفاظ مختلفة لأثرها في توجيه معنى الآية ، وقد جاء تفسير الخطيب الشربيني محتوياً على القراءات السبع المشهورة .

فيورد القراءات المختلفة في الآية ويوجه غالباً كل قراءة وما يترتب عليها من أحكام ، وما يتعلق بها من مباحث لغوية أو نحوية .

● تعريف القراءات وفوائدها :

القراءات : جمع قراءة ، مصدر قرأ ، في اللغة .
وفي الاصطلاح : مذهب من مذاهب النطق في القرآن ، يذهب به إمام من الأئمة يخالف غيره^(١) .

● فوائد الاختلاف في القراءات :

١ - استنباط المسائل الفقهية وما يترتب على الاختلاف في القراءة من اختلاف في الحكم ، مثل قراءة النصب والجر في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾^(٢) .

(١) انظر مناهل العرفان ١ / ٤٠٥ ، وانظر مباحث في علوم القرآن للقطان ص ١٧٠ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦ .

٢- صيانة كتاب الله من التحريف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .
٣- إن في اختلافها دلالة على نهاية البلاغة ، وكال الإعجاز وسهولة الحفظ .

٤- بيان فضل أمة الإسلام وشرفها على سائر الأمم من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى ، وإقبالهم عليه هذا الإقبال ، وحفظها سند كتاب ربها ، وحمايته وإزالة الشبه التي يلقيها حوله المحرفون^(١) .

وكما أشرت أن الخطيب الشربيني قد اقتصر على قراءة القراء السبعة فإنه يحسن أن نعرف بهم تعريفاً موجزاً ، فالقراء السبعة هم :

١- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو رويم الليثي ، المدني ، أصله من أصبهان ، وهو أحد القراء السبعة ، ثقة صالح توفي سنة ١٧٠ و قيل غير ذلك^(٢) .

٢- عبد الله بن كثير أبو معبد المكي إمام أهل مكة في القراءة ، وأحد القراء السبعة توفي في مكة سنة ١٢٠ هـ^(٣) .

٣- عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي ، شيخ الإقراء فيها وأحد القراء السبعة المشهورين ، اختلف في سنة وفاته ورجح ابن الجزري أنها سنة ١٢٧ هـ^(٤) .

٤- حمزة بن حبيب الزيات ، أبو عمارة الكوفي التيمي ، لقب بالزيات نسبة إلى بيع الزيت أحد القراء السبعة توفي سنة ١٥٦ هـ^(٥) .

(١) انظر النشر في القراءات العشر ١ / ٥٢ ، والتبصرة في القراءات السبع ص ٤٣ وأنظر مباحث في علوم القرآن للقطان ص ١٨٠ .

(٢) انظر طبقات القراء ٢ / ٣٣٣ ، والجرح والتعديل ٦ / ٤٥٦ تاريخ العلماء النحويين ص ٢٣٠ .

(٣) انظر طبقات القراء ١ / ٤٤٣ ، العلماء النحويين ص ٢٣١ .

(٤) طبقات القراء ١ / ٣٤٦ .

(٥) طبقات القراء ١ / ٢٦١ ، والعلماء النحويين ص ١٩٠ .

٥- علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الكسائي مولى بنى أسد وإمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين توفي سنة ١٩٢هـ^(١).

٦- عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة توفي رحمة الله عليه سنة ١١٨هـ^(٢).

٧- أبو عمرو بن موسى عالم جليل ولشهرته ، استغنى بكنيته ، وقيل إن اسمه كنيته ، وقيل اسمه زبان ، إمام أهل البصرة في القراءة وأحد السبعة ، توفي سنة ١٥٤هـ^(٣).

وسبقت الإشارة إلى أن الخطيب الشربيني قد اهتم بالقراءات ولذلك كانت جزءاً من منهجه في التفسير فهو يورد القراءة ويذكر من قرأ بها ويبين معناها وأحياناً يذكر رسم القراءة وإليك بعض الأمثلة التي توضح منهجه في عرضه للقراءات :

ففي قوله تعالى : ﴿ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(٤) .

قال : (قرأ عاصم والكسائي « مالك » بألف بعد الميم ويعضده قوله تعالى : ﴿ لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴾^(٥) ، وقرأ الباقون^(٦) بغير ألف ويعضده قوله تعالى : ﴿ ملك الناس ﴾^(٧) ، وبينهما عموم مطلق ، فكل ملك مالك ، ولا عكس لعموم ولاية الملك ، وقيل هما بمعنى وهو القادر

(١) طبقات المفسرين للدواودي ١ / ٤٠٤ .

(٢) تاريخ العلماء النحويين ص ٤٣٢ ، وطبقات القراء ١ / ٤٢٣ .

(٣) انظر تاريخ العلماء النحويين ص ١٤٠ ، ومعرفة القراء الكبار ١ / ١٠٠ .

(٤) سورة الفاتحة الآية ٤ .

(٥) سورة الانفطار الآية ١٩ .

(٦) إذا قال الخطيب « الباقون » فالمراد بقية القراء السبعة .

(٧) سورة الناس الآية ٢ .

على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر على ذلك إلا الله (١) .
 فأورد القراءة وبين رسمها ومن قرأ بها وحجة كل في قراءته .
 وقال ابن خالويه : (قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يقرأ بإثبات
 الألف وطرحها ، فالحجة لمن أثبتها : أن الملك داخل تحت المالك والدليل له قوله
 تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ (٢) والحجة لمن طرحها : أن الملك أخص من
 المالك وأمدح ، لأنه قد يكون المالك غير ملك ولا يكون الملك إلا مالكا (٣) .
 فهذا تعليل وتوجيه لما يحتمله المعنى من جهة اللغة وإلا فالقراءتان سبعيتان .
 * وفي قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ (٤) .

قال الخطيب : (وقرأ حفص وحمزة والكسائي ، بكسر الحاء وهي
 لغة نجد ، وقرأ الباقون بالفتح وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان
 ومعناها واحد) (٥) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
 وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ (٦) .
 ذكر رحمه الله القراءة في « وأرجلكم » ووجه كل قراءة وما يترتب
 عليها من أحكام فقال : (قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي بنصب اللام
 عطفًا على وجوهكم وقيل على أيديكم والباقون بالكسر على الجوار ومنهم
 من عطف الجورور على قراءة الجر ، على المسح ليفيد مسح الخف ، وعطف
 المنصوب على قراءة النصب ، على المغسول ليفيد غسل الرجل المتجردة منه ،

(١) السراج المنير ١ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٣) الحجة في القراءات السبع ص ٦٢ دار الشروق ، ط الرابعة ١٤٠١ هـ القاهرة .

(٤) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

(٥) السراج المنير ١ / ٢٣٤ .

(٦) سورة المائدة الآية ٦ .

يفيد كل من القراءتين غير ما أفادته الأخرى (١) .

وقوله رحمه الله : ومنهم من عطف المجرور على قراءة الجر ، على المسح ليفيد مسح الخف ليس له دليل ، وإنما يفهم من الآية الاكتفاء بمسح الرجلين كالرأس ، وهذا أمر خلاف السنة الصحيحة التي صرحت بوجوب غسل الرجلين منها :

« أسبغوا الوضوء ، ويل للأعقاب من النار » (٢) .

وروى الإمام أحمد من حديث عمرو بن عبسة (٣) وفيه « قال : قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال : « ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتمضمض ويستنشق وينثر إلا خرت خطاياها من فمه وخياشيمه مع الماء حين ينثر » إلى قوله « ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله إلا خرت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ، ثم يقوم فيحمد الله ويثنى عليه بالذي هو له أهل » (٤) . وغير ذلك من الأحاديث الصريحة والصحيحة في الموضوع . فقراءة النصب ، صرحت بوجوب الغسل في الوضوء ، وكذلك السنة الصحيحة ، وعليه تكون قراءة الخفض لجاورة الخفوض مع أنها في الأصل منصوبة بدليل قراءة النصب ، وقيل : إن مسح الرجلين في الآية المراد به الغسل لأن ذلك مستعمل في اللغة ، وقد حقق هذا العلامة الشنقيطي في تفسيره ، فليراجع (٥) .

(١) السراج المنير ١ / ٣٥٨ .

(٢) البخارى ١ / ٤٩ .

(٣) عمرو بن عبسة بن خالد بن امرئ القيس ، أسلم قديماً في مكة ، توفى في الشام في مدينة حمص قال الحافظ في الإصابة وأظنه توفى في أواخر خلافة عثمان ، الإصابة ٧ / ١٢٧ .

(٤) المسند ٤ / ١١٢ ، ومسلم ١ / ٥٦٩ في صلاة المسافرين .

(٥) انظر أضواء البيان ١ / ٧ وما بعدها ، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ٩١ ومشكل

إعراب القرآن ١ / ٢٢١ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ٢١ .

* وفي قوله تعالى : ﴿لَأُوتِينَ مَالاً وَّوَلَدًا﴾^(١) ذكر القراءة في « ولداً »
 وبين معنى كل قراءة ومن قرأ بها فقال : (وقرأ حمزة والكسائي « ولداً »
 بضم الواو وسكون اللام ، والباقون بفتح الواو واللام في الجميع ، يقال :
 وُلِدَ ووُلِدَ ، كما يقال : عَرَبَ وعُرِبَ ، وقَدِمَ وقُدِمَ ، أما القراءة بفتحيتين
 فواضحة وهو اسم مفرد قائم مقام الجمع ، وأما قراءة الضم والإسكان ،
 فقيل : هي كالتى قبلها في المعنى ، وقيل بل هي جمع لولد نحو أسد
 وأسد^(٢) .

* وفي قوله تعالى : ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾^(٣) .
 قال : « وقرأ يتفطرن منه أبو عمرو وابن عامر وحمزة بعد الياء بنون
 ساكنة وكسر الطاء مخففاً والباقون بعد الياء بتاء وفتح الطاء مشددة ، يقال
 انفطر الشيء وتفطر أى تشقق ، وقراءة التشديد أبلغ لأن التفعّل مطاوع
 فعّل ، والانفعال مطاوع فعل ، ولأن أصل التفعّل التكلف^(٤) .
 * وفي قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
 رَحْمَتِهِ﴾^(٥) .

ذكر القراءات في الآية ومن قرأ بها والمعنى على كل قراءة فقال :
 (قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم النون والشين أى ناشرات
 للسحاب وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين على التخفيف ، وقرأ

(١) سورة مريم الآية ٧٧ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٤٤٣ ، والتبصرة في القراءات السبع ص ٥٨٧ .

(٣) سورة مريم الآية ٩٠ .

(٤) السراج المنير ٢ / ٤٤٦ ، وانظر التبصرة في القراءات السبع ص ٥٨٨ ، والنشر

٣١٩ / ٢ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٥٧ .

عاصم بالباء الموحدة مضمومة وسكون الشين ، جمع بشور بمعنى مبشر ،
وقرأ حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر وصف
به ^(١) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وتحتون من الجبال بيوتاً فارهين ﴾ ^(٢) .

ذكر القراءة في « فارهين » بين أن قراءة ابن عامر والكوفيين ^(٣)
بألف بعد الفاء ، وأن معناها حاذقين ، وأما قراءة الباقيين فذكر أنها بغير
ألف ، ووضح أن معناها بطرين أى أنه لا حاجة لهم بذلك ^(٤) .
* وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوءنهم
من الجنة غرفاً ﴾ ^(٥) .

ذكر القراءات في « لنبوءنهم » فقال : (وقرأ حمزة والكسائي بعد
النون بئاء مثناة ساكنة وبعدها واو مكسورة وبعده الواو ياء مفتوحة أى
لنثوينهم أى لتقيمهم ، من الثواء وهو الإقامة يقال : ثوى الرجل إذا أقام
فيكون انتصاب (غرفاً) لإجرائه مجرى لتنزلهم أو بنزع الخافض ، والباقون
بعد النون بياء موحدة وبعدها واو مشددة وبعده الواو همزة مفتوحة وعلى
هذه القراءة فانتصابها على أنها مفعول ثان لأن بواً يتعدى لاثنين ^(٦) .

وفي مشكل إعراب القرآن للقيسى (من قرأ « لنثوينهم » بالثاء فهو
من الثواء ، فغرف منصوبة على حذف حرف الجر ، لأنه لا يتعدى إلى
مفعولين ، ولا يحسن أن ينصب « الغرف » على الظرف لأنه مخصوص

(١) السراج المنير ٢ / ٦٦٥ ، والتبصرة ص ٥٠٨ ، والنشر ٢ / ٢٦٩ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٤٩ .

(٣) الكوفيون هم : حمزة وعاصم والكسائي .

(٤) انظر السراج المنير ٢ / ٢٧ ، والنشر ٢ / ٣٣٦ .

(٥) سورة العنكبوت الآية ٥٨ .

(٦) السراج المنير ٣ / ١٥٠ ، والتبصرة ص ٦٣٢ ، والنشر ٢ / ٣٤٣ .

ولا يتعدى الفعل إلى الخصوص من ظرف المكان إلا بحرف ، ومن قرأه بالباء جعل « غراً » مفعولاً ثانياً ، لأنه يتعدى إلى مفعولين تقول : بوات زيداً منزلاً^(١) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فالحق والحق أقول ﴾^(٢) وضع الخطيب القراءة في « الحق » وما يتصل بها من إعراب فقال « وقرأ عاصم وحزمة برفع الأول ونصب الثاني ، والباقون بنصبهما ، فنصب الثاني بالفعل بعده ، ونصب الأول بالفعل المذكور أو على الإغراء أى الزموا الحق ، أو على المصدر ، أى أحق الحق ، أو على نزع حرف القسم ، ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أى فالحق منى أو فالحق قسمي^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾^(٤) .

بين الخطيب الشرييني رحمه الله القراءة في « فتبينوا » فقال :

(وقرأ حمزة والكسائي بعد التاء المثناة بئاء مثلثة ، وبعد الباء الموحدة بئاء مثناة فوقية ، من التثبت أي فتوقفوا إلى أن يتبين لكم الحال ، والباقون بعد التاء المثناة بئاء موحدة وبعدها بئاء تحتية وبعدها نون ، من البيان^(٥)) / * وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كأنهم حمر مستفرة ﴾^(٦) .

(١) مشكل إعراب القرآن ٢ / ١٧٣ .

(٢) سورة ص الآية ٨٤ .

(٣) السراج المنير ٣ / ٣٢٩ ، والنشر ٢ / ٣٦٢ ، والتبصرة ص ٦٥٧ ، والتحرير والتنوير ٢٣ / ٣٠٦ .

(٤) سورة الحجرات الآية ٦ .

(٥) السراج المنير ٤ / ٦٤ ، التبصرة ص ٦٨١ .

(٦) سورة المدثر الآية ٥٠ .

أورد القراءة في « مستنفرة » فقال : (قرأ ابن عامر ونافع الفاء على أنه اسم مفعول أى نفرها القناص والباقون بكسرهما بمعنى نافرة)^(١) .
* وفي قوله تعالى : ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾^(٢) .

وضح القراءة في « يعذب » و « يوثق » فقال : (وقرأ الكسائى بفتح الذال والثاء على البناء للمفعول ، والباقون بكسرهما على البناء للفاعل ، فأما قراءة الكسائى فضمير عذابه ووثاقه ، للكافر ، والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه وأما على قراءة الباقيين فالضمير فيهما لله تعالى ، أى لا يكل عذابه إلى غيره أو الزبانية المتولين العذاب بأمر الله تعالى)^(٣) .
اتضح من الأمثلة التى سبقت منهج الخطيب فى عرضه للقراءات فيذكر القراءة ومن قرأ بها ، ورسمها أحيانا ، ويذكر المعنى ويوجه القراءة ، ويعرض بها ما يتصل من اللغة والنحو ، وما يترتب عليها من الأحكام الفقهية .

* * *

-
- (١) السراج المنير ٤ / ٤٣٧ ، التبصرة ص ٧١٤ .
 - (٢) سورة الفجر الآية ٢٥ ، ٢٦ .
 - (٣) السراج المنير ٤ / ٥٣٥ ، والنظر التبصرة ص ٧٢٦ .

• المبحث الخامس : عنايته باللغة :

إن معرفة تفسير كتاب الله تعالى تستلزم تعلم اللغة وأصولها ، لأنها مفتاح فهمه ، وقد اهتم الخطيب الشرييني رحمه الله بأصول كثير من الكلمات التي اشتقت منها وبيان معناها .

* ففى قوله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ﴾^(١) .

قال : (والحل مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث ، المفرد والجمع قال تعالى : ﴿ لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾^(٢) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾^(٣) .

بين اشتقاق « رفيقاً » ومعناه فقال (« رفيقاً » من الرفق وهو لين الجانب ولطافة الفعل وهو مما يستوى واحده وجمعه)^(٤) .

قال الأخفش (والرفيق واحد فى معنى جماعة مثل : هم لى صديق)^(٥) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً ﴾^(٦) .

(١) سورة آل عمران الآية ٩٣ .

(٢) سورة الممتحنة الآية ١٠ ، وانظر السراج المنير ١ / ٢٣٢ .

(٣) سورة النساء الآية ٦٩ .

(٤) السراج المنير ١ / ٣١٥ .

(٥) معانى القرآن ١ / ٢٤٢ .

(٦) سورة النساء الآية ١٠٠ .

قال : (أى متحولاً يتحول إليه ، وقيل طريقاً يراغم بسلوكه قومه
أى يفارقهم على رغم أنوفهم مأخوذ من الرغام ، والرغم الذل والهوان وأصله
لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال : راغمت الرجل إذا فارقتة وهو يكره
مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك)^(١) .

ورغم أصل لمعنيين أحدهما : التراب والآخر المذهب ، قال ابن
فارس : الأول الرغام وهو التراب ، والرغم أن يفعل الانسان ما يكره ،
وراغم فلان قومه : خرج عنهم .

والمراغم : المذهب ، والمهرب ، فى قوله تعالى : ﴿ يجىء فى الأرض
مراغماً كثيراً واسعة ﴾ .

ويقال : مالى عن ذاك الأمر مراغم أى مهرب^(٢) .

وقال الفراء (المراغم المضطرب والمذهب فى الأرض)^(٣) ، وكذا
قال أبو عبيدة .

* وفى توضيح معنى الوفد الذى جاء فى قوله تعالى ﴿ يوم نحشر المتقين
إلى الرحمن وفداً ﴾^(٤) .

قال : (أى وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك، منتظرين لكرامتهم وأنعامهم.

والوفد الجماعة الوافدين يقال : وفد يفد وفداً ووفوداً ، ووفادة أى

قدم على سبيل التكرمة فهو فى الأصل مصدر)^(٥) .

* وفى بيان أصل كلمة الوزير التى جاءت فى قوله تعالى :

(١) السراج المنير ١ / ٣٢٧ .

(٢) معجم مقاييس اللغة (رغم) .

(٣) معانى القرآن ٢ / ٢٨٤ ومجاز القرآن ١ / ١٣٨ .

(٤) سورة مريم الآية ٨٥ .

(٥) السراج المنير ٢ / ٤٤٥ .

﴿ واجعل لى وزيراً من أهلى ﴾^(١) .

قال (الوزير مشتق من الوزر لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه ، أو من الوَزَّرَ لأن الملك يعتصم برأيه ، ويلجىء إليه أموره ، أو من الموازرة وهى المعاونة)^(٢) .

والوَزَّرُ : الملجأ ، وأصل الوزر الجبل المنيع ، وكل معقل وزر .
والوَزَّرَ : الحمل الثقيل : والوزر الذنب لثقله ، ووازره على الأمر : أعانه وقواه كما فى اللسان وغيره^(٣) .

* وفى بيان أصل الضنك الذى جاء فى قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنُكًا ﴾^(٤) .
قال : (والضنك أصله الضيق والشدة)^(٥) . وفى اللسان الضنك : الضيق من كل شىء ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وكل عيش من غير حل ضنك وإن كان واسعاً^(٦) .

* وفى معنى الرتق والفتق فى قوله تعالى : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ﴾^(٧) .
قال : (الرتق فى اللغة السد ، والفتق الشق)^(٨) .

وفى اللسان الرتق ضد الفتق ، ورتقه رتقا فارتق أى التأم^(٩) .

(١) سورة طه الآية ٢٩ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٤٦٠ ، وانظر الكشاف ٢ / ٥٣٥ .

(٣) اللسان (وزر) .

(٤) سورة طه الآية ١٢٤ .

(٥) السراج المنير ٢ / ٤٩٠ ، وانظر الكشاف ٢ / ٥٣٥ .

(٦) اللسان (ضنك) .

(٧) سورة الأنبياء الآية ٣٠ .

(٨) السراج المنير ٢ / ٥٠٣ .

(٩) اللسان (رتق) .

* وفي توضيحه لمعنى الفصاحة في قوله تعالى : ﴿ وأخى هارون هو أفصح منى لسانا ﴾^(١) .

قال : (والفصاحة لغة الخلوص ومنه فصح اللبني خلوص من رغوته) ، وفصح الرجل جادت لغته ، وأفصح تكلم بالعربية^(٢) .

وقال ابن فارس ، في معنى فصح : الفاء والصاد والحاء أصل يدل على خلوص في شيء ونقاء من الشوب ، من ذلك اللسان الفصيح الطليق ، واللبني الفصيح إذا أخذت عنه الرغوة^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون ﴾^(٤) .

قال في معنى الإبلّاس : (أى يسكت المجرمون لانقطاع حجّتهم ، فالإبلّاس أن يبقى بائساً ساكناً متحيراً ، يقال : ناظرته ، فأبلس ، ومنه الناقاة المبلّاس ، أى التي لا ترغو)^(٥) .

وأصل الإبلّاس : اليأس يقال : أبلس إذا يئس ، وقيل : اشتق اسم إبليس من ذلك ، كأنه يئس من رحمة الله ، وأبلس الرجل إذا سكت ، وانقطعت حجّته^(٦) .

* وفي تفسيره لمعنى التعزيز في قوله تعالى : ﴿ فكذبوهما فعزّزنا بثالث ﴾^(٧) .

(١) سورة القصص الآية ٣٤ .

(٢) السراج المنير ٣ / ٩٩ .

(٣) معجم مقاييس اللغة (فصح) .

(٤) سورة الروم الآية ١٢ .

(٥) السراج المنير ٣ / ١٥٩ .

(٦) انظر اللسان ومقاييس اللغة (بلس) .

(٧) سورة يس الآية ١٤ .

قال : (يقال : عزز المطر الأرض أى قواها ولبدها ، ويقال لتلك الأرض العزاز ، وتعزز لحم الناقة أى صلب وقوى)^(١) . وعلى هذا يكون معنى التعزيز التقوية ، وأصل المادة تدل على الشدة والقوة والغلبة .

* * *

(١) السراج المنير ٣ / ٣٤١ .

● مطلب : عنايته بالنحو والإعراب :

كانت عناية الخطيب الشربيني رحمه الله بمسائل النحو والإعراب بقدر ما تمس إليه الحاجة في توضيح المعاني ، وبيان المراد ، ويورد أحيانا بعض الأقوال الخلافية بين النحويين في إعراب بعض الكلمات .

* فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا ﴾^(١) .

أورد أقوال النحاة وما قيل في الآية من إعراب ، قال رحمه الله : وجوزوا في موضع « الذين قالوا » ألقاب الإعراب الثلاثة الرفع والنصب والجر .

فالرفع من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون مرفوعاً على خبر مبتدأ محذوف ، تقديره هم الذين .

الثاني : أنه بدل عن واو يكتمون .

الثالث : أنه مبتدأ ، والخبر قوله : « فادراًوا » ولا بد من حذف عائد تقديره قل لهم فادراًوا .

والنصب من ثلاثة أوجه أيضاً :

أحدها : النصب على الذم أى أذم الذين قالوا .

الثاني : أنه بدل من الذين نافقوا .

الثالث : أنه صفة لهم .

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٨ .

والجر من وجهين :

أحدهما : أنه بدل من الضمير في « بأفواههم » .

الثاني : أنه بدل من الضمير في « قلوبهم » كقول الفرزدق^(١) :

على حالة لو أن في القوم حاتمًا على جوده لظن بالماء حاتم

بجر حاتم على أنه بدل من الهاء في جوده ، وضم بنى للمفعول ، وهو

بالماء ، أى لو أن حاتمًا مستقرًا في القوم كائنًا على جوده وهم بتلك الحالة

لبخل بالماء^(٢) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ بل سئلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ﴾^(٣) .

قال : (فصبر جميل : مرفوع بالابتداء لكونه موصوفاً وخبره

محذوف .

والتقدير : فصبر جميل أولى من الجزع ، ومنهم من أضمر المبتدأ قال

الخليل : الذى أفعله صبر جميل وقال قطرب : صبرى صبر جميل^(٤) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾^(٥) .

قال في إعراب وزينة أوجه :

أحدها : أنه مفعول من أجله وإنما وصل الفعل الأول باللام في قوله

تعالى : ﴿ لتركبوها ﴾ وإلى هذا بنفسه لاختلاف شرطه في الأول : وهو

عدم اتحاد الفاعل ، فإن الخالق هو الله تعالى ، والراكب والمخاطبون بخلاف الثاني .

وقد وضع هذا أبو حيان في تفسيره فقال : (وانتصب « وزينة » ولم يكن

باللام ، ووصل الفعل إلى الركوب بواسطة الحرف وكلاهما مفعول من أجله لأن

(١) لم أجد البيت في ديوانه .

(٢) السراج المنير ١ / ٢٦٤ ، وانظر مشكل إعراب القرآن ١ / ١٦٦ .

(٣) سورة يوسف الآية ١٨ .

(٤) السراج المنير ٢ / ٩٦ .

(٥) سورة النحل الآية ٨ .

التقدير : خلقها ، والركوب من صفات المخلوق لهم ذلك ، فانتفى شرط
النصب وهو اتحاد الفاعل فعدى ، باللام ، والزينة من وصف الخالق فاتحد
الفاعل فوصل الفعل إليه بنفسه (١) .

الثانى : أنها منصوبة على الحال ، وصاحب الحال ، إما مفعول
خلقها ، وإما مفعول لتركبوها ، فهو مصدر أقيم مقام الحال .

الثالث : أن تنتصب بتقدير فعل قدره الزمخشري بقوله : وخلقها زينة .

الرابع : أنها مصدر لفعل محذوف أى تترينون بها زينة (٢) .

* وأورد رحمه الله اختلاف النحويين فى نصب قيماً فى قوله تعالى : ﴿ ولم يجعل
له عوجاً قيماً ﴾ (٣) .

ذكر فى إعرابه ثلاثة أوجه :

الأول : قال فى الكشاف لا يجوز جعله حالاً من الكتاب لأن قوله
تعالى : ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ معطوف على قوله تعالى : ﴿ أنزل ﴾ فهو
داخل فى خبر الصلة وأنه لا يجوز ولما بطل هذا وجب أن ينتصب بمضمر
والتقدير : ولم يجعل له عوجاً جعله قيماً ، لأنه تعالى إذا نفى عنه العوج
فقد أثبت له الاستقامة ، قال : فإن قلت : فما فائدة الجمع بين نفي العوج
وإثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر ، قلت : فائدته التأكيد .

الثانى : أنه حال ثانية أو الجملة المنفية قبله حال أيضاً كما مر وتعدد
الحال لذى حال واحد جائز ، والتقدير : أنزله غير جاعل له عوجاً قيماً .

الثالث : أنه حال أيضاً ولكنه بدل من الجملة قبله ، لأنها حال ،
وإبدال المفرد من الجملة إذا كانت بتقدير مفرد جائز (٤) .

(١) البحر المحيط ٥ / ٤٧٦ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٢٠٧ .

(٣) سورة الكهف الآية ١ ، ٢ .

(٤) السراج المنير ٢ / ٣٤٨ ، وانظر الكشاف ٢ / ٤٧١ .

أورد رحمه الله ثلاثة أقوال في إعراب « قيماً » ولم يبين أى الأعراب أولى ، فالزنجشري نفى انتصابه على الحال ، وجزم الطاهر ابن عاشور في التحرير أنه حال من الكتاب أو من ضميره في « له » ، وقال : (لأنه إذا جعل حالا من أحدهما ثبت الاتصاف به للآخر إذ هما شيء واحد ، فلا طائل فيما أطلوا به من الإعراب)^(١) .

وهذا الذى قاله هو أظهر الأعراب وأوضحها والله أعلم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه ﴾^(٢) .

ففى إعراب قوله : ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ اقتصر الخطيب على الراجع فقال : (فى تنزيل الكتاب إعرابات مختلفة وأظهرها ما جرى عليه الجلال المحلى^(٣) من أن تنزيل الكتاب مبتدأ و ﴿ لا ريب فيه ﴾ خبر أول ، و ﴿ من رب العالمين ﴾ خبر ثان)^(٤) .

* وفي بيان موقع « ما » فى قوله تعالى : ﴿ ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾^(٥) .

قال الخطيب : (ويجوز فى « ما » هذه وجهان :

أحدهما : أن تكون مجرورة المحل عطفاً على المجرورة قبلها بفى والتقدير : ولكن الجناح فيما تعمدت كما مرت الإشارة إليه .

والثانى : أنها مرفوعة المحل بالابتداء ، والخبر محذوف تقديره :

(١) التحرير والتنوير ١٥ / ٢٤٧ - الشركة التونسية - ، وانظر مشكل إعراب القرآن ٣٦/٢ .

(٢) سورة السجدة الآية ١ ، ٢ .

(٣) هو العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى المتوفى سنة ٨٦٤ هـ .

(٤) السراج المنير ٣ / ١٠٢ ، وانظر إملاء مامن به الرحمن ٢ / ١٨٩ ، وانظر مشكل

إعراب القرآن ٢ / ١٨٦ ، وانظر تفسير الجلالين ص ٣٤٧ ، تحقيق د / شعبان محمد

إسماعيل ، شركة الشمردى بالقاهرة .

(٥) سورة الأحزاب الآية ٥ .

تؤاخذون به أو عليكم فيه الجناح^(١) . وعلى هذا الإعراب جرى
العكبرى^(٢) ومكى القيسى .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾^(٣) .

قال في إعراب جملة ﴿ معها سائق وشهيد ﴾ : (يجوز في جملة
« معها سائق وشهيد » أن تكون في موضع جر صفة لنفس ، وأن تكون
في موضع رفع صفة لكل وأن تكون في موضع نصب على الحال من
كل^(٤) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ حكمة بالغة فما تغن النذر ﴾^(٥) .

قال في إعراب ما في قوله : ﴿ فما تغن النذر ﴾ : (يجوز في ما أن
تكون استفهامية وتكون في محل نصب مفعولاً مقدماً أي : أي شيء تغني
النذر وأن تكون نافية أي لم تغن النذر شيئاً^(٦) .

بينت الأمثلة التي ذكرت اهتمام الخطيب الشربيني رحمه الله بالإعراب
وموقفه منه ، وكان اهتمامه به بقدر ما يترتب على ذلك من معاني .

* * *

(١) السراج المنير ٣ / ٢٢١ ، وانظر الإملاء ٢ / ١٩١ ، ومشكل إعراب القرآن
١٩١ / ٢ .

(٢) هو أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ هـ .

(٣) سورة ق الآية ٢١ .

(٤) السراج المنير ٤ / ٨٥ .

(٥) سورة القمر الآية ٥ .

(٦) السراج المنير ٤ / ١٤٣ .

● مطلب : في استشهاده بالشعر :

استشهد الخطيب الشربيني بالشعر في تفسيره ، وكان ذلك لأغراض متعددة ، فيذكره لتوضيح المعاني اللغوية والنحوية أو غير ذلك من الأغراض .

* ففي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ** ﴾^(١) . بين معنى عمين فقال : (أى عمى القلوب عن الحق غير مستبصرين ، يقال : رجل عم في البصيرة ، وأعمى في البصر ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر^(٢) :
وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنى عن علم ما في غد عم
أى أنه غمى عليه علم المستقبل .

* وفي قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ كَذَبُوا شَعْيًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا** ﴾^(٣) .
أى لم ينزلوا في ديارهم والمغانى المنازل التى بها أهلها ، واحداها مغنى ،
وبعد أن ذكر تلك المعانى استشهد لها بقول القائل^(٤) :

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة فى ظل ملك ثابت الأوتاد
استغنوا فى بلادهم أى أقاموا ونزلوا ، والمغانى المنازل ، ومنه المرأة
الغانية ، وهى التى استغنت بجمالها عن لبس الحلى .
* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ** ﴾^(٥) الآية .

-
- (١) سورة الأعراف الآية ٦٤ .
 - (٢) انظر السراج المنير ، والبيت لزهير بن أبى سلمى وهو فى شرح المعلقات السبع ص ١١٨ .
 - (٣) سورة الأعراف الآية ٩٢ .
 - (٤) السراج المنير ١ / ٤٩٥ ولم أجد قائله .
 - (٥) سورة الأعراف الآية ١٥٥ .

ذكر رحمه الله أن « قومه » منصوب بنزع الخافض (يقال اخترت من الرجال زيداً ، واخترت الرجال زيداً وأنشدوا :
ومنا الذى اختير الرجال سماحة وجوداً إذا هب الرياح الزعازع^(١)
أى ومنا الذى اختير من الرجال ، فحذف من وأوصل الفعل إلى الرجال .

* وفى قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ﴾ الآية ،
سورة الأعراف ١٦٩ .

بين رحمه الله معنى الخلف وذكر أنه القرن الذى يأتى من بعد ، ثم
وضح أنه بسكون اللام شائع فى الشر وبفتحها فى الخير ، يقال : خلف
صدق بفتح اللام ، وخلف سوء بسكونها ، وقد تحرك فى الدم وتسكن فى
المدح ، قال حسان :

لنا القدم الأول إليك وخلفنا لأولنا فى طاعة الله تابع^(٢)
وقال لييد فى الدم^(٣) :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجر
فالشاهد فى بيت حسان : أنه ذكر الخلف بسكون اللام ، وهو فى
مقام المدح ، وفى بيت لييد فتح اللام وهو فى مجال الدم ، وفى مقاييس اللغة :
أن الخلف إذا أضيف إلى الصدق أو إلى السوء فتح اللام ، وإذا لم يضاف
إلى أى منهما فتح فى مقام المدح وسكن فى الدم^(٤) .

* وفى بيان معنى اللام فى قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة لدلوك

(١) للفرزدق فى ديوانه ص ١٨٦ .

(٢) ديوان حسان ص ٢٥٤ تحقيق عبد الرحمن البرقوقي - المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٣) أنظر ديوانه ص ٣٦ - دار صادر - بيروت .

(٤) مقاييس اللغة (خلف) .

الشمس ﴿^(١)﴾ الآية .

ذكر أن فيها قولين : قول أنها على بابها ، وقول أنها بمعنى بعد ،
واستشهد للقول الثاني بقول الشاعر^(٢) .

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً
أى بعد طول اجتماع .

* وفي بيانه معنى الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ليس في جهنم مثوى
للكافرين﴾^(٣) .

ذكر أن الاستفهام للتقرير ، أى لتقرير مثوهم واستشهد على هذا
بقول الشاعر^(٤) :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
أى أنتم خير من ركب المطايا ، فالهمزة للإنكار ، إذا دخلت على
النفس رجع المعنى إلى التقرير^(٥) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ونقبوا في البلاد هل من محيص﴾^(٦) بين معنى
التنقيب في اللغة فقال : (والتنقيب والتنقير والتفتيش ، ومعناه التطواف في
البلاد واستشهد بقول الشاعر^(٧) :

وقد نقتب في الأفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

(١) سورة الإسراء الآية ٧٨ .

(٢) هو متمم بن نويرة ، والبيت في جمهرة العرب ٢ / ٧٥٢ ، وأمالى اليزيدى ص ٢١
من قصيدة يرثي بها أخاه مالكا .

(٣) سورة الزمر الآية ٣٢ .

(٤) هو جرير بن عطية ، والبيت في ديوانه ص ٧٧ .

(٥) السراج المنير ٣ / ١٥٤ .

(٦) سورة ق الآية ٣٦ .

(٧) هو امرؤ القيس ، والبيت في ديوانه ص ٤٣ ، وجمع الأمثال للميداني ١ / ٢٩٥ .

أى طوف وفتش حتى قنع بالرجوع ، وأصله مثل يضرب عند القناعة
بالسلامة وأول من قاله كما في مجمع الأمثال : امرؤ القيس ابن حجر في بيته
المذكور .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى ﴾^(١) .

بين معنى أكدى : أنه منع الباقي مأخوذ من الكدية : كالصخرة تمنع
حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر ، فأكدى أصله من أكدى الحافر إذا حفر
شيئاً فصادف كدية منعه من الحفر ، ثم استعمل في كل من طلب شيئاً فلم
يصل إليه ، أو لم يتممه ، ولمن طلب شيئاً ولم يبلغ آخره واستشهد لهذا
بقول الشاعر^(٢) :

وأعطى قليلاً ثم أكدى عطاءه

ومن يفعل المعروف في الناس يحمد^(٣) .

* وفي قوله تعالى ﴿ فزادوهم رهقاً ﴾^(٤) .

بين المراد بالرهق : أنه الضيق والشدة وكذلك الإثم وغشيان المحارم ،
ورجل رهق إذا كان كذلك ، واستشهد بقول الشاعر^(٥) .

لاشئ ينفعنى من دون رؤيتها

هل يشتفى عاشق ما لم يصب رهقاً

* وفي قوله تعالى : ﴿ إنه ظن أن يحور ﴾^(٦) .

(١) سورة النجم الآية ٣٤ .

(٢) لم أجد قائله .

(٣) انظر السراج المنير ٤ / ١٣٤ .

(٤) سورة الجن الآية ٦ .

(٥) الأعشى والبيت في ديوانه ص ١٢٤ .

(٦) سورة الانشقاق الآية ٢٤ .

(أى لا يرجع ولا يتغير واستشهد على ذلك بقول الشاعر^(١) :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يجور رماداً بعد إذ هو ساطع

أى يتحول الشهاب إلى رماد بعد أن كان مشتعلاً .
كان الجانب اللغوى فى تفسير الخطيب واضحاً ، فقد اهتم بأصول
الكلمات واشتقاقها ، كما اعتنى بمسائل النحو التى لها صلة فى بيان المعنى
وتوضيحه ، واستشهد بالشعر وكلام العرب فى توضيح ذلك .

* * *

(١) ليلى بن ربيعة العامرى ، انظر السراج المنير ٤ / ٥٠٨ ، وديوانه ص ٨٨ دار صادر -
بيروت .

○ الفصل الثالث ○

اهتمامه بالأحكام الفقهية

اهتم الخطيب الشرييني رحمه الله في تفسيره بالأحكام الفقهية ، فإذا أتى على الآيات التي فيها أحكام ، ذكر أقوال أهل العلم في معناها وما يؤخذ منها أحكام وما يتعلق بها من قضايا فقهية ، كما يلاحظ أنه أبرز مذهب الإمام الشافعي . والخطيب شافعي المذهب ، وكتبه في الفقه مثل : مغنى المحتاج في معرفة ألفاظ المنهاج ، وكتاب : الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع^(١) ، هي من الكتب المعتمدة عند متأخري الشافعية .

وفي عرضه للمسائل الفقهية ، يذكر الأقوال ، ومن قال بها ، وأدلتهم وبيّن الراجح ودليله ، وأحيانا يذكر الأقوال بلا تعقيب ولا ترجيح ، وإليك بعض الأمثلة التي تبين منهجه في ذلك :

* في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾^(٢) الآية .
قال : (قال مسروق :^(٣) من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير ، فلم يأكل ولم يشرب حتى مات ، دخل النار) ثم قال : (واختلف في قدر ما يحل للمضطر أكله من الميتة ، على قولين : أحدهما : أن يأكل مقدار ما يمسك رmqه ، وهو قول أبي حنيفة

(١) هو العلامة أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني الشافعي ، له المختصر المعروف : غاية الاختصار ، وهو الذي شرحه الخطيب في كتاب الإقناع توفي سنة ٥٩٣ هـ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٣ .

(٣) هو أبو عائشة بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الكوفي ، من التابعين الثقات ، وكان عالماً ورعاً زاهداً عابداً ، من مدرسة ابن مسعود في التفسير ، توفي سنة ٦٣ هـ ، التهذيب ١٠ / ١٠٩ .

والراجع عند الشافعي .

والقول الآخر : يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك (١) .

فالخطيب رحمه الله عرض أقوال العلماء في المسألة ، ولكنه لم يرجح

شيئاً منها .

وهذه المسألة تكلم فيها أهل العلم من أصحاب المذاهب ، قال أبو حنيفة وأبو يوسف (٢) ومحمد (٣) : (لا يأكل المضطر من الميتة إلا مقدار ما يمسك رمقه ، قال تعالى : ﴿إلا ما اضطرتم إليه﴾ (٤) وقال ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ فعلق الإباحة بوجود الضرورة ، والضرورة هي وجود الضرر بترك الأكل ، إما على نفسه أو على عضو من أعضائه ، فمتى أكل بمقدار ما يزول عنه الخوف من الضرر في الحال ، فقد زالت الضرورة ، ولا اعتبار في ذلك بسد الجوع ، لأن الجوع في الابتداء لا يبيح أكل الميتة إذا لم يخف ضرراً بتركه ، وأيضاً قوله تعالى ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ فالمراد منه غير باغ ولا عاد في الأكل .

ومعلوم أنه لم يرد الأكل منها فوق الشبع ، لأن ذلك محظور في الميتة وغيرها من المباحات ، فوجب أن يكون المراد غير باغ في الأكل منها مقدار الشبع فيكون البغي والتعدى واقعين في أكله منها مقدار الشبع ، لاختصاص الميتة بهذا الوصف .

وعقدة الإباحة بهذه الشريطة فائدة ، وهو أن لا يتناول منها إلا مقدار

(١) السراج المنير ١ / ١١٣ .

(٢) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي ، صاحب أبي حنيفة ، وهو أول من نشر مذهبه ، كان علامة حافظاً للحديث فقيهاً مبرزاً ، توفي سنة ١٨٢ هـ . شذرات الذهب ١ / ٢٩٨ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني إمام جليل في الفقه والأصول ، من تلاميذ أبي حنيفة الذين نشروا مذهبه ، توفي سنة ١٨٩ هـ .

(٤) سورة الأنعام الآية ١١٩ ، الشذرات ١ / ٣٢١ .

زوال خوف الضرورة^(١) .

قال ابن عبد البر^(٢) : (أكل كل ميتة من حيوان البر حرام ، إلا عند الاضطرار إليها لخوف ذهاب النفس ، وجائز عند مالك للمضطر أن يشبع من الميتة ، ويتزود منها لحاجة إليها حتى يجد الذكي أو غيره من الحلال^(٣) .
وفي زاد المحتاج بشرح المنهاج من كتب الشافعية :

(ومن خاف من عدم الأكل على نفسه موتاً أو مرضاً مخوفاً أو زيادته ولم يجد حلالاً يأكله ، ووجد محرماً كميتة ولحم خنزير وطعام الغير لزمه أكله ، لأن تاركه ساع في هلاك نفسه ، وقد قال تعالى :
﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾^(٤) .

والأظهر : لا يشيع بل يجب سد الرمق فقط في الأصح ، لأنه بعده غير مضطر فلا يباح ، لانتفاء الشرط إلا أن يخاف تلفاً وحدوث مرض أو زيادته إن اقتصر على سد الرمق ، فتباح له الزيادة^(٥) .

وقال الشيخ منصور البهوتي^(٦) من علماء الحنابلة : (ومن اضطر إلى

-
- (١) أحكام القرآن للجصاص ١ / ١٥١ المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٧ هـ .
 - (٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله النيرى القرطبي ، عالم المغرب وحافظها ، له مؤلفات كثيرة من أشهرها التمهيد والاستذكار والاستيعاب . توفي سنة ٤٦٣ هـ .
 - (٣) الكافي في الفقه المالكي ١٠ / ٤٣٩ ، لابن عبد البر ، تحقيق (محمد بن آحيد ولد ماديك ١٣٩١ هـ .
 - (٤) سورة النساء الآية ٢٩ .
 - (٥) زاد المحتاج للشيخ الكوهيجي ٤ / ٤٣٠ ، الطبعة الأولى - الشؤون الدينية قطر .
 - (٦) أبو السعادات منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن أحمد بن علي بن إدريس البهوتي ، قطب علماء الحنابلة المتأخرين ، له مؤلفات معروفة منها : كشاف القناع عن متن الإقناع ، والروض المربع شرح زاد المستنقع وغيرها ، توفي في مصر سنة ١٠٥١ هـ ، انظر خلاصة الأثر للمحبي ٤ / ٤٢٦ .

محرم جاز له أن يأكل منه ، وضابط الاضطرار : أن يخاف التلف ، إما من جوع أو يخاف إن ترك الأكل عجز عن المشى ، وانقطع عن الرفقة فيهلك ، أو عجز عن الركوب فيهلك ، وجب عليه أن يأكل من المحرم بقدر ما يسد رمقه ، وليس له الشبع من المحرم ، وإن له التزود منه للحاجة (١) .

يتضح مما سبق أن في المسألة قولين ، كما ذكر الخطيب رحمه الله :

القول الأول :

للأحناف والشافعية والحنابلة ، وهؤلاء لا يجيزون للمضطر أن يأكل أكثر من سد الرمق .

القول الثاني :

للمالكية ، ويجيزون للمضطر أن يشبع من المحرم .
والقول الأول هو الراجح ، لأن الله سبحانه وتعالى ، أباح المحرم للضرورة ، فإذا سد المضطر رمقه ، لم يعد مضطراً للمحرم فالت ضرورة فامتنع الشبع .

وأما التزود من المحرم للحاجة فلا بأس به لأنه قد يحتاج إليه .
* وفي بيان شهادة المرأة متى تقبل ومتى لا تقبل ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ﴾ (٢) .

(أجمع الفقهاء على أن شهادة النساء ، جائزة مع الرجال في الأموال حتى أنها تثبت برجل وامرأتين ، واختلفوا في غير الأموال ، فذهب جماعة إلى أنه تجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات وهو قول سفيان الثوري ،

(١) كشف القناع عن متن الإقناع للبهوتي ٦ / ١٩٤ ، نشر مكتبة النصر الحديثة الرياض .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .

وأصحاب الرأي ، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين ، وذهب الشافعي إلى أن ما يطلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والثبوبة والبيكاره ونحوها ، تثبت بشهادة رجل وامرأتين ، أو شهادة أربع نسوة ، واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات (١) .

فالخطيب نقل الإجماع على أن شهادة المرأة مع الرجل جائزة في الأموال ، ونقل اتفاق أهل العلم على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات ، وذكر الخلاف في شهادة المرأة مع الرجل ، أو شهادة النساء منفردات ، وذكر قول أصحاب الرأي ، ومذهب الشافعي من غير أن يرجح أياً منهما .

ومذهب المالكية عدم جواز شهادة المرأة في الحدود ، والنكاح والطلاق والأنساب ، وتجاوز في الأموال وعيوب النساء ، قال ابن عبد البر : (لا تجوز شهادة النساء في شيء من الحدود ، ولا في النكاح ، ولا في الطلاق ، ولا في الرجعة ، ولا في العتاق والأنساب ، ولا في عدا الأموال كالمداينات والموارث والإجازات والهبات والصدقات ، وإنما تجوز شهادة النساء في الأموال مع الرجل ، إذا كان مع كل رجل امرأتان ، وتجاوز شهادتهن دون الرجال فيما لا يطلع عليه الرجال ، من عيوب النساء ، والحيض والولادة ولا يجوز منهن في ذلك أقل من امرأتين فصاعدًا) (٢) .

وأما الشافعية فيشترطون شهادة أربع نسوة ، أما الحنابلة فيجيزون شهادة المرأة العدل فيما لا يطلع عليه عادة الرجال كالولادة والرضاع والعيوب التي تحت الثياب ، قال ابن قدامة : (والذي تقبل فيه شهادتهن منفردات خمسة أشياء : الولادة والاستهلال (٣) ، والرضاع ، والعيوب تحت

(١) السراج المنير ١ / ١٨٧ .

(٢) الكافي ٢ / ٩٠٦ .

(٣) الاستهلال : هو صراخ المولود عند الولادة .

الثياب كالرتق^(١) والقرن^(٢) والبكارة والثيابة والبرص ، وانقضاء العدة .. إذا ثبت هذا فكل موضع قلنا تقبل شهادة النساء منفردات ، فإنه تقبل فيه شهادة المرأة الواحدة^(٣) .

وأجاز الأحناف شهادة المرأة الواحدة في الولادة^(٤) .

واستدل الحنابلة بحديث عقبة بن الحارث^(٥) قال : (تزوجت أم يحيى^(٦) بنت أبي إهاب ، فجاءت أمة سوداء ، فقالت : قد أرضعتكما ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأعرض عني ، قال فتنحيت ، فذكرت ذلك له ، قال : « وكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما فنهاه عنها »^(٧) .

وبهذا يترجح القول بجواز شهادة المرأة العدل في أمور الولادة وعيوب النساء ، والله أعلم .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّاقِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ ﴾^(٨) الآية .

(١) الرتق : انسداد الفرج .

(٢) القرن : لحم زائد في الفرج .

(٣) المغنى مع الشرح ١٢ / ١٦ وانظر فتح الباري ٥ / ٢٦٧ .

(٤) انظر بداية المجتهد لابن رشد ٢ / ٤٦٥ ، دار المعرفة - الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ -

١٩٧٨ م وانظر أيضاً المغنى مع الشرح ١٢ / ١٦ .

(٥) عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، له صحبة من مسلمة

الفتح . انظر لاستيعاب بهامش الإصابة ٨ / ١٩٨ .

(٦) أم يحيى هي : غنية بنت أبي إهاب ، قال ابن حجر في الإصابة : ثبت ذكرها في

صحيح البخارى ، في حديث عقبة بن الحارث النوفلي ، أنه تزوج أم يحيى بنت

أبي إهاب ، ذكر في الفتح أنه وجد في النسائي أن اسمها زينب ، وقال : لعل غنية

لقبها . أو كان اسمها فغير بزینب ، كما غير اسم غيرها . الإصابة ١٣ / ٣٠٦ ، وفتح

الباري ٥ / ٢٦٧ .

(٧) أخرجه البخارى في كتاب الشهادات ٣ / ١٥٣ .

(٨) سورة النساء الآية ١٥ .

تكلم رحمه الله عن حد الزنا وشروطه ، ورد قول أئى حنيفة الذى اعتبر الإسلام من شروط الإحصان ، فلم يرحم الذمى ، قال رحمه الله : (وجملة حد الزنا ، أن الزانى إذا كان محصناً وهو الذى اجتمع فيه أربع أوصاف ، العقل والبلوغ والحرية والإصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلماً كان أو ذمياً ، وعند أئى حنيفة أن الإسلام من شرائط الإحصان ، فلا يرحم عنده الذمى ، ويرده ما صح عن رسول الله : « أنه رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا^(١) .

وإن كان الزانى غير محصن بأن لم تجتمع فيه هذه الأوصاف ، نظر : إن كان غير بالغ أو مجنوناً فلا حد عليه ، وإن كان حراً عاقلاً بالغاً غير أنه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام .

وإن كان رقيقاً فعليه جلد خمسين وتغريب نصف عام^(٢) .
فالخطيب يرجح أن المحصن الذمى يرحم واستدل على ذلك بفعله

ﷺ .

* وفى قوله تعالى : ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيماكم من فتياتكم المؤمنات ﴾^(٣) الآية .

(١) والحديث أخرجه البخارى ٨ / ٣٠ فى كتاب الحدود وهو من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : (إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامراً زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ، فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، قالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ ، فرجما فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقبها (الحجارة) .

(٢) السراج المنير ١ / ٢٨٨ .

(٣) سورة النساء الآية ٢٥ .

قال : (ومن لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة أى أو الكتابية فليتزوج الأمة المؤمنة وظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله عنه فى تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداق حرة ، ومنع نكاح الأمة الكتابية مطلقاً . وأول أبو حنيفة رضى الله عنه طول المحصنات بأن يملك فراشهن ، على أن النكاح هو الوطاء ، وحمل قوله تعالى : ﴿ من فتياتكم المؤمنات ﴾ على الأفضل كما حمل عليه قوله تعالى : ﴿ المحصنات المؤمنات ﴾ ومن أصحابنا^(١) من حمّله على التقييد ، وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذراً من مخالطة الكفار وموالاتهم^(٢) .

وفى تفسيره للآية تناول عدة مسائل فيها :

الأولى : بين أن المراد بالطول فى الآية هو مهر الحرة المؤمنة أو الكتابية .

الثانية : حرمة نكاح الأمة على من وجد مهراً للحرة .

الثالثة : أن مذهب الشافعى منع نكاح الأمة الكتابية مطلقاً .

هذا وقد ذكر القرطبى فى معنى الطول الذى جاء فى الآية ثلاثة

أقوال :

الأول : السعة والغنى ، وهو قول ابن عباس ومجاهد ومالك . ومعناه

القدرة على المهر .

الثانى : الطول الحرة ، فإذا كانت تحته حرة فهو ذو طول ، فلا يجوز

له نكاح الأمة .

الثالثة : الطول الجلد والصبر لمن أحب أمة وهويها حتى صار لذلك

لا يستطيع أن يتزوج غيرها ، فإن له أن يتزوج الأمة إذا لم يملك هواها

(١) يعنى الشافعية .

(٢) السراج المنير ١ / ٢٩٦ .

وخاف أن ييغى بها وإن كان يجد سعة في المال لنكاح حرة^(١) .
والراجح أن المراد بالطول هو السعة والمال ، وأن الله قد أباح للمسلم
الحر نكاح الأمة بأربعة شروط :

١ - إيمانها

٢ - العفة ظاهراً وباطناً

٣ - عدم استطاعة مهر الحرة

٤ - خوف العنت .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ
وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾^(٢) الآية .

قال الخطيب الشربيني رحمه الله : (بعث الحكمين على سبيل
الوجوب ، وكونهما من الأقارب على سبيل الندب ، وهما وكيلان لهما ،
فاشترط رضاهما ، لا حكمان من جهة الحاكم ، لأن الحال يؤدي إلى الفراق ،
والبضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان فلا يولى عليهما في
حقهما ، فيوكل هو حكمه بطلاق أو خلع ، وتوكل هي حكمها ببذل
عوض وقبول طلاق ويشترط فيهما :

إسلام وحرية وعدالة واهتداء إلى المقصود من بعثهما له ، وإنما اشترط
فيهما ذلك مع أنهما وكيلان لتعلق وكالتهما بنظر الحاكم كما في أمينه ، ويسن
كونهما ذكراين ولا يكفي حكم واحد^(٣) .

يرى الخطيب رحمه الله أن الأمر للوجوب في قوله : ﴿ فابْعَثُوا ﴾
لذلك قال بوجوب بعث الحكمين ، وأنه لا يكفي حكم واحد ، وأنهما
وكيلان عن الزوجين وليس قاضيين حاكمين ، أما القرطبي فقال في قوله :
﴿ فابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ : (وهذا نص من الله

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٥ / ١٣٦ .

(٢) سورة النساء الآية ٣٥ .

(٣) السراج المنير ١ / ٣٠١ .

سبحانه بأنهما قاضيان لا وكيلان ، ولا شاهدان^(١) ، واستدل رحمه الله بما رواه الدارقطني من حديث محمد بن سيرين قال : جاء رجل وامرأة إلى علي مع كل واحد منها فقام^(٢) من الناس ، فأمرهم فبعثوا حكما من أهله وحكماً من أهلها ، وقال للحكمين :

هل تدریان ما علیكما ؟ علیكما إن رأیتما أن تفرقا فرقتما) قال القرطبي : وهذا إسناد صحيح ثابت ، وبين وجه الاستدلال من الحديث فقال : (فلو كانا وكيلين أو شاهدين لم يقل لهما أتدریان ما علیكما ؟ إنما كان يقول : أتدریان بما وکلتكما وهذا بین)^(٣) .

وظاهر مذهب الشافعية والحنابلة ، أن الحكمين وكيلان عن الزوجين ، لا يرسلان إلا برضاهما وتوكيلهما ، وأنهما إذا رفضا التوكيل لا يلزمان به .

قال المرداوى^(٤) في الإنصاف : (اعلم أن الصحيح من المذهب : أن الحكمين وكيلان عن الزوجين ، لا يرسلان إلا برضاهما وتوكيلهما)^(٥) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥ / ١٧٦ .

(٢) فقام : جماعات .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥ / ١٧٧ .

(٤) هو علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن محمد المرداوى الصالحى الحنبلى ، الشيخ الإمام العلامة المحقق ، أعجوبة الدهر إمام المذهب ومحرره ، قدم دمشق ونزل بمدرسة شيخ الإسلام أبى عمر بالصالحية .

برع في فنون كثيرة ، وانتهت إليه رئاسة المذهب ، وكان لا يتردد إلى أحد من أهل الدنيا ، توفي بالصالحية ودفن في سفح قاسيون سنة ٨٨٥ هـ انظر شذرات الذهب ٧ / ٣٤٠ ، والضوء اللامع ٥ / ٢٢٥ .

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٨ / ٣٨٠ للشيخ المرداوى تصحيح وتحقيق : محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية الطبعة الأولى القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

وقال الخطيب الشربيني في معنى المحتاج : (وهما وكيلان في الأظهر عنهما)^(١) أى عن الزوجين .

واختار ابن هبيرة^(٢) وشيخ الإسلام ابن تيمية : أنهما حكمان يفعلان ما يريان ، من جمع أو تفريق ، وهى رواية عن الإمام أحمد .
وأن يكون الحكمان من الأهل لقوله تعالى : ﴿ فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ﴾ الآية .

قال شيخ الإسلام : (وهذا يقتضى وجوب كونهما من الأهل ، وهو مقتضى قول الخرقى^(٣) ، فإنه اشترطه ، كما اشترط الأمانة ، وهذا أصح ، فإنه نص القرآن ، ولأن الأقارب أخبر بالعلل الباطنة ، وأقرب إلى الأمانة ، والنظر فى المصلحة ، وأيضاً فإنه نظر فى الجمع والتفريق ، وهو أولى من ولاية عقد النكاح ، لا سيما إن جعلناهما حكيمين ، كما هو الصواب ، ونص عليه أحمد ، وهو قول على ، وابن عباس ، ومذهب مالك^(٤)) .

وقد ذكر ابن هبيرة أنهما حكمان لا وكيلان ، وقال : (وهو الصحيح عندى ، لأن الله سماهما بذلك فقال : ﴿ فابعثوا حكماً من أهله

(١) معنى المحتاج ٣ / ٢٦١ ، نشر مكتبة مصطفى البانى الحلبي ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

(٢) يحيى بن محمد بن هبيرة ، الوزير العادل ، أبو المظفر ، الخنيلي كانت له معرفة حسنة باللغة والنحو والعروض ، وصنف فى تلك العلوم ، كان متمسكاً بالسنة ، واتباع سيرة السلف ، ولما ولى الوزارة قرب خيار الناس من الفقهاء والمحدثين والصالحين ، واجتهد فى إكرامهم ، انظر المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد ٢ / ٣٣٢ (والشذرات ٤ / ١٩١ .

(٣) أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى ، أحد أئمة المذهب الخنيلي كان بارعاً فيه ، له مصنفات اشتهر منها « المختصر » كان رحمه الله كثير العبادة فاضلاً ، توفى سنة ٣٣٤ هـ بدمشق . انظر المنهج الأحمد ٢ / ٦١ .

(٤) حاشية الروض المربع للشيخ ابن قاسم ٦ / ٤٥٧ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

وحكما من أهلها ﴿ فسامها حكيم بنص القرآن ﴾^(١) .

والراجح أنهما حكمان يقضيان ، لأن الله سماهما حكيمين ، والحكم يحكم وإن لم يرض المحكوم عليه .

* وحول المسافة التي تقصر فيها الصلاة بالنسبة للمسافر ، ذكر رحمه الله أنها أربعة برد ، وهذا قول الشافعي ، وأما أبو حنيفة فقال : ثلاثة أيام ولياليهن ، بسير الإبل ومشى الأقدام ، ذكر هذا عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ﴾^(٢) .

والبريد وحدة قياسية قديمة ، وأصله الدابة التي تحمل الرسائل ، ثم صار يطلق على المسافة بين منزلتين ، وتقدر باثني عشر ميلاً^(٣) .
والميل مقياس للطول قدر قديماً بأربعة آلاف ذراع ، وحديثاً بـ (١٧٦٠ ياردة)^(٤) .

ثم فسر رحمه الله الضرب في الأرض الذي ورد في الآية أنه السفر الطويل لغير معصية ، ثم وضع المراد بالقصر فقال : (أى من أربع إلى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء ، يدل على جواز القصر دون وجوبه ، وأوجب القصر أبو حنيفة لقول عمر رضى الله عنه « صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم »^(٥)) ولقول عائشة رضى الله

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢ / ١٤٣ ، نشرته المؤسسة السعيدية بالرياض .

(٢) سورة النساء الآية ١٠١ .

(٣) انظر الصحاح في اللغة والعلوم . تأليف : نديم مرعشلى مادة (برد) دار الحضارة العربية - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥ م .

(٤) المعجم الوسيط (برد) .

(٥) رواه أحمد ١ / ٣٧ وابن ماجه ١ / ٣٣٨ باب تقصير الصلاة في السفر وهو صحيح الإسناد .

عنها : « أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر »^(١) .

ذكر الخطيب رحمه الله المسافة التي تقصر فيها الصلاة وبين أنها مختلف فيها ، وقد جاء في البخارى من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذى محرم »^(٢) .

وجاء من حديث أبى هريرة قال النبي ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة »^(٣) .

أخذ الأحناف بحديث ابن عمر وقالوا : مسافة القصر ثلاثة أيام بلياليهن ، وأخذ الآخرون بحديث أبى هريرة وقالوا : مسافة القصر يوم وليلة ، وقد ذكر البخارى في التعليق أن النبي ﷺ سمي يوماً وليلة سافراً قال الحافظ في الفتح (في رواية أبى ذر « السفر يوم وليلة » والمعنى سمي مدة اليوم والليلة سافراً ، وكأنه يشير إلى حديث أبى هريرة المذكور عنده في الباب ، وقد تعقب بأن في بعض طرقه « ثلاثة أيام » كما أورده هو من حديث ابن عمر ، وفي بعضها (يوم وليلة) وفي بعضها « يوم » وفي بعضها « ليلة » وفي بعضها « بريد » فإن حمل اليوم المطلق أو الليلة المطلقة على الكامل أى بليته أو ليلة بيومها قبل الاختلاف واندرج في الثلاث فيكون أقل المسافة يوماً وليلة^(٤) وقد جمع الحافظ بين الروايات التي ذكرت اليوم ، وذكرت الليلة ، وذكرت أربعة برد فقال : (ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأن مسافة أربعة برد يمكن سيرها في يوم وليلة)^(٥) .

(١) رواه البخارى ٢ / ٣٦ في كتاب تقصير الصلاة .

(٢) رواه البخارى ٢ / ٣٥ في كتاب تقصير الصلاة .

(٣) البخارى ٢ / ٣٧ كتاب تقصير الصلاة .

(٤) فتح البارى ٢ / ٥٦٦ .

(٥) المصدر نفسه .

وأما حديث ابن عمر الدال على اعتبار الثلاث فإما أن تكون المسافة واحدة والسير مختلف ، أو أن الحديث جاء لنهى المرأة عن السفر وحدها ، وليس لبيان مسافة القصر ، ولهذا قال الحافظ فى الفتح : (ويؤيد ذلك أن الحكم فى نهى المرأة عن السفر وحدها متعلق بالزمان ، فلو قطعت مسيرة ساعة واحدة مثلاً فى يوم تام لتعلق بها النهى ، بخلاف المسافر فإنه لو قطع مسيرة نصف يوم مثلاً فى يومين لم يقصر فافتراقاً)^(١) .

يظهر مما سبق من أحاديث أن فرض المسافر القصر إلا إذا اقتدى بإمام متم فإنه يتم معه لعموم الأحاديث الواردة فى متابعة الإمام ، وأما الأحاديث التى احتج بها أصحاب المذاهب فى تحديد مسافة القصر فتدور حول حرمة سفر المرأة المسافة المذكورة من غير محرم ولم تذكر مسافة القصر ، وعليه فالصواب والله أعلم عدم تحديد المسافة فى السفر .

قال ابن القيم : (ولم يجد صلى الله عليه وسلم لأمتة مسافة محدودة للقصر والفطر ، بل أطلق لهم ذلك فى مطلق السفر والضرب فى الأرض ، كما أطلق لهم التيمم فى كل سفر ، وأما ما يروى عنه من التحديد باليوم ، أو باليومين ، أو الثلاثة فلم يصح عنه منها شئ البتة ، والله أعلم)^(٢) .

* وحول ذبيحة المسلم التى لم يسم عليها ذكر الخطيب ثلاثة أقوال فى ذلك ، وقد أورد تلك الأقوال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾^(٣) الآية .

(قال ابن عباس : الآية فى تحريم الميتات وما فى معناها من المنخنقة)

(١) فتح البارى ٢ / ٥٦٧ .

(٢) زاد المعاد ١ / ٤٨١ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢١ .

وغيرها وقال عطاء^(١) : الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام ، واختلف أهل العلم في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله تعالى عليها :

فذهب قوم إلى تحريمها ، سواء تركت التسمية عمداً أو نسياناً وهو قول ابن سيرين^(٢) والشعبي^(٣) واحتجوا بظاهر الآية ، وذهب قوم إلى حلها مطلقاً ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الشافعي وأحمد ، وذهب قوم إلى أنه إن ترك التسمية عامداً لم تحل ، أو ناسياً حلت وهو مذهب مالك^(٤) .

فالذين قالوا بإباحة ذبيحة المسلم مطلقاً ، قالوا معنى الآية محمول على الميتات ، وما ذبح للأصنام ، فالخطيب رحمه الله ذكر في ذبيحة المسلم التي لم يسم عليها ثلاثة أقوال بإجمال من غير أن يرجح شيئاً منها :

الأول : القول بحرمتها مطلقاً ، وذكر من قال به وحجته .
الثاني : القول بحلها مطلقاً ، وذكر من قال به .

الثالث : القول بالتفصيل فإن نسي حلت ، وإن تعمد حرمت .
ولعل القول الثالث هو أرجح الأقوال ، لأن الناسي قد تجاوز الله عنه ، وأما المتعمد فقد دل الكتاب والسنة على حرمة أكل ذبيحته لظاهر الوجوب والله أعلم .

(١) عطاء بن أسلم بن صفوان بن أبي رباح من أئمة التفسير الأجلاء ، والفقهاء العظاماء ، نشأ بمكة ، وتوفى سنة ١١٤ هـ ، انظر شذرات الذهب ١ / ١٤٧ .

(٢) محمد بن سيرين البصرى ، من أعيان التابعين ، وأئمة المفسرين ، والفقهاء المشهورين ، اشتهر بالتعبير ، توفى سنة ١١٠ هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٦٠٦ .

(٣) عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي ، من أعلام التابعين ، له شهرة بالفقه والتفسير ، توفى سنة ١٠٥ هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٩٤ .

(٤) السراج المنير ١ / ٤٤٧ .

* وحول موضوع أكل لحوم الخيل من حيث الحل والحرمة ، أورد الخطيب الشربيني أقوال العلماء في المسألة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتُرَكَّبُوهَا وَزِينَةً ﴾^(١) الآية .

ذكر رحمه الله القول الأول في المسألة وذكر من قال به من أهل العلم ودليلهم على ذلك فقال : (واحتج القائلون : وهم ابن عباس وأبو حنيفة ومالك بتحريم لحوم الخيل بهذه الآية) ثم ذكر وجه الاستدلال الذي علموا به الحرمة فقال : (قالوا منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب ، فلو كان أكل لحم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكره تعالى علمنا أنه يحرم أكله لأن الله تعالى خص الأنعام بالأكل حيث قال تعالى : ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(٢) وخص هذه بالركوب فقال : ﴿ لَتُرَكَّبُوهَا ﴾ فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل) . ثم أورد القول الثاني في المسألة ومن قال به وحجته فقال : (واحتج القائلون بإباحة أكل اللحم من الخيل وهم سعيد ابن جبير^(٣) وعطاء وشريح^(٤) والحسن والشافعي بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضی الله تعالى عنها قالت : (نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة)^(٥) .

(١) سورة النحل الآية ٨ .

(٢) سورة النحل الآية ٥ .

(٣) هو أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي ، مولاهم ، حبشي الأصل ، من كبار التابعين - كان مفسراً ومحدثاً وفقهياً ، أخذ عن ابن عباس التفسير قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ . انظر طبقات المفسرين للداودي ١ / ١٨٨ .

(٤) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي ، من أشهر القضاة في الإسلام ، تولى القضاء في الكوفة في خلافة عمر وعثمان وعلى ومعاوية توفي بالكوفة سنة ٧٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤ / ١٠٠ .

(٥) رواه البخاري ٦ / ٢٢٨ ورواه ابن ماجه ٢ / ١٠٦٤ في كتاب الذبائح .

وبما روى عن جابر رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية بالمدينة وأذن في الخيل »^(١) .

وبعد أن ذكر أقوال الفقهاء في المسألة رجح رحمه الله القول الثانى وبين سبب الترجيح فقال : (ولما كان نص الآية يقتضى أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة ، وكان الأكل مسكوتاً عنه ودار الأمر فيه على الإباحة والتحرير فوردت السنة بإباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير أخذنا به جمعاً بين النصين)^(٢) .

* وفى بيان حكم الاستعاذة فى الصلاة وفى قراءة القرآن ذكر الأقوال فيها وذلك عن تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٣) . أورد الخطيب رحمه الله أقوال أهل العلم فى حكم الاستعاذة من حيث الوجوب والسنية فى الصلاة والقراءة خارج الصلاة ، فذكر فى ذلك قولين : قول بالوجوب وقول بالسنية ثم ذكر أن الذين قالوا بالسنية اختلفوا فى موضعها هل هى قبل القراءة أو بعدها ؟ فأورد رحمه الله دليل كل فريق أو تعليله وإليك ما قاله فى ذلك :

قال : (وظاهر الآية وجوب الاستعاذة وإليه ذهب عطاء سواء كانت القراءة فى الصلاة أم فى غيرها ، ثم ذكر رحمه الله قول الجمهور فى المسألة فقال : « وافق سائر الفقهاء على أنها سنة فى الصلاة وغيرها » . وأيد هذا القول بأدلة من السنة فقال : (والصارف لهذا الأمر عن الوجوب أحاديث كثيرة منها : القراءة بدون ذكر تعوذ كحديث البخارى وغيره عن أبى سعيد ابن العلاء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : ما منعك أن تجيبنى قال : كنت

(١) رواه البخارى ٦ / ٢٢٩ ورواه ابن ماجه ٢ / ١٠٦٥ فى كتاب الذبائح .

(٢) السراج المنير ٢ / ٢١٨ .

(٣) سورة النحل الآية ٩٨ .

أصلى قال : ألم يقل الله ﴿ استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾^(١) ، ثم قال : لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ، ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾^(٢) وفي رواية الموطأ أنه صلى الله عليه وآله نادى أياً وأنه قال له : كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة قال أبى : فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى أتيت إلى آخرها^(٣) .

وحول موضوع الاستعاذة هل هي قبل القراءة أو بعدها قال : (وظاهر الآية يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبى هريرة وإليه ذهب مالك وداود الظاهري^(٤) ، قالوا : لأن قارئ القرآن يستحق ثواباً عظيماً وربما حصل الوسواس في قلب القارئ ، هل حصل له ذلك الثواب أو لا ، فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوسواس وبقي الثواب مخلصاً . والذي ذهب إليه الأكثرون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الأمصار أن الاستعاذة مقدمة على القراءة ، قالوا : ومعنى الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعد بالله ، وتبعتهم على ذلك فلهذا قدرت ذلك في الآية الكريمة^(٥) .

فلخطيب رحمه الله أورد أقوال الفقهاء في المسألة وذكر كل قول ومن قال به ، ودليله أو تعليقه ، ثم رجح ما رآه راجحاً ، وهو أن الاستعاذة تكون قبل القراءة ، قال الشوكاني : (قال الزجاج وغيره من أئمة اللغة : معناه إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعد ، وليس معناه استعد بعد أن تقرأ

(١) سورة الأنفال الآية ٢٤ .

(٢) في الصحيح ٦ / ١٠٣ كتاب فضائل القرآن .

(٣) الموطأ ص ٦٥ برقم ١٨٣ .

(٤) هو الإمام العلامة داود بن علي بن خلف إمام أهل الظاهر ، توفي سنة ٢٧٠ هـ .

(٥) السراج المنير ٢ / ٢٦١ .

القرآن (١).

وقال ابن سعدى فى تفسيره : (أى إذا أردت القراءة لكتاب الله) (٢)، وقد جلى الأمر بوضوح تام العلامة الشنقيطى (٣) حيث قال : (أظهر القولين فى هذه الآية الكريمة : أن الكلام على حذف الإرادة ، أى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ، وليس المراد أنه إذا قرأ القرآن وفرع من قراءته استعاذ بالله من الشيطان كما يفهم من ظاهر الآية ، وذهب إليه بعض أهل العلم . والدليل على ما ذكرنا تكرر حذف الإرادة فى القرآن وفى كلام العرب لدلالة المقام عليها ، كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ (٤) الآية ، أى إذا أردتم القيام إليها كما هو ظاهر . وقوله ﴿ إذا تناجيت فلا تناجوا بالإثم ﴾ (٥) الآية ، أى إذا أردتم أن تتناجوا فلا تتناجوا بالإثم ، لأن النهى إنما هو عن أمر مستقبل يراد فعله ، ولا يصح النهى عن فعل مضى وانقضى كما هو واضح (٦) . ومن هذا يتضح أن الراجع ما رجحه الخطيب رحمه الله فى موضع الاستعاذة .

* وفى قوله تعالى : ﴿ فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ (٧) الآية .

(١) فتح القدير ٣ / ١٩٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤ / ٢٤٠ .

(٣) هو الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ، ولد ونشأ بشنقيط فى موريتانيا الآن ، حفظ القرآن وعمره عشر سنوات ثم جاء إلى المملكة العربية السعودية فأكرم بها واستقر إلى أن توفى سنة ١٣٩٣ هـ - انظر ترجمته فى الجزء الأول من تفسيره ١ / ٣ .

(٤) سورة المائدة الآية ٦ .

(٥) سورة المجادلة الآية ٩ .

(٦) أضواء البيان ٣ / ٣٥٦ .

(٧) سورة الحج الآية ٢٨ .

قال الخطيب (فكلوا منها : أى من لحومها ، أمر بإباحة وذلك أن الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً فأمر الله تعالى بمخالفتهم ، واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعاً يجوز للمهدى أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع ؛ لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع « فأتى على بيدن من اليمن وساق رسول الله ﷺ مئة بدنة ثم أمر من كل بدنة ببضعة ، أى بقطعة فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها »^(١) ، بعد أن نقل اتفاق أهل العلم على إباحة الأكل من هدى التطوع بالنسبة للمهدى ، وأيد ذلك بما ثبت عن رسول الله ﷺ ، نقل خلاف أهل العلم في الأكل من الهدى الواجب فقال : (واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران ، والدم الواجب بإفساد الحج وفوته وجزاء الصيد ، هل يجوز للمهدى أن يأكل شيئاً منه قال الشافعى : لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحاق ، وقال مالك : يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر ، وعن أصحاب أبي حنيفة أنه يأكل من كل من دم التمتع والقران ، ولا يأكل من واجب سواهما)^(٢) .

فالخطيب رحمه الله نقل اتفاق أهل العلم على أن للمهدى أن يأكل من هديه إذ كان تطوعاً ودلل على ذلك بما ثبت عنه ﷺ ، ثم ذكر الخلاف بالنسبة للأكل من الهدى الواجب وذكر في ذلك ثلاثة أقوال ولكنه لم يرجح . قال القرطبي : (ومشهور مذهب مالك رضى الله عنه أنه لا يأكل من ثلاث : جزاء الصيد ، ونذر المساكين ، وفدية الأذى ، ويأكل مما سوى ذلك إذا بلغ محله ، واجباً كان أو تطوعاً)^(٣) .

(١) رواه البخارى ١٨٦ / ٢ فى كتاب الحج ومسلم ٩٥٤ / ٢ فى كتاب الحج .

(٢) السراج المنير ٥٤٦ / ٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤٤ / ١٢ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾^(١) .

قال وفي الآية دليل على أن تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح لأن الله تعالى رتب الطلاق بكلمة ثم وهي للتراخي حتى لو قال لأجنبية إذا نكحتك فأنت طالق أو كل امرأة أتزوجها فهي طالق ، فنكح لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعائشة رضی الله عنهم ، وبه قال أهل العلم منهم الشافعي وأحمد رضی الله عنهما ، وروى عن ابن مسعود رضی الله عنه أنه قال : يقع الطلاق وهو قول إبراهيم النخعي^(٢) وأصحاب الرأي ، وقال ربيعة^(٣) ومالك والأوزاعي^(٤) إن عين امرأة يقع وإن عمم فلا يقع ، وروى عطاء عن جابر : لا طلاق قبل النكاح^(٥) .

ذكر في المسألة ثلاثة أقوال ورجح قول الشافعي ومن وافقه وهو عدم وقوع الطلاق المعلق قبل النكاح .

* وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ﴾^(٦) الآية .

-
- (١) سورة الأحزاب الآية ٤٩ .
 - (٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي من كبار التابعين ، والحفاظ الثقات ، كان إماماً مجتهداً - توفي سنة ٩٦ هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٢٠ .
 - (٣) هو ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء ، إمام حافظ فقيه ، له بصر بالرأى ، فلقب بربيعة الرأى لذلك ، وأصحاب الرأى عند أهل الحديث ، هم أصحاب القياس ، كان ورعاً جواداً توفي سنة ١٣٦ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٦ / ٨٩ .
 - (٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، كان إماماً زاهداً ، وعالمًا عاملاً ، له شأن عظيم عند أهل الشام ، توفي سنة ١٥٧ هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ٧ / ١٠٧ .
 - (٥) السراج المنير ٣ / ٢٥٧ ، وانظر الكتاب المصنف لابن أبي شيبة ٥ / ١٦ تحقيق عامر الأعظمي - الدار السلفية - بومباي - الهند .
 - (٦) سورة الجمعة الآية ٩ .

أورد أقوال العلماء في شروط الجمعة وما يتعلق بها من أحكام فقال :
واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة وفي العدد الذي تنعقد به
الجمعة ، وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها فذهب قوم إلى أن كل قرية
اجتمع فيها أربعون رجلاً بالصفة المتقدمة تجب عليهم إقامة الجمعة فيها وهو
قول عبد الله بن عمر ، وعمر بن عبد العزيز ، وبه قال الشافعي وأحمد قالوا :
لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلاً على هذه الصفة ، وشرط عمر بن
عبد العزيز مع الأربعين أن يكون معهم وال ، وعند أبي حنيفة تنعقد بأربعة
والوالى شرط ، ولا تقام عنده إلا في مصر جامع ، وقال الأوزاعي
وأبو يوسف : تنعقد بثلاثة إن كان فيهم وال ، وقال الحسن وأبو ثور^(١) :
تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال شعبة^(٢) : تنعقد باثني عشر رجلاً .

ولا تجب الجمعة على أهل البوادي إلا إذا سمعوا النداء ، من موضع
تقام فيه الجمعة ، فيلزمهم الحضور ، وإن لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه
قال الشافعي وأحمد ، والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهورى الصوت في
وقت تكون الأصوات هادئة والرياح ساكنة ، فكل قرية تكون من موضع
في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة ، وقال أبو حنيفة :
لا جمعة على أهل البوادي سواء كانت القرية قريبة أم بعيدة^(٣) . وردت

(١) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي أبو ثور الفقيه ، صاحب الإمام
الشافعي ، توفي في بغداد سنة ٢٤٠ هـ ، انظر شذرات الذهب ٢ / ٩٣ .

(٢) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي أبو البسطام الواسطي ، شيخ المحدثين
الملقب فيهم بأمر المؤمنين قاله الثوري . وهو إمام المتقين ، كان في غاية الزهد والورع
والتقشف والحفظ . قال الشافعي : لولاه ما عرف الحديث بالعراق ، توفي سنة
١٦٠ هـ ، انظر البداية والنهاية ١٠ / ١٣٢ .

(٣) السراج المنير ٤ / ٢٨٨ .

أقوال كثيرة في العدد المشترط لصحة الجمعة وقد ذكر الشرييني منها خمسة أقوال وهى أشهرها ، والراجح منها أن العدد الذى تصح به الجمعة اثنان مع الإمام ، وأما أهل القرى المستوطنين بها فتجب عليهم الجمعة ، قال ابن حزم^(١) : (وتصلى - الجمعة - في كل قرية صغرت أم كبرت ، كان هنالك سلطان أو لم يكن)^(٢) . ورجح ابن قدامة في المغنى عدم اشتراط الإمام أو المصر لإقامة الجمعة^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ﴾^(٤) .
بعد أن بين أن الراجح في المراد بالكتاب هو المصحف ذكر خلاف أهل العلم في المراد بالمس في الآية فقال : (قال أنس وسعيد بن جبير لا يمسه ذلك إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة ، فقال أبو العالية هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بنى آدم ، وقال الكلبي هم : السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك ، وقال الحسن هم الملائكة الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالى : ﴿ في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة ﴾^(٥) . وقيل : معنى ﴿ لا يمسه ﴾ لا ينزل به إلا المطهرون ، أى الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء ، ولا يمسه اللوح المحفوظ الذى هو الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهرون ، ولو كان المراد طهر الحدث لقال ، المتطهرون أو المطهرون

(١) هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، عالم الأندلس في عصره ، متكلم فقيه أصولي ، من كتبه المشهورة « المحلى » في الفقه ، والفصل في الملل والأهواء والنحل ، توفي سنة ٤٥٦ هـ ، انظر شذرات الذهب ٣ / ٢٩٩ .

(٢) المحلى ٥ / ٤٩ .

(٣) المغنى ٢ / ١٧٣ ، ١٧٥ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١١١ / ١١٢ .

(٤) سورة الواقعة الآية ٧٩ .

(٥) سورة عبس الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

بتشديد الطاء) (١) ، وبعد أن ذكر أقوال العلماء في المراد بالمس في الآية ،
 نبه على خلافهم في مس المصحف وحمله لغير المتوضىء فقال :
 (اختلف العلماء في مس المصحف وحمله على غير وضوء فالجمهور
 على المنع من مسه على غير طهارة ، وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد
 ابن أبي وقاص وعطاء والزهرى (٢) والنخعي وجماعة من الفقهاء منهم مالك
 والشافعي ، وأما الحمل فلأنه أبلغ من المس سواء حمله بعلاقته أم في كفه
 أم على رأسه ، وسواء مس نفس الأسطر أم ما بينها أم الحواشي أم الجلد أم
 العلاقة ، أم الخريطة أم الصندوق إذا كان المصحف فيهما ، وسواء مس
 بأعضاء الوضوء أم بغيرهما .

وقال جماعة بجواز مسه وحمله ، واحتجوا بأن النبي ﷺ كتب إلى
 هرقل كتاباً فيه قرآن وهرقل محدث يمسه هو وأصحابه ، وبأن الصبيان
 يحملون الألواح محدثين بلا إنكار ، وبأنه إذا لم تحرم القراءة فالحمل والمس
 أولى ، وبأنه يجوز حمله في أمتعة (٣) .

عرض رحمه الله لأقوال العلماء في مس المصحف وحمله لغير المتوضىء
 فذكر أقوال المانعين ، وأقوال المجيزين ، ويظهر أنه يرجح أقوال المانعين ، لأنه
 أورد أدلة المجيزين ورد عليها جميعها ، ، فقال في رده على أدلتهم : (وأجيب
 على الأول : بأن ذلك الكتاب كان فيه آيتان ولا يسمى مصحفاً ولا ما
 في معناه وبأنه لو كان كتاباً قد تضمن مع القرآن دعاء إلى الإسلام ، فلم
 يكن القرآن بانفراده مقصوداً فجاز تغليباً للمقصود فيه ، وعن الثاني : بأنه

(١) السراج المنير ٤ / ١٩٦ .

(٢) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى القرشى ، أحد فقهاء التابعين وحفاظ السنة
 المعدودين ، توفي سنة ١٢٤ هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٢٦ .

(٣) السراج المنير ٤ / ١٩٦ .

أبيح للصبيان للضرورة لأنهم غير مكلفين ، وعن الثالث : بأن القراءة أبيحت للحاجة وعسر الوضوء لها كل وقت ، وعن الرابع : بأن جواز حمل المصحف في الأمتعة محله إذا لم يكن المصحف مقصوداً بالحمل^(١) .

ثم أورد قولاً ثالثاً يجيز فيه أصحابه الحمل دون المس وعللوا لقولهم هذا بتعليل لم يرضه الخطيب فقال : (وقال آخرون : بجرمة المس دون الحمل واحتجوا بأن المحرم يحرم عليه مس الطيب دون حمله .

وأجيب عنه بأنه غير صحيح لأن حمل المصحف أبلغ في الاستيلاء عليه من مسه ، فلما حرم الأدنى كان تحريم الأعلى أولى ، ولأن تحريم المصحف إنما هو لحرمة فاستوى فيه مسه وحمله بخلاف طيب المحرم فإن تحريمه مقصود على الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به)^(٢) .

رجح الخطيب الشربيني رحمه الله القول بجرمة مس المصحف وحمله لغير طاهر ورد الأقوال الأخرى ، وتتبع أدلة المجيزين ورد عليها جميعها سواء الذين قالوا : بجواز المس والحمل ، أو الذين قالوا : بجواز الحمل دون المس .

قال الوزير ابن هبيرة : (وأجمعوا على أنه لا يجوز للمحدث مس المصحف ، ثم اختلفوا في حمله بعلاقته أو في غلافه ، فقال مالك والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه : لا يجوز . وقال أبو حنيفة وأحمد في الرواية الأخرى : يجوز)^(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (مذهب الأئمة الأربعة أنه لا يمس المصحف إلا طاهر)^(٤) . وهذا هو الراجح ، أما بالنسبة لحمل المصحف لغير المتوضىء فإن حمله بعلاقة أو بكيس أو بقماش فالراجح أنه لا يجوز ،

(١) السراج المنير ٤ / ١٩٧ .

(٢) السراج المنير ٤ / ١٩٧ .

(٣) الأفضاح ١ / ٨٤ .

(٤) الفتاوى ٢١ / ٢٦٦ .

لأن النهى عن المس ، ومن حمله بعلاقة أو بكيس أو بقماش فالراجح أنه يجوز ، لأن النهى عن المس ، ومن حمله بعلاقة أو بكيس أو بجائل فإنه لم يمس وإنما مس الجائل والله أعلم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ ﴾^(١) .

قال : المراد بالكوفار هنا عبدة الأوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها ، وقيل ، هي عامة نسخ منها نساء أهل الكتاب فعلى الأول ، إذا أسلم وثنى أو مجوسى ولم تسلم امرأته فرق بينهما وهو قول بعض أهل العلم منهم مالك والحسن وطاوس^(١) وعطاء وعكرمة^(٢) وقتادة^(٣) لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ ﴾ وقال بعضهم ينتظر بها تمام العدة وهو قول الزهرى والشافعى وأحمد واحتجوا بأن سفيان بن حرب^(٤) أسلم قبل هند بنت عتبة^(٥) امرأته وكان إسلامه بمر

(١) سورة المتحنة الآية ١٠ .

(٢) أبو عبد الله ذكوان بن كيسان اليماني الملقب بطاووس ، أحد التابعين الثقات فقيه مشهور ، توفي سنة ١٠٦ هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٨ .

(٣) أبو عبد الله عكرمة البربرى المدنى ، أصله من البربر ، كان من علماء زمانه فى الفقه والقرآن - توفي سنة ١٠٤ هـ تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٣ .

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسى البصرى ، مفسر حافظ ، وكان عالماً بالحديث واللغة وأيام العرب وأنسابها ، مات بواسط بالطاعون سنة ١١٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٦٩ .

(٥) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموى القرشى ، والد معاوية أسلم عام الفتح ، وشهد حنيناً والطائف ، وكان من المؤلفة ، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد ، ويوم الأحزاب ، توفي فى خلافة عثمان ، الإصابة ٥ / ١٢٧ .

(٦) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية ، والدة معاوية بن أبى سفيان ، أخبرها قبل الإسلام مشهورة ، شهدت أحداً ، وفعلت ما فعلت بحمزة ، وكانت تؤلب على المسلمين إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها ، ثم أسلمت يوم الفتح ، توفيت فى خلافة عثمان ، انظر الإصابة ١٣ / ١٦٥ .

الظهران^(١) ، ثم رجع إلى مكة وهدبها كافرة مقيمة على كفرها فأخذت بلحيته وقالت : اقتلوا الشيخ الضال ، ثم أسلمت بعده بأيام ، فاستقرا على نكاحهما ، لأن عدتها لم تكن انقضت ، قالوا : ومثله حكيم بن حزام^(٢) أسلم قبل امرأته ثم أسلمت بعده ، فكانا على نكاحهما ، قال الشافعي : لا حجة لمن احتج بقوله : ﴿ **بعض الكوافر** ﴾ « لأن نساء المؤمنين محررات على الكفار كما أن المسلمين لا تحل لهم الكوافر الوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى : ﴿ **لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن** ﴾^(٣) ثم بينت السنة أن مراد الله تعالى من قوله هذا أنه لا يحل بعضهم لبعض إلا إن أسلم الثاني منهما في العدة ، وقال أبو حنيفة وأصحابه في الكافرين الذميين إذا أسلمت المرأة عرض على الزوج الإسلام فإن أسلم وإلا فرق بينهما^(٤) .

تناول الخطيب الشربيني رحمه الله المسألة من جانبين :

الأول : بيان المراد بالكوافر في الآية .

الثاني : حكم الوثني إذا أسلم ولم تسلم امرأته هل يفرق بينهما في الحال أو ينتظر تمام العدة ، أوردهما الخطيب قولين لأهل العلم ، وأورد دليل كل قول ، كما أورد الشافعي لدليل من قال بالتفريق في الحال ، وهذا واضح من أن الخطيب يرجح القول بانتظار تمام العدة .

* * *

(١) مر الظهران : اسم موضع شمال مكة ، مرصد الاطلاع ٣ / ١٢٥٧ .

(٢) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، الأسدي ، عمته خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ، تأخر إسلامه حتى عام الفتح ، وكان من المؤلفين ، شهد حنيناً وأعطى مائة بعير ، ثم حسن إسلامه ، توفي سنة ٦٠ هـ ، انظر الإصابة ٢ / ٢٧٨ .

(٣) سورة المتحنة الآية ١٠ .

(٤) السراج المنير ٤ / ٢٦٧ .

○ الفصل الرابع ○

آراؤه في بعض مسائل العقيدة

وفيه ثلاث مباحث :

- المبحث الأول : موقفه من تفسير آيات الصفات .
- المبحث الثاني : موقفه من القضاء والقدر .
- المبحث الثالث : موقفه من السحر وكرامات الأولياء .

* * *

○ الفصل الرابع ○

آراؤه في بعض مسائل العقيدة

وفيه مباحث :

● المبحث الأول : موقفه من تفسير آيات الصفات :

من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله من غير تعطيل^(١) ، ولا تمثيل^(٢) ، ولا تكيف^(٣) ولا تأويل^(٤) . وأن القول عندهم في الصفات كالقول في الذات ، فإن الله ليس كمثلته شيء في ذاته ولا في صفاته^(٥) . وهذا الأمر لم يتنازع فيه الصحابة رضي الله عنهم بل أثبتوا ما جاء به الكتاب والسنة . قال السفاريني^(٦) :

- (١) التعطيل : المراد به نفى الصفات الإلهية ، وإنكار قيامها بذات الله تعالى ، انظر شرح الواسطية ص ٢٠ .
- (٢) التمثيل : هو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين ، المصدر السابق ص ٢١ .
- (٣) التكيف : اعتقاد أن صفاته تعالى على كيفية كذا ، أو يسأل عنها بكيف هي ؟ المصدر نفسه ص ٢١ .
- (٤) التأويل : المراد هنا صرف الكلام عن المعنى المتبادر منه ، إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح .
- (٥) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ الهراس ص ٢٢ ، نشر الجامعة الإسلامية الطبعة الرابعة وانظر التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٩ ، نشر : جامعة الإمام محمد ابن سعود - الرياض ١٣٩٦ هـ .
- (٦) هو أبو العون شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني ، نشأ بقرية سفارين من قرى نابلس ، ثم رحل إلى دمشق في طلب العلم ، فحصل على العلم في زمن يسير ، وعاد إلى نابلس ، ودرس بها وأفتى وألف إلى أن توفي سنة ١١٨٨ هـ - انظر لوامع الأنوار ١ / ٤٧٣ .

(اعلم أن الصحابة الكرام قد تنازعوا في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الأمة إيماناً بلا انقسام ، ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال ، فكلمتهم واحدة ، من أولهم إلى آخرهم ، لم يسوموها تأويلاً ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً ، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً ، ولا ضربوا لها مثلاً ، ولم يدفعوا في صدورهم وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها ، وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإيمان والتعظيم ، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع ، حيث جعلوا القرآن عضيضاً ، فأقروا ببعض آيات الصفات وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين ، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه ، كاللازم لهم فيما أقروا به وأثبتوه ^(١) .

وصفات الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين :

صفات ذاتية : وهي التي لا تنفك عن الله ، وملازمة لذاته سبحانه كالحياة والعلم والسمع والبصر والوجه وغيرها .

وصفات فعلية : وهي المتعلقة بالمشيئة مثل : النزول والنجى والرضا والغضب وغيرها ^(٢) .

والخطيب الشريبي رحمه الله درج في تفسيره لآيات الصفات على مذهب أهل التأويل من الأشاعرة وغيرهم ، في معظم الصفات وأثبت القليل منها مثل الإستواء ، وإن كان في إثباته له شيء من الضعف . وإليك نماذج من الصفات التي تكلم عنها الخطيب في تفسيره ، ليتضح موقفه منها :

-
- (١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للشيخ محمد السفاريني - نشر مؤسسة الخافقين - دمشق . الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- (٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٨ وما بعدها ، تحقيق شعيب الأرنؤوط - دار البيان - دمشق الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .

١ - صفة الاستواء :

وهي من الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى ، وقد دلت عليها عدة آيات في كتاب الله .

* منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾^(١) .

قال الخطيب في تفسيرها : (أى استوى أمره ، وقال أهل السنة الاستواء على العرش : صفة الله بلا كيف ، يجب الإيمان به ، ونكل فيه العلم إلى الله تعالى ، والمعنى أن له سبحانه وتعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزه عن الاستقرار والتمكن)^(٢) .

فقوله : أى استوى أمره ، تأويل للنص ، وهو مذهب أهل التأويل من الأشاعرة وغيرهم .

وأما بالنسبة إلى أهل السنة فى الاستواء ، من أنه صفة الله بلا كيف ونكل فيه العلم إلى الله ، فليس هو مذهب أهل السنة ، بل يقولون : إن الاستواء معلوم والكيف مجهول ، فهم يثبتون العلم بالاستواء ، وينفون العلم بالكيفية لا الكيفية ، ثم واصل رحمه الله كلامه فى تفسير الآية السابقة فقال : (وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(٣) .

فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرخصاء ثم قال : (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وما أظنك إلا ضالاً فأمر به فأخرج .. وبعضهم يقول : استوى بمعنى استولى ويحتج

(١) . سورة الأعراف الآية ٥٤ .

(٢) السراج المنير ١ / ٤٨٠ .

(٣) سورة طه الآية ٥ .

بقول الشاعر^(١) :

قد استوى على العراق من غير سيف ودم مهراق
وقال الآخر :

هما استويا بفضلهما جميعا على عرش الملوك بغير زور^(٢)
قال الخطيب : (وهذا منكر عند أهل اللغة) ، أى جعل معنى استوى
بمعنى استولى ، (قال ابن الأعرابي)^(٣) : لا يعرف استولى فلان على كذا
إلا إذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه ثم تمكن منه .

والله تعالى لم يزل مستوليا على الأشياء . والبيتان قال ابن فارس
اللغوى^(٤) لا يعرف قائلهما ، ولو صحا لا حجة فيهما ، لما بينا من استيلاء
من لم يكن مستولياً ، نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيهه المجسمة^(٥) .
* وفي قوله تعالى ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة
أيام ثم استوى على العرش ﴾^(٦) الآية .

قال الخطيب فى معنى العرش (وهو فى اللغة سرير الملك) ثم بين
معنى استواء الله عليه فقال : (استواء يليق به تعالى لم تعهدوا مثله وهو أنه

(١) يقال إنه الأخطل النصراني ، والبيت ليس فى ديوانه .

(٢) لم أجد قائله .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ، واحد من أئمة اللغة المشهورين له مصنفات
عديدة منها كتاب « النوادر » توفى سنة ٢٣١ هـ ، انظر شذرات الذهب ٢ / ٧٠ ،
وتاريخ العلماء النحويين ص ٢٠٥ .

(٤) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، كان من أعيان العلم ، وأفراد الدهر ،
يجمع إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء ، توفى سنة ٣٩٥ هـ ، انظر : يتيمة
الدهر للثعالبي ٣ / ٣٩٧ .

(٥) السراج المنير ١ / ٤٨٠ .

(٦) سورة السجدة الآية ٤ .

تعالى أخذ في تدبيره وتدبير ما حواه بنفسه لا شريك له ولا نائب فيه ولا وزير^(١) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾^(٢) .

قال الخطيب : (أى استواء يليق به فإنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان وإذا خلق الله الخلق لا يحتاج إلى مكان فهو بالصفة التي كان لم يزل عليها)^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾^(٤) الآية .

قال : (أى السرير ، كناية عن انفراده بالتدبير وإحاطة قدرته وعلمه كما يقال فى ملوكنا جلس فلان على سرير الملك بمعنى أنه انفرد بالتدبير ، لا يكون هناك سرير فضلاً عن جلوس)^(٥) .

- المتبع لتفسير الخطيب للاستواء فى الآيات التى ورد فيها ذكر الاستواء ، يلحظ أن إثباته لصفة الاستواء ضعيف ، ففى بعض الآيات قال : إنه استواء يليق بجلاله ، كما رد قول من قال : إن استوى بمعنى استولى ، وبين أن قائل الشاهد فى ذلك مجهول ، وأن هذا الأسلوب لا يعرف فى لغة العرب ، وفى بعضها ذكر : أنه استواء أمره ، وكناية عن الإنفراد بالملك كما مر ، والذى يظهر لى أن الخطيب لم يثبت صفة الاستواء كما أثبت أهل السنة والجماعة ، بل إنه صرح فى كثير من الآيات بتأويلها على مذهب أهل التأويل ، وأما الآيات التى يفهم من تفسيره لها أنه أثبت صفة الاستواء ،

(١) السراج المنير ٣ / ٢٠٣ .

(٢) سورة طه الآية ٥ .

(٣) السراج المنير ٢ / ٤٤٩ .

(٤) سورة الحديد الآية ٤ .

(٥) السراج المنير ٤ / ٢٠٢ .

فعله أخذ ذلك التفسير من بعض تفاسير أهل السنة والجماعة ، وجعله أمراً عاماً من غير تفصيل .

والذى جعلنا نقول ذلك : تصريحه بتأويل هذه الصفة في أكثر الآيات ، ثم ما سار عليه في بقية الصفات على مذهب التأويل ، فدل على أن هذا أصل عنده ، والله أعلم .

وقد دل الكتاب والسنة على استواء الله عز وجل على عرشه ، وقد ساق الإمام اللالكائي^(١) الأدلة من الآيات والأحاديث والآثار الدالة على ذلك فقال رحمه الله : وقال الله عز وجل : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾^(٢) ، وقال : ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾^(٣) ، وقال : ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾^(٤) . فدلّت هذه الآيات أنه تعالى في السماء وعلمه بكل مكان من أرضه وسمائه وروى ذلك من الصحابة : عمر وابن مسعود وابن عباس ، ومن التابعين : ربيعة بن أبي عبد الرحمن^(٥) ، وسليمان التيمي^(٦) ، ومقاتل بن حيان^(٧) . وبه قال الفقهاء : مالك بن أنس وسفيان الثوري وأحمد بن

(١) هو الإمام الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي ، له عناية بالحديث ، ولكنه توفي قبل أن تشتهر كتبه ، توفي سنة ٤١٨ هـ . انظر البداية والنهاية ١٢ / ٢٤ .

(٢) سورة فاطر الآية ١٠ .

(٣) سورة الملك الآية ١٦ .

(٤) سورة الأنعام الآية ٦١ .

(٥) هو ربيعة الرأي ، مرت ترجمته .

(٦) هو أبو محمد أو أبو أيوب سليمان بن بلال التيمي مولاهم ، ثقة من أهل المدينة ، توفي سنة ٧٧ هـ ، انظر تقريب التهذيب ١ / ٣٢٢ .

(٧) هو أبو بسطام مقاتل بن حيان النبطي البلخي الخزار ، فاضل من التابعين ، مات بأرض الهند ، واختلف في سنة وفاته ، إلا أنه مات قبل الخمسين ، كما قال الحافظ في التقريب ، انظر تقريب التهذيب ط / ٢٨٢ .

حنبل) (١).

وروى رحمه الله بسنده من حديث معاوية بن الحكم السلمي (٢) قال : (قلت : يا رسول الله ، كانت لى جارية ترعى غنيمات لى من قبل أحد والجوانية (٣) وإنى أطلعتها يوماً إطلاعة ، فوجدت ذئباً قد ذهب منها بشاة ، وأنا من بنى آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة ، فعظم ذلك على النبى ﷺ ، فقلت : ألا أعتقها ؟ فقال : ادعها إلتى ، فقال لها : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها ، فإنها مؤمنة (٤) .

وقد ذكر رحمه الله عدة أحاديث فى هذا المعنى ، اكتفينا بأصحها ، ومن أراد المزيد فليراجعها فى موضعها .

* * *

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣ / ٣٨٨ ، تحقيق - الدكتور أحمد سعد حمدان . نشر دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض . وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام . ٦٠ / ٥ .

(٢) معاوية بن الحكم السلمي ، صحابى من أهل الحجاز ، ثم سكن المدينة ، وروى عن النبى ﷺ عدة أحاديث ، انظر الإصابة ٩ / ٢٢٩ .

(٣) الجوانية : موضع شمال المدينة المنورة .

(٤) أخرجه اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣ / ٣٩٢ ، ومسلم ١ / ٣٨٢ فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، وأحمد ٥ / ٤٤٧ ، وأبو داود . ٢٤٤ / ١ .

٢ - صفة الكلام :

وهو الاعتقاد بأن الله متكلم بكلام قديم النوع حادث الأحاد ، وأنه لم يزل يتكلم متى شاء ، وكيف شاء ، وأنه يتكلم بحرف وصوت ، سمعته الملائكة وسمع جبريل ، وسمع موسى صلى الله عليه وسلم ، وسمع الخلق يوم القيامة .
* وقد دلت آيات كثيرة على صفة الكلام منها قوله تعالى :
﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ ^(١) الآية .

قال الخطيب الشربيني عند تفسيرها : (دلت الآية الكريمة على أنه تعالى كلم موسى عليه السلام . ثم قال : والناس مختلفون في كلام الله تعالى) .

قال الزمخشري في كشافه : وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك ، وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام ، كما خلقه مخطوطاً في اللوح ^(٢) . وهذا مذهب المعتزلة ^(٣) ، ولا شك في بطلانه وفساده ، لأن ذلك الجرم كالشجرة لا يقول : ﴿ أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني وأقم الصلاة لذكري ﴾ ^(٤) فثبت بذلك بطلان ما قالوه .

وذهب بعض الحنابلة : إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم ، قال الإمام الرازي : وهذا القول أخس من أن يلتفت إليه العاقل .

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٢) الكشاف ٢ / ١١١ .

(٣) المعتزلة : سمو بذلك ، لأن شيخهم واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١ هـ . قال : إن الفاسق لا مؤمن ولا كافر فهو في منزله بين المنزلتين ، وتبعه على ذلك عمرو بن عبيد المتوفى سنة ١٤٢ هـ . فطردهما الحسن البصرى من مجلسه ، فاعتزلاً إلى سارية في المسجد ، فقبل لهما ولأتباعهما معتزلة ، لاعتزالهم قول الأمة في دعواهما أن الفاسق من المسلمين ، لا مؤمن ولا كافر ، انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٠ .

(٤) سورة طه الآية ١٤ .

والذى عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات ، وأن موسى سمع تلك الصفة الحقيقية الأزلية ، قالوا : إنه لا يبعد رؤية ذاته ، مع أن ذاته ليست جسماً ولا عرضاً ، كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه لا يكون حرفاً ولا صوتاً ، وفيما روى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة ، تنبيه على أن سماع كلامه تعالى القديم ، ليس من جنس كلام المحدثين (١) .

أول الخطيب رحمه الله صفة الكلام ، وزعم أن المذهب الذى رجحه أنه مذهب أهل السنة والجماعة ، والحقيقة أنه مذهب الأشاعرة ، واعتبر القول الذى نسبه لبعض الحنابلة - وهو مذهب أهل السنة - اعتبره من أخس الأقوال ، ونقل ذلك عن الرازى فى طعنه لمذهب أهل السنة ، والأشاعرة يثبتون لله كلاماً أزلياً قائماً بالذات ، ليس حرفاً ولا صوتاً ، ولا يوصف بالخبر والإنشاء ، فالقرآن والكتب المنزلة الأخرى ، ليست كلام الله تعالى على الحقيقة ، بل هى كلام الله النفسى ، وهو شئ واحد فى ذاته ، فإذا جاء بالعربية فهو قرآن ، وإذا جاء بالعبرانية فهو تورا (٢) .

وقد صرحت كتبهم فى ذلك وقد ذكر صاحب المواقف : كلام المعتزلة فى المسألة وأيده فقال : (وقالت المعتزلة : أصوات وحروف يخلقها الله فى غيره ، كاللوح المحفوظ ، أو جبريل ، أو النبى ، وهو حادث . وهذا لا ننكره ولكننا ثبتت أمراً وراء ذلك ، وهو المعنى القائم بالذات ، ونزعم أنه غير العبارات ، إذ قد تختلف العبارات والأزمنة ، والأمكنة ، والأقوام ، بل قد يدل عليه بالإشارة والكتابة ، كما يدل عليه بالعبرة ،

(١) السراج المنير ٢ / ٤٥٣ .

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٨٨ ، وانظر معارج القبول للحكمى ١ / ٢٠٩ وما بعدها .

والطلب واحد لا يتغير^(١) .

فصاحب المواقف صرح بأن كلام الله الذى نقرؤه مخلوق ، وكذلك قال الباجورى^(٢) فى شرح الجوهرة : (واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسى القديم ، يعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى ، وعلى الكلام اللفظى بمعنى أنه خلقه)^(٣) .

وفيه من كلام صاحب شرح الجوهرة : أن كلام الله فى القرآن وغيره من الكتب المنزلة ، أنه مخلوق ، وأطلق عليه كلام مجازاً ، وهذا يفهم أيضاً من كلام الجوينى^(٤) فى الإرشاد حيث قال : (ومن أصحابنا من قال : الكلام الحقيقى هو القائم بالنفس ، والعبارات تسمى كلاماً تجوزاً ، كما تسمى علوماً تجوزاً ، ورب مجاز يشتهر اشتهاً الحقائق)^(٥) .

(١) المواقف على علم الكلام ، للقاضى عبد الرحمن بن أحمد الأيبي ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، عالم الكتب - بيروت .

(٢) هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعى الباجورى ، نسبة إلى الباجور مركز بمحافظة المنوفية بمصر ، تقلد رئاسة الأزهر سنة ١٢٦٣ هـ ، ولما كبر سنه أقيم مقامه أربعة وكلاء للقيام بواجبات المشيخة ، توفى رحمه الله سنة ١٢٧٧ هـ ، انظر مقدمة شرح الجوهرة ص ٤ .

(٣) شرح الجوهرة للباجورى ص ٧٢ . دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

(٤) هو أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى الشافعى الأشعرى المعروف بإمام الحرمين ، أخذ الفقه عن والده ، ثم اجتهد فى المذهب الشافعى وصار أصولياً متكلماً ، ثم حج وجاور فى مكة أربع سنين ، ثم عاد إلى نيسابور ، وتولى التدريس فى المدرسة النظامية . توفى سنة ٤٧٨ هـ ، انظر شذرات الذهب ٣ / ٣٥٨ .

(٥) الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد للجوينى ص ١١١ ، تحقيق أسعد تميم ، مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م بيروت .

هذا وقد صرح صاحب شرح الجوهرة بأن القرآن الذى نقرؤه مخلوق ، قال : (وأما القرآن بمعنى اللفظ الذى نقرؤه فهو مخلوق ، لكن يمتنع أن يقال : القرآن مخلوق ، ويراد به اللفظ الذى نقرؤه إلا فى مقام التعليم)^(١) .

قال السفارينى رحمه الله فى كلامه عن مذهب الأشاعرة فى كلام الله وقولهم : إنه معنى قائم بالنفس ، وما يلزم من ذلك القول : (إن القرآن العربى ليس منزلاً من الله بل مخلوق ، إما فى جبريل أو محمد أو الهواء أو ألهمه جبريل ، فعبر عنه بالقرآن العربى ، أو ألهمه محمد ، فعبر عنه بالقرآن العربى ، أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره ، فهذا قول من يقول : إن القرآن العربى هو ليس كلام الله ، إنما كلامه المعنى القائم بذاته ، والقرآن العربى خلق ليدل على ذلك المعنى وهذا قول الكلاية^(٢) والأشعرية ، فى نفس القرآن العربى ، الذى جاء به جبريل من رب العالمين ، فبلغه للنبي الأمين ، وأخبرنا الله ورسوله أنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين)^(٣) .

بين السلف رحمهم الله ، أن كلام الله صفة ذاتية وفعلية ، وأنه تعالى تكلم أزلاً ، ولا يزال متكلماً متى شاء وكيف شاء ، واستدلوا بكثير من آيات الكتاب ، قال الإمام أحمد : (وقد سمى الملائكة كلام الله كلاماً ، ولم تسمه خلقاً ، قوله : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ﴾^(٤) . فلما أوحى الله إلى محمد ﷺ ، سمع الملائكة صوت الوحي

(١) شرح الجوهرة ص ٩٤ .

(٢) الكلاية : هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصرى ، أحد المتكلمين المتبوعين ، انظر فى ترجمته لسان الميزان ٣ / ٢٩٠ .

(٣) لوامع الأنوار البهية ١ / ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٤) سورة سبأ الآية ٢٣ .

كوقع الحديد على الصفا ، فظنوا أنه أمر من الساعة ، ففزعوا وخروا لوجوههم سجداً ، فذلك قوله : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ يقول : حتى إذا انجلي الفزع عن قلوبهم رفع الملائكة رؤوسهم ، فسأل بعضهم بعضاً ، فقالوا : ماذا قال ربكم ، ولم يقولوا : ماذا خلق ربكم (١) .

وخص الله موسى بالتكليم تشريفاً له ، وهو أخص من مطلق الوحي ، ولهذا يقال لموسى ﷺ الكليم . وقد دل قوله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ (٢) على نفي توهم المجاز ، فالعرب لا يؤكدون بالمصدر إلا إذا أرادوا الحقيقة .

قال الفراء : (إن الكلام إذا أكد بالمصدر ، ارتفع المجاز ، وثبتت الحقيقة) (٣) . إن الكلام صفة كمال ، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته ، أكمل ممن يكون الكلام لازماً لذاته ، ليس له قدرة ولا له فيه مشيئة ، ومن أجل الصفات وأكملها الكلام ، فهو سبحانه يتكلم متى شاء (٤) .

* * *

(١) عقائد السلف ص ٧٩ تحقيق على سامى النشار وعمار الطالبي - منشأة المعارف ١٩٧١ م الإسكندرية .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٣) التنبيهات السننية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز الرشيد ص ٧٨ الطبعة الثانية .

(٤) انظر ج مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢ / ٥٢ ، ولوامع الأنوار البهية ١ / ١٣٧ ، وشرح النونية للشيخ هراس ١ / ١٠٣ ، وشرح الطحاوية ص ١٢١ وما بعدها .

٣ - صفة اليد :

دلت عليها آيات كثيرة ، ومذهب أهل السنة إثباتها على الحقيقة ، وإليك بعض الآيات التي ورد فيها ذكر اليد وموقف الخطيب منها :
* ففى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَت الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾^(١) الآية .

قال فى معنى الغل والبسط : (أى ممسك يقتر بالرزق ، وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾^(٢) ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال ، لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود ، وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقولهم بسط اليأس كفه فى صدرى ، فجعلت لليأس الذى هو معنى من المعانى لا من الأعيان كفين)^(٣) .
* فى قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(٤) الآية .

قال الخطيب الشربيني رحمه الله : (أى فى المبايعة يحتمل وجوهاً ، وذلك أن اليد فى الموضوعين إما أن تكون بمعنى واحد وإما أن تكون بمعنيين ، فإن كانت بمعنى واحد ففيه وجهان :

أحدهما : قال الكلبي : نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ما صنعوا من البيعة ، كما قال تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾^(٥) .

(١) سورة المائدة الآية ٦٤ .

(٢) سورة الاسراء الآية ٢٩ .

(٣) السراج المنير ١ / ٣٨٥ .

(٤) سورة الفتح الآية ١٠ .

(٥) سورة الحجرات الآية ١٧ .

ثانيهما : قال ابن عباس ومجاهد : يد الله بالوفاء بما وعدهم من النصر والخير أقوى وأعلى من نصرتهم إياه ، يقال : اليد لفلان أى الغلبة والقوة ، وإن كانت بمعنيين : ففى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة ، قال السدى : كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه ، ويد الله فوقهم فى المبايعة ، وذلك أن المتبايعين إذا مد أحدهما بيده إلى الآخر فى البيع ، وبينهما ثالث يضع يده على أيديهما ويحفظ أيديهما إلى أن يتم العقد ولا يترك أحدهما يد الآخر لكى يلزم العقد ولا يتفاسخان ، فصار وضع اليد فوق الأيدي سبباً لحفظ البيعة ، فقال تعالى : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط أيدي المتبايعين (١) .

أول الخطيب صفة اليد بمعنى الحفظ أو النعمة وهذا هو مذهب المؤولة من الجهمية (٢) والمعتزلة والأشاعرة ، أما أهل السنة فيثبتون لله يداً تليق بجلاله من غير تأويل ولا تمثيل ولا تشبيه .

* * *

(١) السراج المنير ٤ / ٤٢ .

(٢) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الذى قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها ، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، والكفر هو الجهل بالله فقط .
لسان الميزان ٢ / ١٤٢ ، مقالات الإسلاميين ١ / ٣٣٨ .

٤ - صفة الوجه :

الوجه من الصفات الذاتية لله سبحانه وتعالى وقد دلت عليها آيات في كتاب الله ، وإليك ما قاله الخطيب في تفسيرها :
* ففي قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾^(١) .

قال : (أى قبلته كما قاله مجاهد . وقال الكلبي : فثم الله يعلم ويرى) ، والوجه صلة كقوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾^(٢) أى إلا هو .

* وقال في تفسير هذه الآية في سورة القصص : (أى ذاته فإن الوجه يعبر به عن الذات ، وقال أبو العالية : إلا ما أريد به وجهه وقيل : إلا ملكه)^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ويقيم وجهه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾^(٤) .

قال : (أى ذاته فالوجه عبارة عن وجود ذاته ، قال ابن عباس : الوجه عبارة عنه)^(٥) .

دلت الآيات التي فسرهما الخطيب والتي تبين موقفه منها ، دلت على إثبات صفة الوجه لله سبحانه كما تليق بجلاله وعظمته ، وإثبات أنه وجه حقيقة لا يشبه وجوه خلقه ليس كمثله شيء ، وهذا هو الذى عليه أهل السنة والجماعة ، أما المبتدعة فقد نفوا الوجه وزعموا أنه مجاز عن الذات

(١) سورة البقرة الآية ١١٥ .

(٢) سورة القصص الآية ٨٨ .

(٣) السراج المنير ٣ / ١٢٣ .

(٤) سورة الرحمن الآية ٢٧ .

(٥) السراج المنير ٤ / ١٦٤ .

أو الثواب أو الجهة ، وهذه تأويلات باطلة من وجوه :
الأول : أنه فرق بين الذات والوجه ، وعطف أحدهما على الآخر
يقتضى المغايرة .

الثاني : أنه أضاف الوجه إلى الذات ، وأضاف النعت إلى الوجه ،
ولو كان الوجه صلة ولم يكن صفة للذات لقال : ذى الجلال ، فلما قال :
ذو الجلال تبين أنه نعت للوجه ، وأن الوجه صفة للذات .

الثالث : إذا جاء الوجه ، جاء مضافاً إلى الذات في جميع أحواله .
والمضاف إلى الله نوعان : صفات لا تقوم بنفسها كالعلم والحياة
والقدرة والسمع والبصر ، وإضافة هذه الصفات إلى الله من باب إضافة
الصفة إلى الموصوف ، وعليه فعلم الله ووجه الله ، إضافة صفة إلى
موصوف ، لا إضافة مخلوق إلى خالقه .

والمضاف الثاني : أعيان قائمة بنفسها ، كبيت الله وناقة الله وعبد الله
فهذه إضافة تشريف وهي إضافة مخلوق إلى خالقه ^(١) .

* * *

(١) انظر التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص ٩١ بتصرف .

٥ - صفة المجيء :

وهي من الصفات الفعلية الثابتة لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق
بجلاله .

* ولكن الخطيب رحمه الله أولها على مذهب أهل التأويل فقال عند تفسير
قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
وقضى الأمر ﴾^(١) الآية .

فسر مجيء الله في الآية بأنه عذابه أو بأسه فقال : (أى إلا أن يأتيهم
أمره أو بأسه كقوله : ﴿ أو يأتي أمر ربك ﴾^(٢) أى عذابه)^(٣) .
* وفي قوله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾^(٤) .
قال : قال الحسن : أى أمره وقضاؤه)^(٥) .

الآيات التي فسرها الخطيب فيها دلالة على إثبات المجيء لله سبحانه ،
كما يليق بجلاله ، وأن فعله حقيقة ، أما تأويل مجيئه ، بأنه مجيء أمره فهو
من التأويلات الباطلة ، وقد رد ابن القيم في الصواعق على من زعم أن في
قوله : ﴿ وجاء ربك ﴾ فيه مجاز حذف ، والتقدير : وجاء أمر ربك ،
وقال : إنه إضمار مالا يدل عليه اللفظ بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم^(٦) .

* * *

-
- (١) سورة البقرة ٢١٠ .
 - (٢) سورة النحل ٣٣ .
 - (٣) السراج المنير ١ / ١٣٦ .
 - (٤) سورة الفجر الآية ٢٢ .
 - (٥) السراج المنير ٤ / ٥٣٥ .
 - (٦) انظر مختصر الصواعق المرسله ٢ / ٢٢٤ وما بعدها ، والتنبيهات السننية ص ٨٨ .

٦ - صفة الغضب :

* قال الخطيب عند تفسير قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾^(١) .

(فإن قيل : ما معنى غضب الله ؟ لأن الغضب ثوران النفس عند إرادة الانتقام أو تغيير يحصل عند ثوران دم الطلب بإرادة الانتقام ، وهو محال في حقه تعالى ، أجيب : بأنه إذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية فمعناه إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم ، وأن يفعل بهم ما يفعل الملك إذا غضب على من تحت يده ، نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته^(٢) .

أول الخطيب رحمه الله صفة الغضب بإرادة الانتقام وهذا مذهب الأشاعرة وغيرهم من المؤولة ، ومذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات صفة الغضب لله سبحانه على الوجه اللائق بجلاله .

* * *

(١) سورة الفاتحة الآية ٧ .

(٢) السراج المنير ١ / ١٣ .

٧ - رؤية الله في الآخرة :

الرؤية لله في الآخرة من الأمور التي أثبتها الخطيب .

* قال عند قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾^(١) الآية .

(جمع بصر ، وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث أنها محلها ، والإدراك أحاطة بكنه الشيء وحقيقته ، وتمسك بظاهر هذه الآية قوم من أهل البدع ، وهم الخوارج^(٢) والمعتزلة وبعض المرجئة^(٣) ، وقالوا :

إن الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً ، لأن الله تعالى أخبر أن الأبصار لا تدركه ، وإدراك البصر عبارة عن الرؤية ، إذ لا فرق بين قولك : أدركته ببصرى ورأيته ببصرى ، فثبت بذلك أن ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ بمعنى لا تراه وهذا يفيد العموم .

ومذهب أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة ، واستدلوا لمذهبهم بأشياء من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، ومن بعدهم من السلف فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾^(٤) .

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٣ .

(٢) الخوارج : عدة فرق يجمعها القول بالتبري من عثمان وعلى رضى الله عنهما ، ويقال لهم أيضا الوعيدية ، وهم الذين يقولون بتكفير صاحب الكبيرة وخلوده في النار ، وأول من خرج على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، جماعة ممن كان معه فمن حرب صفين ، حين جرى أمر التحكيم ، ويقال لهم أيضا الحرورية نسبة إلى حروراء من ناحية الكوفة لاجتماعهم بها حين خرجوا على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، انظر الملل والنحل ١ / ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) المرجئة : زعموا أن الإيمان هو المعرفة بالله ، والخضوع له ، والمحبة بالقلب ، فالمؤمن عندهم يدخل الجنة بإخلاصه ومحبه لا بعلمه وطاعته ، ويقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . والمرجئة أصناف : مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة ، انظر الملل والنحل ١ / ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) سورة القيامة الآية ٢١ ، ٢٢ .

ففى هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ، وقال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴾ ^(١) قال الشافعى : حجب قوماً بالمعصية وهى الكفر ، فثبت أن قوماً يرونه بالطاعة وهى الإيمان . وقال مالك : لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة ، لم يعير الله تعالى الكفار بالحجاب .

وقال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ^(٢) وهذه مفسرة بالنظر إلى الله تعالى يوم القيامة ، ومن السنة ما روى عن جرير بن عبد الله البجلي ^(٣) رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ ^(٤) .

وفى رواية أن أناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ : « هل تضامون فى القمر ليلة البدر - أى تشكون - قالوا : لا ، قال رسول الله ﷺ : « فإنكم ترونه كذلك » ^(٥) . واحتج أهل السنة أيضاً على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بقول

-
- (١) سورة المطففين الآية ١٥ .
 - (٢) سورة يونس الآية ٢٦ .
 - (٣) هو الصحابى الشهير أبو عمرو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي بعثه النبى ﷺ إلى ذى الخلفة فهدمها ، وبعثه على رضى الله عنه إلى معاوية ، توفى سنة ١٥ هـ ، انظر الإصابة ٢ / ٧٦ .
 - (٤) سورة طه الآية ١٣٠ .
 - (٥) أخرجه البخارى ١٧٩/٨ ، فى كتاب التفسير . والبغوى فى شرح السنة ١٤٦/١٥ .

كليم الله موسى ﷺ ﴿ رَبُّ أَرْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ ﴾^(١) ، إذ لا يسأل نبي ما لا يجوز أو يتسع ، وقد علق الله تعالى الرؤية على استقرار الجبل بقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾^(٢) ، واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز .

وأما قول المتمسكين بظاهر الآية ، وأن الإدراك بمعنى الرؤية فممنوع لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به الرؤية والمعاناة وقد تكون المعاناة بلا إدراك ، قال تعالى في قصة موسى ﷺ : ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾^(٣) وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم ، فنفى موسى ﷺ الإدراك مع ثبوت الرؤية .

فإنه تعالى يصح أن يرى من غير إدراك ولا إحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾^(٤) فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم^(٥) .

نفى المعتزلة رؤية المؤمنين لله في الجنة ، كما نفوا الجهة عن الله وقالوا : يجب أن يكون المرئى في جهة من الرأى ، فاستحالت الرؤية لاستحالة الجهة ، أما الأشاعرة فأثبتوا الرؤية ونفوا الجهة ، ولذلك ألزمهم المعتزلة بنفى الرؤية ، فحاروا في تفسير تلك الرؤية فمنهم من قال : يرى من جميع الجهات ، ومنهم من حملها على أنها رؤية بصيرة لا بصر ، وقال : المعنى زيادة التجلى حتى كأنها رؤية عين .

(٢٠١) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٣) سورة الشعراء الآية ٦١ .

(٤) سورة طه الآية ١١٠ .

(٥) السراج المنير ١/٤٤٢ .

وشبهة من منع الرؤية وهم الخوارج والمعتزلة : أن الرؤية توجب كون المرئ محدثاً وحالاً في مكان .

وهذا الذي قالوه علامة على قصور عقولهم ، لأنهم قاسوا الأمور الغيبية بالمألوف في الدنيا ، والخالق بالخلق . قال ابن بطال : (وما تمسكوا به فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود ، والرؤية في تعلقها بالمرئ بمنزلة العلم في تعلقه بالمعلوم ، فإذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه فكذلك المرئ^(١) .

سار الخطيب الشربيني رحمه الله في تفسيره لأكثر آيات الصفات على مذهب الأشاعرة وغيرهم .

فمثلاً صفة الكلام ، رد قول أهل السنة فيها ، وتبع الرازي في رده لمذهب أهل الحق ، وانتصر لمذهب الأشاعرة وغيرهم في صفة الكلام وأنه معنى قائم بالنفس وأنه لا حرف ولا صوت ، وكذلك أول صفة اليد بالحفظ والوجه بالذات ، والغضب بارادة الانتقام ، وهكذا في كثير من الصفات .

* * *

(١) فتح الباري ١٣ / ٤٢٦ ، وانظر اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣ / ٤٥٤ وما بعدها وانظر شرح العقيدة الواسطية ص ٩٤ وما بعدها .

• المبحث الثاني : موقفه من القضاء والقدر :

الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة ، التي أجمعت عليها أهل السنة ، ولا يصح إيمان مؤمن إلا إذا اعتقد أن علم الله وإرادته متعلقة أزلاً بالكائنات قبل وجودها فلا حادث إلا وقد قدره الله أزلاً وتعلقت به إرادته ، وعلى هذا فكل خير وشر هو بقضاء الله وقدره وأنه لا يكون شيء إلا بإرادته ومشيئته وتقديره ، وأنه ليس هناك شيء في العالم يخرج عن ذلك . وخالف في هذا القدرية ، وأول من قال بالقدر معبد الجهني^(١) .

وإليك بعض الأمثلة التي تبين موقف الخطيب في هذا الجانب :

* ففي قوله تعالى : ﴿ كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة ﴾^(٢) . بعد أن ذكر أن الله خلق الهداية في قلوب فريق حق عليهم الهداية ، وفريق حق عليهم الضلالة بين أن ذلك بقضاء الله فقال : (أى بمقتضى القضاء السابق ، وقيل : إن الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً كما قال تعالى : ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾^(٣) ثم يعيدكم يوم القيامة كما خلقكم كافراً ومؤمناً ، وقيل : يبعثون على ما كانوا عليه ، وقيل : من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إليها وإن عمل عمل أهل السعادة ، كما أن إبليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة ، ومن ابتداء الله خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل عمل أهل الشقاوة ، كما أن السحرة كانوا يعملون عمل أهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة)^(٤) .

(١) هو معبد بن خالد الجهني القدرى ، أول من أظهر القدر بالبصرة قتل سنة ٨٠ هـ ،

انظر البداية والنهاية ٩ / ٣٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٩ .

(٣) سورة التغابن الآية ٢ .

(٤) السراج المنير ١ / ٤٧١ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾^(١) .
قال الخطيب الشربيني رحمه الله : (إلا أن يشاء خذلانا وارتدادنا
فحينئذ يمضى قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا ، وفيه دليل على أن الكفر
بمشيئة الله تعالى)^(٢) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾^(٣) .
قال : (أى هياًه لما يصلح له ، مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل
المقدر الذى تراه ، فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى بابى الدين والدنيا
وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجيلة المستوية المقدره وسمى
إحداث الله خلقاً ، لأنه لا يحدث شيئاً لحكمة^(٤) إلا على وجه التقدير من
غير تفاوت ، فإذا قيل : خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من
غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل : وأوجد كل شيء فقدره تقديراً فى
إيجاده ولم يوجد متفاوتاً)^(٥) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾^(٦) .
قال : (أى قضاء الملك الأعظم فى ذلك وغيره قدراً وأكده بقوله
تعالى : « مقدورا » أى لا خلف فيه ولا بد من وقوعه فى حينه الذى حكم
بكونه فيه)^(٧) .

(١) سورة الأعراف الآية ٨٩ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٤٩٤ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٢ .

(٤) قوله : « لا يحدث شيئاً لحكمة » إلخ ، يوهم أن الخطيب يقول بما تقول المعتزلة : أن الله
يجوز أن يخلق شيئاً لغير حكمة ، وهذا غير مقصود له رحمه الله .

(٥) السراج المنير ٢ / ٦٤٧ .

(٦) سورة الأحزاب الآية ٣٨ .

(٧) السراج المنير ٣ / ٢٥٢ .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم ﴾^(١) .

ذكر معنى الآية وبين أنهم لا يضلون أحداً من الناس إلا من سبق له في علم الله تعالى الشقاوة ثم قال : (احتج أهل السنة بهذه الآية على أنه لا تأثير لإيحاء الشيطان ووسوسته وإنما المؤثر هو الله حيث قضاه وقدره)^(٢) .

ومعنى كلامه رحمه الله أن المعصية التي تقع من العاصي بسبب وسوسة الشيطان أنها لا تخرج عن قضاء الله وقدره لأنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بقضاء من الله وقدره .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾^(٣) . قال : (قال بعض المفسرين : إن هذه الآية نزلت في القدرية لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « مجوس هذه الأمة القدرية »^(٤) وهم المجرمون الذين ساءمهم الله تعالى في قوله سبحانه : ﴿ إن المجرمين في ضلال وسعر ﴾^(٥) . وفي مسلم عن أبي هريرة قال : جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الآية إلى آخرها)^(٦) . قال الرازي : والقدرى هو الذى ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات

(١) سورة الصافات الآية ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) السراج المنير ٣ / ٣٩٧ .

(٣) سورة القمر الآية ٤٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٨٦ وأبو داود ٤ / ٢٢٢ في كتاب السنة ، حسنه

الألبانى في صحيح الجامع الصغير ٤ / ١٥١ .

(٥) سورة القمر الآية ٤٧ .

(٦) أخرجه مسلم ٤ / ٢٠٤٦ في كتاب القدر . والترمذى ٤ / ٤٥٩ في كتاب القدر .

الكواكب ، لما مر أن قريشاً خاصموا النبي ﷺ في القدر ، ومذهبهم أن الله تعالى مكن العبد من الطاعة والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد ، وقادر على أن يطعم الفقير ولهذا قالوا : ﴿ أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾^(١) منكرين لقدرته تعالى على الإطعام ، ثم قال : رد عليهم بالكتاب والسنة ، أما من الكتاب فقوله تعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾^(٢) أى قضاء وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدبير محكم فى وقت معلوم ومكان محدود مكتوب ذلك فى اللوح قبل وقوعه .

وأما من السنة فما روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء »^(٣) ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وزاد عبد الله خيره وشره »^(٤) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ والذى قدر فهدى ﴾^(٥) ذكر فى « قدر » قراءتين ، قراءة بتشديد الدال وأخرى بتخفيفها ثم قال : (قال البغوى وهما بمعنى واحد أى أوقع تقديره فى أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها

(١) سورة يس الآية ٤٧ .

(٢) سورة القمر الآية ٤٩ .

(٣) أخرجه مسلم ٤ / ٢٠٤٤ فى كتاب القدر .

(٤) أخرجه البغوى فى شرح السنة ١ / ١٢٢ ، وابن ماجه فى المقدمة ١ / ٣٢ والترمذى

فى كتاب القدر ٤ / ٤٥٢ ، وإسناده صحيح .

(٥) سورة الأعلى الآية ٣ .

وأفعالها ، وآجالها وغير ذلك من أحوالها ، فجعل البطش لليد والمشي للرجل ، والسمع للأذن والبصر للعين ونحو ذلك (١) .

ذكر الخطيب رحمه الله أنه لا يقع في هذا العالم من شيء إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته . وهذا هو مذهب أهل السنة ، فإنهم يقولون : إن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو على كل شيء قدير (٢) .

* * *

(١) السراج المنير ٤ / ٥٢٠ .

(٢) انظر : معارج القبول ٢ / ٣٢٦ ، وشرح الواسطية ص ١٤٣ ، ومجموع الفتاوى الجزء ٨ كله عن القدر ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣ / ٥٣٤ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٧ وما بعدها .

• المبحث الثالث : موقفه من السحر وكرامات الأولياء :

أولاً : السحر :

كل ما خفى ولطف ، وقال في القاموس : السحر : كل ما لطف مأخذه ودق . قال ابن فارس : السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة : أحدها عضو من الأعضاء والآخر خدع وشبهه ، والثالث : وقت من الأوقات ، ثم عرف السحر فقال : قال قوم : هو إخراج الباطل في صورة الحق ، ويقال : هو الخديعة ، واحتجوا بقول القائل^(١) :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام السحر

قال : كأنه أراد المخدوع الذي خدعته الدنيا وغرته^(٢) .

والسحر له حقيقة ووجود : (ولو لم يكن موجوداً حقيقة لم ترد البواهي عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمراً وخبراً)^(٣) .

والسحر له تأثير فمنه ما يمرض ومنه ما يقتل ومنه ما يفسد بين الأزواج . (لكن تأثيره ذلك إنما هو بما قدره القدير سبحانه وتعالى ، أى بما قضاه وقدره وخلقه عندما يلقي الساحر ما ألقاه)^(٤) .

(١) هو لبيد بن ربيعة كما في اللسان (السحر) .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣ / ١٣٨ .

(٣) معارج القبول ١ / ٥٠٦ .

(٤) معارج القبول ١ / ٥٠٨ .

- وإليك بعض الأمثلة التي تبين موقف الخطيب من السحر :
* ففي قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾^(١) الآية .

قال : (السحر لغة : صرف الشيء عن وجهه ، يقال : ما سحرك عن كذا أى ما صرفك عنه .

واصطلاحاً : مزاولة النفوس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة ، واختلف فيه هل هو تخيل أو حقيقة ؟ .
قال بالأول : المعتزلة واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾^(٢) .

وقال بالثاني : أهل السنة ويدل لذلك الكتاب والسنة الصحيحة ، والساحر قد يأتي بفعل أو قول يتغير به حال المسحور فيمرض أو يموت منه ، ويفرق به بين المرء وزوجه ، ثم بين رحمه الله حكمه : فقال : ويحرم تعليمه أو تعلمه . قال إمام الحرمين : ولا يظهر السحر إلا على يد فاسق ، ولا تظهر الكرامة على يد فاسق .

وقول البيضاوى : وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات كالأدوية أو يريه صاحب خفة اليد ، فغير مذموم ، وتسميته سحراً على التجوز لما فيه من الدقة لأنه أى السحر فى الأصل ، أى فى اللغة لما خفى سببه ، مردود بل هو مذموم أى حرام كما صرح به النووى فى الروضة وغيرها^(٣) .

(١) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

(٢) سورة طه الآية ٦٦ .

(٣) السراج المنير ١ / ٨٢ .

أى أن ما يعمله صاحب خفة اليد حرام أيضاً .
 * وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا ، وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾^(١) .

قال : (أى الذى زوروا وافتعلوا ، وهالك أمره ، ﴿ كَيْدًا سَاحِرًا ﴾ أى كيد سحرى لا حقيقة له ولا ثبات ، وقرأ حمزة والكسائى ، بكسر السين وسكون الحاء بمعنى ذى سحر ، أو بتسمية الساحر سحراً على المبالغة ، أو بإضافة الكيد إلى السحر للبيان كقولهم : علم فقه ، والباقون بفتح السين وكسر الحاء وألف بينهما ، فإن قيل : لم وحد الساحر ولم يجمع أجيب : بأن المقصود من هذا الكلام معنى الجنسية لا معنى العدد فلو جمع ، خيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ ﴾ أى هذا الجنس ﴿ حَيْثُ أَتَى ﴾ أى كيفما سار ، وقال ابن عباس : لا يسعد حيث كان وقيل : معناه حيث احتال فإنه إنما يفعل مالا حقيقة له^(٢) .
 * وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الشَّرِّ الْفَائِثَاتُ فِي الْعَقْدِ ﴾^(٣) .

قال الخطيب : (أى النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي تعقد عقداً فى خيوط وينفثن عليها ويرقن عليها ، والنفث النفخ مع ريق ، وقال أبو عبيدة : الفائثات من بنات لبيد بن أعصم اليهود سحرن النبي ﷺ^(٤)) .

قال الإمام ابن القيم : (والسحر الذى يؤثر مرضاً وثقلاً وعقداً وحباً وبغضاً ونزيفاً وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس ، ثم قال :

(١) سورة طه الآية ٦٩ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٤٧٢ .

(٣) سورة الفلق الآية ٤ .

(٤) السراج المنير ٤ / ٦١٣ .

وقوله تعالى : ﴿ من شر النفاثات في العقد ﴾ دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه ، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهراً كما يقوله هؤلاء لم يكن للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه ^(١) . فالسحر له حقيقة وتأثير بقدر الله والخطيب الشريفي رحمه الله أثبت أن السحر له تأثير وحقيقة ، وأن تأثيره يقع على الأبدان والعقول . (ومذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر ، وأن له حقيقة ، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة ، خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته ، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها) ^(٢) . فالسحر له حقيقة ، وله شر يستعاذ منه ، وإذا كان كذلك حرم تعلمه ، وقتل فاعله .

* * *

-
- (١) التفسير القيم ص ٥٧٠ للإمام ابن القيم ، جمعه محمد أويس الندوي - دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- (٢) معارج القبول ١ / ٥١٠ .

ثانياً : كرامات الأولياء :

الكرامة : أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ، يظهرها الله على يد عبد ظاهره الصلاح ، وهي من المبشرات التي يجعلها الله لمن أتت على يديه ، وهي باقية إلى قيام الساعة ، ولا يعنى عدم حصولها نقص في دين المسلم ، كذلك لا يعنى حصولها فضله على غيره لجواز سلب الكرامة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجرى الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع المكاشفات)^(١). والذي لا يحصل له شيء من تلك الخوارق لا تقل مرتبته عند ربه ، قال في شرح الطحاوية : (فاعلم أن عدم الخوارق لا تضر المسلم في دينه ، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ، ولم يسخر له شيء من الكونيات لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله ، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له)^(٢) . وقد أنكر الكرامة المعتزلة وبعض الأشاعرة ، وقالوا : إن الكرامة كالمعجزة وهذا يؤدي إلى التباس النبي بالولي ، ونرد عليهم (أن هذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعى النبوة ، وهذا لا يقع ولو ادعى النبوة ، لم يكن ولياً بل كان متنبئاً كذاباً)^(٣) .

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء الاعتقاد الجازم بأنها حق .

* قال الخطيب الشربيني عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قال يا مريم أتى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾^(٤) الآية .

(١) الواسطية مع شرحها ص ١٦٧ للشيخ الهراس - نشر الجامعة الإسلامية .

(٢) الطحاوية ص ٤٩٨ .

(٣) شرح الطحاوية ص ٤٤٩ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٣٧ .

(دخل عليها زكريا فسألها عن الرزق الذى عندها فقالت : هو من عند الله ، يأتيني به من الجنة ، قيل : تكلمت في المهد وهى صغيرة كما تكلم ابنها عيسى وهو صغير في المهد ولم ترضع ثدياً قط ، وكان رزقها ينزل عليها من الجنة وفي هذا دليل وأى دليل على كرامة الأولياء ، وليس ذلك معجزة لزكريا كما زعمه جماعة ، لأن ذلك مدفوع باشتباه الأمر عليه حتى قال لها : أنى لك هذا ، ولو كان معجزة له لادعاها وقطع بها ، لأن النبى شأنه ذلك ، ويدل عليها ذلك ، كقصة أصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين عدداً بلا طعام ولا شراب ، وقصة آصف من إتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ، ورؤية عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو على المنبر جيشه بناوند^(١) ، حين قال : يا سارية^(٢) الجبل ، وسماع سارية ذلك ، وكان بينهما مسافة شهر ، وشرب خالد^(٣) السم من غير أن يضره فكرامات

(١) نهاوند : مدينة عظيمة في فارس ، حصلت بها وقعة مشهورة بين المسلمين والفرس

سنة ١٩ هـ ، سميت بفتح الفتوح ، انظر مراصد الأطلاع ٣ / ١٣٩٧ .

(٢) هو سارية بن زعيم بن عبد الله الدثلى ، ذكر أن له صحبة ، وقد ولاه عمر بن الخطاب ناحية فارس وقيل إنه روى عن النبى ﷺ ولم يلقه ، وهو الذى قال له عمر : يا سارية الجبل ، فقد وقع في خاطر عمر وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو وهم في بطن واد ، وقد هموا بالهزيمة ، وبالقرب منهم جبل ، فقال في أثناء خطبته : يا سارية الجبل الجبل ، ورفع صوته ، فألقاه الله في سمع سارية ، فانحاز بالناس إلى الجبل ، وقتلوا العدو من جانب واحد ، ففتح الله عليهم ، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هزمتنا ، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادى : يا سارية الجبل ثلاثاً ، فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى .

قال الحافظ بن حجر عن سند هذه الرواية : وهو إسناد حسن ، انظر الإصابة ٤ / ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) هو خالد بن الوليد ، جاء في المطالب العالية : أبو السفر ، قال : نزل خالد بن الوليد على المرازبة ، فقالوا : احذر السم لا تسقيكه الأعاجم ، فقال : اتئوتى به ، فأتى به فأخذه بيده ، ثم اقتحمه وقال : بسم الله فلم يضره شيئاً ، قال محقق المطالب العالية ، الشيخ عبد الرحمن الأغطى في الحاشية : سكت عليه البوصيرى ، وقال الهيثمى : =

الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة ، وليس بعجيب إنكارها من أهل البدع والأهواء^(١) .

وقال في قصة أصحاب الكهف : (احتج أصحابنا رحمهم الله بهذه القصة على صحة القول بالكرامة للأولياء ، ثم قال : ومما يدل على جواز كرامات الأولياء : القرآن والأخبار والآثار والمعقول .

— أما القرآن فالمعتمد فيه عندنا آيات :

الحجة الأولى : قصة مريم عليها السلام ، وقد مرت معنا وكلام الخطيب على ذلك .

الحجة الثانية : قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم في النوم سالمين من الآفات مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين وأن الله تعالى كان يعصمهم من حر الشمس . ثم أورد قصة جريج العابد الذى كان في بنى إسرائيل وكانت له أم جاءت يوماً لزيارته فقالت : يا جريج ، فقال : رب أمى وصلاتى ، فانصرف يصلى ، وكررت ذلك ثلاث مرات فلم يجبها فدعت عليه فقالت : اللهم لا تمته حتى تريحه وجوه المومسات فقالت زانية من بنى إسرائيل أنا أفنته ، فأتته فلم تقدر عليه ، فمكنت راعياً يأوى إلى صومعة جريج من نفسها فولدت فقالت هذا من جريج ، فأتته بنوا إسرائيل وهدموا صومعته ، فنخس جريج الغلام في بطنه فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : الراعى ، فندم القوم على ذلك وأعادوا له صومعته^(٢) .

= رواه أبو يعلى والطبرانى بنحوه ، وأحد إسنادى الطبرانى رجاله رجال الصحيح ، وهو مرسل ، ورجاهما ثقات ، إلا أن أبا السفر وأبا بردة بن أبى موسى لم يسمعا من خالد بن الوليد .

(١) السراج المنير ١ / ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٣٦٧ ، والحديث أخرجه مسلم ٤ / ١٩٧٦ فى كتاب البر والصلة .

كما ذكر قصة أصحاب الغار المشهورة ، وأورد غيرها من الأخبار التي أيد بها حصول الكرامة للأولياء .

- ثم ذكر حجة المنكرين للكرامة والرد عليها فقال :
(واحتج المنكر للكرامات بوجوه :

الأول : أن ظهور الفعل الخارق للعادة جعله الله تعالى دليلاً على النبوة ، فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة .

الوجه الثاني : أن الله تعالى قال : ﴿ وتحمّل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ﴾^(١) والقول بأن الولي ينتقل من بلد إلى بلد بعيد لا على هذا الوجه ، طعن في الآية ، وأيضاً أن النبي ﷺ لم يصل من مكة إلى المدينة إلا في أيام كثيرة مع التعب الشديد ، فكيف يعقل أن يقال : إن الولي ينتقل من بلد نفسه إلى الحج في اليوم الواحد .

الوجه الثالث : أن هذا الولي الذي يظهر عليه الكرامات إذا ادعى على إنسان درهماً واحداً فهل يطالب بالبينة أم لا ؟ فإن طالبناه بها كان عبثاً ، لأن ظهور الكرامة عليه يدل على أنه لا يكذب ومع قيام الدليل القاطع كيف يطلب الدليل الظني ؟ وإن لم يطالب بها فقد تركنا قوله ﷺ « البينة على المدعى »^(٢) فهذا يدل على أن القول بالكرامة باطل .

وأجيب عن الأول : بأن الناس اختلفوا هل يجوز للولي دعوى الولاية فقال قوم من المحققين أنه لا يجوز ، فعلى هذا الفرق بين المعجزة والكرامة : أن المعجزة تكون مسبقة بدعوى النبوة ، والكرامة لا تكون مسبقة بدعوى الولاية .

وأجيب عن الثاني : بأن قوله تعالى : ﴿ وتحمّل أثقالكم ﴾ إلى آخره محمول على المعهود المتعارف ، وكرامات الأولياء أحوال نادرة فتصير

(١) سورة النحل الآية ٧ .

(٢) أخرجه مسلم ١/ ١٢٣ في كتاب الإيمان ، والترمذي ٣/ ٦١٦ في كتاب الأحكام ، وابن ماجه ٢/ ٧٧٨ في كتاب الأحكام .

كالمستثنيات من ذلك العموم المتعارف .

وأجيب عن الثالث : بأن التمسك بالأمر النادرة لا يعول عليه في الشرع فلا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « البينة على المدعى » ومع هذا فصاحب الكرامة يجب عليه أن يكون خائفاً وجللاً ولهذا قال المحققون أكثر ما حصل الانقطاع عن حضرة الله إنما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من أشد أنواع البلاء ، والذي يدل على الاستئناس بالكرامة وجوه :

الأول : أن الكرامات أشياء مغايرة للحق سبحانه وتعالى ، فالفرح بالكرامة فرح بغير الحق ، والفرح بغير الحق حجاب والمحجوب عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور ؟ .

الوجه الثاني : أن من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقاً للكرامة بسبب عمله ، حصل لعمله وقع عظيم في قلبه ، ومن كان لعمله وقع عظيم في قلبه كان جاهلاً ، إذ لو عرف ربه لعلم أن كل طاعات الخلق في جنب جلاله تقصير ، وكل شكر في جنب آلائه ونعمائه قصور ، وكل معارفهم وعلومهم فهي في مقابلة عزته حيرة وجهل .

الوجه الثالث : أن صاحب الكرامة إنما وجد الكرامة لإظهار الذل والتضرع في حضرة الله تعالى ، فإذا ترفع وتكبر وتجبى بسبب الكرامات فقد بطل ما به وصل إلى الكرامات فهذا طريق يؤدي ثبوته إلى عدمه ، فكان مردوداً ولهذا لما ذكر صلى الله عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول في آخر كل واحدة منها : ولا فخر أى لا أفخر بهذه الكرامات وإنما أفخر بالمكرم والمعطى .

الوجه الرابع : أنه تعالى وصف عباده المخلصين بقوله :
﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾^(١) أى رغباً في ثوابنا ورهباً من
عذابنا^(٢) .

أثبت الخطيب رحمه الله الكرامة للأولياء وهو مذهب أهل السنة
والجماعة وبين الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل على حصولها وإمكان
وقوعها ، ثم أورد أدلة المنكرين للكرامة وأبطلها ، لكنه رحمه الله بالغ في
إثبات الكرامة في كثير من الأحوال التي يدعيها بعض الصوفية مثل قولهم :
إن الكعبة تزور بعض الأولياء ، وكذلك ما يدعونه من أن بعض
الأولياء يراه أهل بلده يوم عرفة في بلده ، ويراه أهل عرفة فيها ، ويعدون
ذلك من كمال الولاية ، وهذا باطل ، إنما هو من دجل الدجالين من غلاة
الصوفية وجهالهم .

والحق أن يتوسط المسلم في كل أمره فلا يثبت إلا ما دل عليه الكتاب
والسنة ، وأجمعت عليه الأمة ، لأن الغلو يفسد الاعتقاد .

* * *

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٠ .

(٢) السراج المنير ٣ / ٧٦٧ ، ٣٧١ .

○ الفصل الخامس ○

اهتمامه بعلوم القرآن

- المبحث الأول : الحروف المقطعة في أوائل السور .
- المبحث الثاني : أسباب النزول .
- المبحث الثالث : الأحرف السبعة والمكى والمدنى .
- المبحث الرابع : النسخ في القرآن .
- المبحث الخامس : إعجاز القرآن .
- المبحث السادس : موقفه من التكرار في القرآن ، وما قيل أن فيه من غير لغة العرب .

* * *

• المبحث الأول : الحروف المقطعة في أوائل السور :

الحروف المقطعة في فواتح السور من القضايا التي اختلف فيها ،
ف قيل : إنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، وقيل : إنها أسماء للسور ،
وقيل إنها أسماء القرآن ، وقيل غير ذلك ، قال السيوطي في الإتقان ، (ومن
المتشابه أوائل السور - يعنى المفتحة بالحروف المقطعة - والمختار فيها أيضاً
أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى ، سئل الشعبي عن فواتح السور
فقال : إن لكل كتاب سرّاً وأن سر هذا القرآن فواتح السور ، ثم ذكر بعض
الآثار في معاني بعض الحروف في أوائل السور فقال : وهذه الأقوال كلها
راجعة إلى قول واحد وهو أنها حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من
اسم من اسمائه تعالى ، والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية ، وهذا
القول اختاره الزجاج وقال : العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة
التي هو منها ^(١) .

وقيل : هي شعار للسورة ، وقيل : هي سر الله عند نبيه ^(٢) .

وقد أطال النفس ابن جرير رحمه الله في ذكر الأقوال التي قيلت في
فواتح السور ووجهها ورد عليها وبين الراجح منها وإليك ملخص ما قاله.
ابن جرير عند تفسيره لفاتحة سورة البقرة ، قال رحمه الله : اختلفت تراجمة
القرآن في تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿ ألم ﴾ :

(١) انظر الإتقان ٢ / ١٢ بتصرف ، وانظر التحبير ص ٢١٩ .

(٢) انظر الحجة في القراءات السبع ص ٢٣٤ .

- ١- فقال بعضهم : هو اسم من أسماء القرآن وهذا القول مروى عن ابن جريج^(١) .
- ٢- أنها فواتح يفتح الله بها القرآن وهو قول مجاهد .
- ٣- قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٢) : إنها اسم للسورة .
- ٤- ما رواه السدى عن ابن عباس : أنها اسم الله الأعظم .
- ٥- قال عكرمة : قسم أقسم الله به وهو من أسمائه .
- ٦- أنها حروف مقطعة من أسماء وأفعال ، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر وهو قول سعيد بن جبير وابن عباس .
- ٧- قول الشعبي : إن لكل كتاب سراً ، وسر القرآن فواتحه .
- ٨- هى حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة وهو قول الربيع^(٣) بن أنس .

وبعد عرضه لتلك الأقوال ومناقشتها قال : (والصواب من القول عندى فى تأويل مفاتيح السور التى هى حروف المعجم أن الله جل ثناؤه جعلها حروفاً مقطعة ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل

(١) هو أبو خالد ، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى ، مولاهم ، كان نصرانياً فأسلم وصار من علماء مكة والمحدثين فيها ، وهو أول من صنف الكتب فى الحجاز ، واشتهر برواية الإسرائيليات وقصص أهل الكتاب وأخبارهم ، توفى سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥٩ هـ ، انظر طبقات المفسرين للداودى ١ / ٣٥٨ .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى ، مولاهم ، المدنى ، توفى سنة ١٨٢ هـ ، طبقات المفسرين للداودى ١ / ٢٧١ .

(٣) الربيع بن أنس البكرى ، البصرى ، له أقوال وآراء فى التفسير توفى سنة ٤٠ هـ ، انظر تقريب التهذيب ١ / ٢٤٣ .

الحروف لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة لا على معنى واحد^(١) .

وذكر ابن كثير رحمه الله أقوالاً كثيرة في تفسيره ورد على الأقوال التي لم يرتضيها أو رأى في حجتها ضعفاً ظاهراً ، ثم ذكر قولاً لطائفة من أهل التفسير وبين أنه هو الراجح فقال رحمه الله : (وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف المقطعة في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب^(٢) نحو هذا ، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزني^(٣) وحكاه لي عن ابن تيمية . قال الزمخشري : ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدى والتبكيث ، كما كررت قصص كثيرة ، وكرر التحدى بالصریح في أماكن ، قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ، (ص ، ن ، ق) - وحرفين مثل : (حم) وثلاثة مثل : (ألم) وأربعة مثل : (المر ، والمص) وخمسة مثل : (كهيعص) و (حمعسق) لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك : قلت :

(١) تفسير الطبري ١ / ٨٦ ، ٩٣ ، وأنظر معاني القرآن للاخفش ١ / ٢١ .

(٢) هو أبو علي محمد بن المستنير الملقب بقطرب لحرصه على العلم ، والقطرب دوية تدب ولا تفتر توفي ٢٠٦ هـ .

(٣) هو الإمام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزني المتوفى في ٧٤٢ هـ .

القائل ابن كثير - ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى . ﴿ ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾^(١) ﴿ ألم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ﴾^(٢) ﴿ ألمص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾^(٣) ﴿ ألمر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ﴾^(٤) ﴿ ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾^(٥) ، ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾^(٦) ، وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم^(٧) .
وكذلك رجح الشيخ الطاهر بن عاشور ما رجحه ابن كثير فقال رحمه الله بعد أن ذكر ما يتعلق بتلك الحروف من جهة الرسم والمحل قال :
(وإلى هنا خلاص أن الأرجح من تلك الأقوال ثلاثة وهي كونها تلك الحروف لتبكت المعاندين وتسجلاً لعجزهم عن المعارضة ، أو كونها أسماء للسور الواقعة هي فيها ، أو كونها أقساماً أقسم بها لتشريف قدر الكتابة ، وتنبيه العرب الأميين إلى فوائد الكتابة لإخراجهم من حالة الأمية ، وأرجح هذه الأقوال الثلاثة هو أولها)^(٨) .

(١) سورة البقرة الآية ١ ، ٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١ ، ٢ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ١ .

(٥) سورة السجدة الآية ١ ، ٢ .

(٦) سورة فصلت الآية ١ ، ٢ .

(٧) تفسير ابن كثير ١ / ٣٨ ، وانظر الكشاف ١ / ٧٦ وما بعدها .

(٨) التحرير والتنوير ١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

واختار سيد قطب رحمه الله أنها لتحدى العرب وإشارة إلى أن هذا القرآن مؤلف من جنس تلك الأحرف فقال : (ومثل هذه الأحرف يجيء في مقدمة بعض السور القرآنية ، وقد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة ، نختار منها وجهاً : أنها إشارة للتنبية إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس الأحرف ، وهي في متناول المخاطبين به من العرب . ولكنه مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز ، الذى لا يملكون أن يصوغوا من تلك الأحرف مثله ^(١) . هذا وقد ذكر الخطيب الشربيني رحمه الله في تفسيره آراء كثيرة في ذكر معاني فواتح السور وإليك بيان ذلك :

* ففى تفسيره لأول البقرة قال : (قال الشعبي وجماعة ﴿ ألم ﴾ وسائر حروف الهجاء فى أوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر القرآن فنحن نؤمن بظواهرها ونكل العلم بها إلى الله سبحانه وتعالى ، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها والسبب فى ذلك أن العقول الضعيفة لا تحتمل الأسرار القوية ، كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش ، والله تعالى استأثر بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء ، والأنبياء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العامة ، قال داود بن أبى هند ^(٢) : كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال : يا داود إن لكل كتاب سراً ، وإن سر القرآن فواتح السور فدعها واسأل عما سوى ذلك ، وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : معنى « ألم » أنا الله أعلم ومعنى « ألر » أنا الله أرى ومعنى « ألر » أنا الله أعلم وأرى ، قال الزجاج : وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدها كقوهم : قلت لها قفى فقالت قاف : أى وقفت .

(١) فى ظلال القرآن ١ / ٣٨ .

(٢) هو أبو بكر ، داود بن أبى هند القشبرى ، مولاهم ، البصرى ، أحد الأعلام ، كان حافظاً قانتاً لله ، توفى سنة ١٤٠ هـ - انظر طبقات المفسرين ١ / ١٧٤ .

وقيل هي أسماء السور وعليه إطباق أكثر المتكلمين واختاره الخليل وسيبويه سميت إشعاراً بأنها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيّاً من الله تعالى لم تتساقط قدرتهم عند معارضتها .

ثم ، وهذا القول : بأن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة قد سميت بأسماء أخرى كالبقرة وآل عمران قال : (ونقضه الإمام الرازي بأنها لو كانت أسماء لها لوجب اشتهاؤها بها وقد اشتهرت بغيرها)^(١) .

والخطيب هنا يرجح أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه .

* وعند تفسير فاتحة سورة مريم قال : (قال ابن عباس : هو اسم من أسماء الله تعالى ، وقال قتادة : هو اسم من أسماء القرآن ، وقيل : هو اسم الله الأعظم ، وقيل هو اسم السورة ، وقيل : قسم أقسم الله به ، وعن الكلبي : هو ثناء أثنى الله به على نفسه وعنه معناه كافٍ لخلقها هادٍ لعباده ، يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده ، وقيل : إنه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه)^(٢) .

وفي تفسير فاتحة سورة طه ، ذكر أنه قدم الكلام على الحروف المقطعة في سورة البقرة ورجح ما ذكره هناك ثم قال : (والذي زادوه هنا أموراً أحدها : قال الثعالبي^(٣) : الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية ، كأنه أقسم بالجنة والنار .

الثاني : يحكى عن جعفر الصادق^(٤) الطاء طهارة أهل البيت ، والهاء

(١) انظر السراج المنير ١ / ١٥ .

(٢) السراج المنير ٢ / ١٢ .

(٣) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، الجزائرى ، المغربى المالكى ، كان صالحاً زاهداً ، وإماماً مصنفاً ، له التفسير المعروف ، الجواهر الحسان فى تفسير القرآن ، توفى سنة ٨٧٦ هـ ، انظر الضوء اللامع ٤ / ١٥٢ .

(٤) السراج المنير ٢ / ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

هدايتهم .

الثالث : قال سعيد بن جبير هذا افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادى .
الرابع : مطمع الشفاعة للأمة وهادى الخلق إلى الملة ، ولم يذكر

قائله .

الخامس : الطاء من الطهارة ، والهاء من الهداية فكأنه قيل : يا طاهراً
من الذنوب يا هاديا إلى علام الغيوب .

السادس : الطاء طول القراءة والهاء هيبتهم في قلوب الكفار .

السابع : الطاء بتسعة في الحساب ، والهاء بخمسة تكون أربعة عشر ،
ومعناها يا أيها البدر^(١) ويعنى بالحساب حساب الجُمَّل ، أما الأقوال التى
ذكرها الخطيب الشربيني رحمه الله نقلاً عن الثعالبي فلا يعول عليها لأنه
لا يؤيدها كتاب ولا سنة ولا لغة وليس لها حظ من النظر ، والاشتغال بها
من الترف ، وبذل الجهد فيها ضياع للوقت ، لأنها إما من تأويلات
الرافضة ، أو من تأويلات المتصوفة ، أو من تخمينات بعض المفسرين التى
لا يؤيدها منقول ولا معقول .

* وقال فى تفسير مطلع سورة الشعراء (قال ابن عباس : عجزت العلماء عن
علم تفسيرها ، وفى رواية عنه : أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى ، وقال قتادة :
اسم من أسماء القرآن ، وقال مجاهد اسم السورة ، وقال محمد بن
كعب القرظى أقسم بطوله وسناه وملكه ، ولهذا الاختلاف قال الجلال
المحلى : الله أعلم بمراده بذلك^(٢) .

(١) هو أبو عبد الله ، جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، الهاشمى ،
المعروف بالصادق ، إمام فقيه ، توفى سنة ١٤٨ هـ ، انظر تقريب التهذيب
١٣٢ / ١ .

(٢) السراج المنير ٣ / ٢ .

* وقال رحمه الله : (واختلف في تفسير قوله عز من قائل ﴿ ق ﴾ فقال ابن عباس : هو قسم وقيل : هو اسم للسورة ، وقيل : اسم من أسماء القرآن ، وقال القرطبي : هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقابض ، وقال : عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالأرض ، وقال عنه الرازي : إن هذا القول ضعيف ، لأنه يوقف عليها وتكتب بغير ألف وفاء . فإن قيل : هو منقول عن ابن عباس ، نقول : المنقول عنه أن القاف اسم جبل وأما أن المراد ههنا ذلك فلا)^(١) .

أنكر ابن كثير رحمه الله ذلك القول وعده من الإسرائيليات وضعف الأثر المروى عن ابن عباس ، فقد قال رحمه الله عند تفسيره لأول سورة « ق » : (وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا « ق » جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف وكأن هذا والله أعلم من خرافات بنى إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب ، وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افترى في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بنى إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشرهم الخمر وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته ، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوزه العقل ، فأما فيما تخيله ، ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم) ، ثم أورد أثراً عن أبي حاتم الرازي وحكم عليه بالغرابة فيما يتعلق بقاف ، وأنه جبل محيط بالأرض ، قال ابن كثير : (حتى إن الإمام ابن محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله عليه أورد ههنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس رضى الله عنهما

(١) السراج المنير ٤ / ٧٧ .

قال : حدثنا أبي قال : حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي ، حدثنا ليث ابن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما فقال : خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ثم خلق من وراء ، ذلك البحر جبلاً يقال له قاف ، سماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مراتب ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سنوات ، قال وذلك قوله تعالى : ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾^(١) فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع^(٢) .

وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف قال في الجرح والتعديل :

(أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلّى قال : حدثنى عثمان بن أبى شيبه قال : سألت جريراً عن ليث وعطاء بن السائب ويزيد بن أبى زياد ، فقال : كان يزيد أحسنهم استقامة فى الحديث ثم عطاء وكان ليث أكثرهم تخليطاً ، وقيل لعيسى بن يونس لم لم تسمع من ليث بن أبى سليم قال : قد رأيتُه وكان قد اختلط وكان يصعد المنارة ارتفاع النهار يؤذن ، وقال أحمد بن حنبل : ليث بن أبى سليم مضطرب الحديث ولكن حدث الناس عنه ، وقال يحيى بن معين : ليث حديثه بذاك ، ضعيف . وقال أبو زرعة : لين الحديث لا تقوم به الحجة عند أهل العلم الحديث)^(٣) .

وقال الحافظ ابن حجر : (صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك)^(٤) .

(١) سورة لقمان الآية ٢٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٢١ .

(٣) الجرح والتعديل ٧ / ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٤) تقريب التهذيب ٢ / ١٣٨ .

* وفي تفسير سورة القلم قال : (وقوله تعالى ﴿ ن ﴾ كقوله ﴿ ص ﴾ والقرآن ﴿ ﴾ واختلفوا في تفسير ذلك فقال ابن عباس رضى الله عنهما : هو الحوت الذى على ظهره الأرض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدى والكلبى وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

أول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض ثم قرأ ابن عباس ﴿ ن ﴾ الآية ، واختلفوا في اسمه فقال الكلبي ومقاتل : يهيموت ، وقال الواقدى : ليوثا وقال كعب : لوتا ، وقال على : تلهوث ^(١) .

وهذه الرواية التى ذكرت في تفسير (ن) والأسماء التى قيلت أنها أسماء له هى من الإسرائيليات التى لم يصح فيها خير عن رسول الله ﷺ والخطيب الشربيني رحمه الله يوردها في تفسيره ويسكت عنها ولا يتعقبها ، وسنرى في فصل موقفه من الإسرائيليات الكثير من ذلك أن شاء الله وسنرد عليها في موضعها .

- وخلاصة القول في موقف الخطيب من الحروف المقطعة في فواتح السور : أنه يرى أنها من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وأنه أعلم بمراده بها ، كما أنه يذكر في كل سورة فيها من تلك الحروف ما قيل في معنى ذلك الحرف من قبيل الإحصاء لتلك الأقوال ليطلع القارىء على جل ما قيل في المسألة ، أما رأى الذى نرجحه بالنسبة لمعاني تلك الحروف هو رأى القائل : بأنها جاءت للتحدى والإعجاز كأنه قال لهم : إن هذا الكتاب الذى نزل على النبي ﷺ مؤلف من هذه الحروف التى تؤلفون منها كلامكم ، ولكنكم لا تستطيعون أن تأتوا بمثل هذا القرآن .

(١) السراج المنير ٤ / ٣٤٩ .

● المبحث الثاني : أسباب النزول :

سبب النزول يكون قاصراً على أمرين : أحدهما أن تحدث حادثة فينزل القرآن الكريم بشأنها كما في سبب نزول ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ .

الثاني : أن يسأل الرسول ﷺ عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه ، كما في سبب نزول آية اللعان ، وعليه يكون سبب النزول هو : (الحادثة التي تقع في زمن النبي ﷺ ، أو السؤال يوجه إليه فتتزل الآية أو الآيات أيام وقوع ذلك مبينة لحكم تلك الحادثة أو مجيبة على ذلك السؤال)^(١) .

* وآية اللعان في سورة النور من قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون أزواجهم إلى قوله : والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾^(٢)

أخرج البخارى في صحيحه (أن عويمراً^(٣) أتى عاصم بن عدى وكان سيد بنى عجلان فقال : كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقنته فتقتلونه أم كيف يصنع ، سل لى رسول الله ﷺ عن ذلك فأتى عاصم النبى ﷺ فقال : يا رسول الله فكره رسول الله ﷺ المسائل ، فسأله عويمر فقال : إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها ، قال عويمر : والله لا أنتهى حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فجاء عويمر فقال : يارسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقنته فتقتلونه أم كيف يصنع فقال رسول الله ﷺ : قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك فأمرهما رسول الله بالملاعنة بما سمي الله

(١) انظر العز بن عبد السلام ومنهجه في التفسير ص ٢١٥ ، للدكتور عبد الله الوهيبى الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ومباحث في علوم القرآن ص ٧ ، والصحيح المسند من أسباب النزول للوادعى دار الأرقم الكويت ط الثانية .

(٢) سورة النور الآية ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .

(٣) هو عويمر بن الحارث بن زيد العجلاني ، انظر الإصابة ٧ / ١٨٢ .

في كتابه فلا عنها ، ثم قال :

يا رسول الله ، إن حبستها فقد ظلمتها ، فطلقها فكانت سنة لمن كان بعدهما من المتلاعنين ، ثم قال رسول الله ﷺ : انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الألتين ، خدلج الساقين ، فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها ، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحره^(١) فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها ، فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر ، فكان بعد ينسب إلى أمه^(٢) .

وفي البخارى أيضاً من حديث ابن عباس وفيه (أن هلال بن أمية^(٣) قذف امرأته عند النبي ﷺ وذكر الحديث بنحوه^(٤) . وقد أشكل هذا الحديث على الشراح فمنهم من حملة على تعدد سبب النزول ومنهم من قال : إنها نزلت في هلال بن أمية وصادف مجيء عويمر للنبي ﷺ فنزلت فيهما معاً ، وقد جمع الحافظ في الفتح أقوال أهل العلم في المسألة^(٥) .
والظاهر والله أعلم أن هلال بن أمية هو الذي سأل أولاً ثم صادف مجيء عويمر فنزلت فيهما الآيات معاً .

- وصيغة سبب النزول أما أن تكون صريحة أو محتملة ، تكون صريحة إذا قال الراوى : سبب نزول هذه الآية كذا ، أو إذا أتى بفاء تعقيبية داخلية على

-
- (١) الوحرة : وزغة تكون في الصحارى وهى سامة حمراء اللون .
 - (٢) البخارى ٣ / ٦ / ٣ والترمذى ٥ / ٣٢٩ ، ٣٣٠ في كتاب التفسير ، والدارقطنى ٣ / ٢٧٧ ، وأبو داود في كتاب الطلاق ٢ / ٢٧٣ ، والدارمى ٢ / ١٥ وابن جرير ١٨ / ٨٥ .
 - (٣) هلال بن أمية بن عامر الأنصارى شهد بداراً وما بعدها ، أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، انظر الإصابة ١٠ / ٢٥٢ .
 - (٤) انظر صحيح البخارى ٦ / ٤ .
 - (٥) فتح البارى ٨ / ٤٥٠ .

مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال كما إذا قال : حدث كذا ، أو سئل رسول الله ﷺ عن كذا ومسلم عن كذا فنزلت الآية ، وتكون محتملة للسببية إذا قال الراوى : نزلت هذه الآية في كذا ، فذلك يراد به تارة أنه سبب النزول وتارة أنه داخل في معنى الآية ، وأيضاً إذا قال : هذه الآية نزلت في كذا أو ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في كذا فهو لا يقطع بهذه الصيغة^(١) .

ألفت كتب كثيرة في معرفة أسباب النزول مثل أسباب النزول للنيسابورى والسيوطى ، وتحدث أهل التفسير في كتبهم عن أسباب النزول لما لها من أهمية في الإعانة على معرفة التفسير وإزالة الأشكال عن كثير من الآيات ، والخطيب الشريينى رحمه الله من جملة هؤلاء المفسرين الذين أوردوا أسباب النزول في تفاسيرهم ، وإليك بعض الأمثلة التى توضح ذلك :

* فى قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾^(٢) .

قال : (نزل فى رجل من الأنصار ، قال عكرمة اسمه أبو قيس^(٣) ، وذلك أنه ظل نهاره يعمل فى أرض وهو صائم ، فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر ، فقال لامرأته قدمى الطعام ، وأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً ساخناً فأخذت تعمل له فى شىء ، وكان فى ابتداء الإسلام من صلى العشاء أو نام قبلها حرم عليه الطعام والشراب ، فلما فرغت من طعامه إذ هو قد نام وكان قد أعيا وكل ، فأيقظته فكره أن يعصى الله ورسوله ، وأنى أن يأكل فأصبح

(١) انظر مباحث فى علوم القرآن ص ٨٥ ، والمسند من أسباب النزول ص ٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

(٣) صرمة بن أبى أنس قيس بن مالك بن عدى بن النجار ، انظر فتح البارى ٤ / ١٣٠ ،

فى تحقيق الخلاف فى اسمه .

صائماً مجهوداً فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه ، فلما أفاق أتى رسول الله ﷺ فلما رآه قال : يا أبا قيس مالك أمسيت طليحاً^(١) فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية^(٢) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يغفل ﴾^(٣) الآية .

قال الخطيب الشربيني : واختلفوا في سبب نزول هذه الآية :

فقال ابن عباس : نزلت في قطيفة حمراء ، فقدت يوم بدر ، فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله ﷺ أخذها .

وقال مقاتل : نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز إلى أن قال ﷺ بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : هذا في الوحي يقول : ما كان لنبي أن يكتم شيئاً من الوحي رغبة أو رهبة أو مداهنة .

وروى أنه ﷺ غنم في بعض الغزوات وجمع الغنائم ، وتأخرت القسمة لبعض الموانع ، فجاء قوم وقالوا : ألا نقسم غنائمنا ، فقال ﷺ : لو كان لكم مثل أحد ذهباً ما حبست عليكم منه درهماً ، أتحسبون أني أغلکم مغنمکم فنزلت^(٤) .

حديث القطيفة أخرجه الترمذى وأبو داود من حديث خصيف وكذلك ابن جرير^(٥) ، وقال عنه الترمذى : حسن غريب ، وفيه عند الجميع خصيف بن عبد الرحمن الجزرى قال عنه في الجرح والتعديل : (قال

-
- (١) الطليح : هو خالي الجوف من الطعام .
- (٢) رواه البخارى في كتاب الصوم ٢ / ٢٣٠ والدارمى ٢ / ٥ .
- (٣) سورة آل عمران الآية ١٦١ .
- (٤) السراج المنير ١ / ٢٦٠ .
- (٥) سنن الترمذى ٥ / ٢٣٠ في كتاب التفسير ، سنن أبى داود ٤ / ٣١ ، وابن جرير ٤ / ١٥٥ .

عنه على بن المديني سمعت يحيى بن سعيد يقول : كنا تلك الأيام نجتنب حديث خصيف ، وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل : خصيف الجزري ضعيف الحديث (١) .

أما الأقوال الأخرى ، فليس لها سند متصل ، هذا وقد جاء في مجمع الزوائد أن الطبراني روى سبباً آخر ورجاله ثقات قال :

« وعن ابن عباس قال : بعث النبي ﷺ جيشاً فردت رايته ثم بعث فردت ثم بعث فردت بغلول رأس غزال من ذهب .

فنزلت ﴿ وما كان لنبي أن يغفل ﴾ (٢) . قال السيوطي في اللباب : أخرجه الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات (٣) .

والذي رواه الطبراني هو أرجح ما قيل في سبب النزول والله أعلم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحمل لكم أن تترثوا النساء كرهاً ﴾ (٤) الآية قال الخطيب : (نزلت في أهل المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وله امرأة وللرجل عصبية وألقى ثوبه على امرأة الميت أو على خبائها صار أحق بها من نفسها ومن غيره ، ثم إن شاء تزوجها بصدقتها الأول ، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقتها وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج ، يضارها لتفتدى منه بما ورثته من الميت ، أو تموت هي فيرثها ، فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها عصبية الميت

(١) الجرح والتعديل ٣ / ٤٠٣ .

(٢) مجمع الزوائد ٦ / ٣٢٨ للهشمي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ بيروت .

(٣) لباب النقول في أسباب النزول ص ٥٩ ، دار إحياء العلوم - الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ

بيروت .

(٤) سورة النساء الآية ١٩ .

ثوبه فهي أحق بنفسها ، وكانوا على هذا حتى توفي أبو قيس ^(١) بن الأسلت الأنصاري ، وترك امرأته ، فقام ابن له من غيرها فطرح ثوبه عليها ، فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدى منه فأتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إن أبا قيس توفي ، وورث نكاحي ابنه ، فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي ولا يحل سبيلي ، فقال لها رسول الله ﷺ اقعدى في بيتك حتى يأتي أمر الله فأنزل الله تعالى هذه الآية ^(٢) .

قال السيوطي في اللباب (لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية فأنزل الله ﷻ لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ^(٣) .

وقال عنه سنده جيد وكذا الحافظ في الفتح ^(٤) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ ^(٥) الآية .

قال الخطيب الشربيني : (فعن عبد الله بن مسعود قال : بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض : اسألوه عن الروح وقال بعضهم لاتسألوه لا يجيء بشيء تكرهونه ، فقال بعضهم لنسألن فقام رجل منهم فقال : يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت إنه يوحى إليه فقلت فلما انجلي عنه قال : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا

(١) أبو قيس بن الأسلت ، قال الحافظ في الإصابة مختلف في اسمه وفي إسلامه ، فقيل عبد الله ، وقيل صيفي ، وقيل غير ذلك ، وتوفي على رأس الشهر العاشر من الهجرة ، الإصابة ١١ / ٣٠٩ .

(٢) السراج المنير ١ / .

(٣) سورة النساء الآية ١٩ ، اللباب ص ٦٥ وابن جرير ٤ / ٣٠٥ .

(٤) انظر فتح الباري ٨ / ٢٤٧ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

قليلاً ﴿^(١)﴾ قال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه ^(٢).

وقد روى هذا الإمام البخارى وغيره من أصحاب السنن قال :
(حدثنا قيس بن حفص قال حدثنا عبد الواحد قال : حدثنا الأعمش سليمان
عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : بينما أنا أمشى مع النبي ﷺ في
ضرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم
لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه لا يجيء بشيء
تكرهونه ^(٣) الحديث .

* وفي قوله تعالى ﴿ الزانى لا ينكح إلا زانية ﴾ ^(٤) الآية .

قال الخطيب رحمه الله (روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
قال : كان رجل يقال له مرثد بن أبى مرثد الغنوى ^(٥) ، وكان يحمل
الأسارى من مكة حتى يأتى بهم المدينة ، وكانت بمكة بغى يقال لها : عناق ،
وكانت صديقة له فى الجاهلية ، فلما أتى مكة دعتة عناق إلى نفسها فقال
مرثد : إن الله حرم الزنا ، فقالت : فانكحنى ، فقال : حتى أسأل
رسول الله ﷺ قال : فأتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله أنكح عناقاً ؟
فأمسك رسول الله ﷺ ولم يرد على فنزل ﴿ الزانى لا ينكح إلا زانية أو
مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ﴾ فدعانى رسول الله ﷺ
وقراها على وقال : لا تنكحها ^(٦) .

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٣٣٢ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير ٥ / ٢٢٨ ورواه ابن جرير الطبرى ١٥ / ١٥٥ .

(٤) سورة النور الآية ٣ .

(٥) مرثد بن كنان بن حصن الغنوى صحابى جليل ، من المهاجرين ، شهد بدرأً وأحدأً
وتوفى شهيدأً فى غزوة الرجيع ، انظر الاستيعاب فى هامش الإصابة ١٠ / ٦٠ .

(٦) السراج المنير ٢ / ٥٩٨ .

وذكر كذلك سبباً آخر عن عكرمة : أن نساء في مكة وفي المدينة
لهن رايات يعرفن بهن ، منهن جارية تسمى أم مهزول أراد رجل أن يتزوجها
فاستأذن النبي ﷺ ، فاشتترط أن تنفق عليه فنزلت هذه الآية .
السبب الأول الذى ذكره الخطيب أخرجه أبو داود وابن جرير وهو
صحيح وكذلك أخرجه الترمذى وقال عنه حسن غريب (١) .
* وقال الخطيب : « ونزل في حرصه ﷺ على إيمان عمه أبى طالب ﴿ إنك
لا تهدى من أحبيت ﴾ (٢) الآية .

ثم قال : وفي مسلم عن أبى هريرة أن النبي ﷺ أمره بالتوحيد فقال
له : لولا أن تعيرنى قريش تقول : إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها
عينك فأنزل الله تعالى الآية (٣) .

* وذكر فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وإن جاهدك على أن تشرك بى
ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ (٤) الآية .

ذكر أنها نزلت فى سعد بن أبى وقاص الزهرى وأمه ، روى أنها لما
سمعت بإسلامه قالت له : ياسعد بلغنى أنك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف
بيت من الضح - وهو بكسر الضاد المعجمة وبجاء مهملة الشمس والريح -
وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب أولادها إليها ،
فأبى سعد ولبثت ثلاثة أيام لا تنتقل من الضح ولا تأكل الطعام ولا تشرب ، فلم
يطعها سعد بل قال : والله لو كانت لك مائة نفس تخرج نفساً نفساً ما كفرت
بمحمد ﷺ ، ثم جاء سعد إلى النبي ﷺ وشكا إليه فنزلت هذه الآية (٥) .

(١) سنن أبى داود ٢ / ٢٢٠ وسنن الترمذى ٥ / ٣٢٨ وابن جرير ١٨ / ٧١ .

(٢) سورة القصص الآية ٥٦ .

(٣) رواه مسلم ١ / ٥٤ فى كتاب الإيمان .

(٤) سورة العنكبوت الآية ٨ .

(٥) السراج المنير ٣ / ١٢٦ ، والحديث أخرجه مسلم ٤ / ١٨٧٧ فى فضائل الصحابة
وإبن جرير ١٩ / ١٣١ والترمذى ٥ / ٣٤١ .

وكذلك أورد سبباً آخر فقال : وروى أنها نزلت في عياش بن أبى ربيعة الخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل والحُرث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخزومة ، فنزلا بعياش ، وقال له : إن من دين محمد صلة الأرحام ، وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تأكل ولا تشرب ، ولا تأوى بيتاً حتى تراك وهى أشد حباً لك منا ، فاستشار عمر فقال : هما يخذعانك ، ولك على أن أقسم مالى بينى وبينك ، فمازالا به حتى أطاعهما وعصا عمر ، فقال عمر أما إذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منهما ريب فارجع ، فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل : إن ناقتى قد كلت فاحملنى معك قال نعم ، فنزل ليوطىء لنفسه وله ، فأخذه وشده وأوثقه ، وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به إلى أمه ، فقالت : لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت الآية^(١) .

والخطيب رحمه الله أورد هنا سببين لنزول الآية ، أما السبب الأول فقد روى فى الصحيح وغيره ، وأما السبب الثانى فلم أجد له سنداً فى المراجع التى رجعت إليها ، وقد ذكره القرطبى فى تفسيره^(٢) عن ابن عباس من غير سند وكذلك أوردته ابن عبد البر فى الاستيعاب^(٣) من غير سند أيضاً فى ترجمة عياش بن ربيعة والله أعلم .

* وفى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾^(٤) الآية .

(١) السراج المنير ٣ / ١٢٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٣٢٨ .

(٣) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب مطبوع مع الإصابة ٩ / ٦٤ .

(٤) سورة الأحزاب الآية ٥٣ .

قال : (قال أكثر المفسرين : نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب حين بناها رسول الله ﷺ لما روى ابن شهاب قال : أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين فقدم رسول الله ﷺ المدينة قال : فكانت أمهاتي يوطئني على خدمة النبي ﷺ فخدمته عشر سنين وتوفى وأنا ابن عشرين سنة ، فكننت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل ، وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش ، أصبح النبي ﷺ بها عروساً فدعا القوم وأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي ﷺ فأطالوا المكث فقام النبي ﷺ وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا ، فمشى النبي ﷺ ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة رضي الله عنها ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا ، فرجع النبي ﷺ ورجعت معه حتى إذا بلغ حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر ونزلت آية الحجاب)^(١) .

وذكر أيضاً سبباً آخر فقال : (وروى ابن عباس : أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون ، وكان رسول الله ﷺ يتأذى منهم فنزلت الآية)^(٢) .

كما روى الإمام مسلم وغيره سبباً آخر فقال من حديث عائشة إن أزواج رسول الله ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع . وهو صعيد أفيح . وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله ﷺ : أحجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ

(١) رواه البخارى ٦ / ٢٤٦ ، ٢٥ ، وابن جرير ٢٢ / ٣٩ .

(٢) ذكره السيوطى في اللباب من غير سند ص ١٧٨ .

ليلة من الليالي عشاء ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر : ألا قد عرفناك ياسودة ، حرصاً على أن ينزل الحجاب ، قالت عائشة : فأنزل الله عز وجل الحجاب»^(١) .
وأورد السيوطي في اللباب أن الطبراني أخرج بسند صحيح عن عائشة
قالت : « كنت آكل مع النبي ﷺ في قعب ، فمر عمر فدعاه فأكل
فأصابت أصبعه أصبعي فقال : أوه لو أطاع فيكن ما رأته عينا ، فنزلت
آية الحجاب »^(٢) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد : (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله
رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة)^(٣) .

يظهر مما سبق أن هناك عدة روايات صحيحة في سبب النزول ، وأن
تلك الروايات مختلفة ، وأن نزول الآية في شأن وليمة زواجه ﷺ من زينب
لما تأخر عنده النفر الثلاثة ، وقد جمع بين هذه الروايات الحافظ في الفتح
فقال : (وطريق الجمع بينها أن أسباب نزول الحجاب تعددت ، وكانت قصة
زينب آخرها للنص على قصتها في الآية)^(٤) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات ﴾^(٥)
الآيات .

ذكر الخطيب الشرييني رحمه الله ثلاثة أسباب لنزول الآية فقال :
(قال ابن عباس رضى الله عنهما : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى
بنى النضير^(٦) وأمر عليهم عتبة بن حصن الفزاري ، فلما علموا هربوا

(١) صحيح مسلم ٤ / ١٧١٠ في كتاب السلام .

(٢) اللباب ص ١٧٨ .

(٣) مجمع الزوائد ٧ / ٩٣ .

(٤) فتح الباري ١ / ٢٤٩ .

(٥) سورة الحجرات الآية ٤ ، ٥ .

(٦) عند البغوي والخازن والقرطبي وبنو العنبر .

وتركوا عيالهم فسباهم عتبه وقدّم بهم على رسول الله ﷺ ، فجاءهم بعد ذلك رجالهم يفتدون الذراري ، فقدموا وقت الظهر ووافقوا رسول الله ﷺ قائلاً في أهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا إلى آبائهم ليكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله ﷺ حجرة فجعّلوا أن يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فجعلوا ينادون : يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد فادنا عيالنا ، فنزل جبريل عليه السلام فقال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً فقال لهم رسول الله ﷺ : أترضون أن يكون بيني وبينكم شبرمة بن عمرو ، وهو على دينكم فقالوا نعم ، فقال شبرمة : أنا لا أحكم بينهم وعمى شاهد - وهو الأعور بن بشامة - فرضوا به ، فقال الأعور ، أرى أن تفادي نصفهم وتعق نصفهم ، فقال رسول الله ﷺ : قد رضيت ، نفادي نصفهم وأعتق نصفهم فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾^(١) الآيات .

وذكر سبباً آخر فقال : (وقال قتادة نزلت في ناس من أعراب تميم جاءوا إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب اخرج إلينا يا محمد فإن مدحنا زين وذمنا شين ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وهو يقول : : إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين ، فقال : نحن ناس من بنى تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاحرك ، فقال رسول الله ﷺ ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت .. إلخ)^(٢) .

وأورد رواية أخرى في سبب النزول فقال : (وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب إلى رسول الله ﷺ فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به وإن يكن ملكاً نعش في جناحه فجعّلوا ينادون من وراء الحجرات يا محمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن

(١) انظر السراج المنير ٤ / ٦٢ .

(٢) السراج المنير ٤ / ٦٣ .

الذين ينادونك ﴿١﴾ الآية .

أما السبب الأول فذكره البغوى والخازن والقرطبى عن ابن عباس بلا سند^(٢) وأما السبب الآخر الذى يقول : إنها نزلت فى أعراب بنى تميم فرواه الطبرى عن قتادة مرسلأ ، وأخرج عن الحسن نحوه^(٣) .

وأخرج الترمذى من حديث البراء قال (فقام رجل فقال : يا رسول الله إن حمدى زين وإن ذمى شين ، فقال النبى ﷺ : ذاك الله)^(٤) قال الترمذى عن هذا الحديث : حسن غريب ، قال فى مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبرانى ، وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع وإلا فهو مرسل كإسناد أحمد الآخر^(٥) .

قال الشيخ أحمد البنا فى الفتح الربانى (قلت : قال الحافظ فى الإصابة وقع فى رواية ابن جرير التصريح بسماع أبى سلمة من الأقرع)^(٦) .

يعنى ما رواه ابن جرير قال : (حدثنا الحسن بن أبى يحيى المقدمى ، قال : حدثنا عفان ، قال : حدثنا وهب ، قال : حدثنا موسى بن عقبة عن أبى سلمة ، قال : حدثنى الأقرع بن حابس التميمى)^(٧) الحديث . وعليه فقد صح الحديث بثبوت سماع أبى سلمة من الأقرع .
وأما رواية زيد بن أرقم فقد ذكرها الإمام الطبرى^(٨) والطبرانى كما

-
- (١) السراج المنير ٤ / ٦٣ .
 - (٢) انظر معالم التنزيل بهامش الخازن ٦ / ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وانظر القرطبى ١٦ / ٣١١ .
 - (٣) انظر جامع البيان ٢٦ / ١٢٢ .
 - (٤) سنن الترمذى ٥ / ٣٨٨ .
 - (٥) مجمع الزوائد ٧ / ١٠٨ .
 - (٦) الفتح الربانى ١٨ / ٢٨١ .
 - (٧) جامع البيان ٢٦ / ١٢٢ .
 - (٨) المصدر نفسه ٢٦ / ١٢١ .

جاء في مجمع الزوائد (وفيه داود بن راشد الطفاوى وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين)^(١) ، وجاء في التقريب في ترجمة داود بن راشد الطفاوى (داود ابن راشد الطفاوى أبو بحر الكرمانى لين الحديث)^(٢) .

* وفى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾^(٣) .
ذكر الخطيب الشربيني أنها نزلت فى أبى جهل عندما نهى النبى ﷺ عن الصلاة ، قال (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقالوا نعم فقال : واللات والعزى لئن رأيت يفعلى ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب ، قال فأتى رسول الله ﷺ ، وهو يصلى ليطأ على رقبته فنكص على عقبه وهو يتقى بيده فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بينى وبينه خندقاً من النار وهولاً وأجنحة فقال رسول الله ﷺ : لو دنا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً . فأنزل الله هذه الآية)^(٤) .

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة خشية التطويل ، ولعل ما سبق من أمثلة يوضح لنا منهج الخطيب الشربيني رحمه الله وموقفه من أسباب النزول ، فإنه رحمه الله يذكر لبعض الآيات سبباً واحداً ويذكر لبعضها سببين أو ثلاثة ، ويطلق فى بعضها ، وإذا ذكر أكثر من سبب لنزول الآية فإنه يطلق الأقوال فلا يبين الصحيح من الضعيف ولا المقبول من المردود مع ظهور تعارض بعضها واختلاف الأراء ، فيكتفى بذكرها من غير تعليق أو تعقيب .

* * *

-
- (١) مجمع الزوائد ٧ / ١٠٨ .
 - (٢) تقريب التهذيب ١ / ٢٣١ .
 - (٣) سورة العلق الآية ٩ ، ١٠ .
 - (٤) أخرجه مسلم ٤ / ٢٥١٤ فى كتاب صفات المنافقين ، وأخرجه أيضاً ابن جرير الطبرى ٣ / ٢٥٤ .

• المبحث الثالث: الأحرف السبعة والقراءات السبع والمكي والمدني:

اختلف أهل العلم في بيان المعنى بالأحرف السبعة ، قال مكي القيسي في كتاب الإبانة : (والذي نعتده في ذلك وهو الصواب إن شاء الله أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هي لغات متفرقة في القرآن . معان في ألفاظ تسمع في القراءة ، مختلفة في السمع متفقة في المعنى ، ومختلفة في السمع وفي المعنى نحو تبديل كلمة في موضع كلمة ، وصورة الخط متفقة أو مختلفة نحو : (يسيركم وينشركم) ونحو (صيحة وزقية) . وزيادة كلمة ونقص أخرى ، وزيادة حرف ونقص آخر ، وتغيير حركات في موضع حركات أخرى وإسكان حركات وتشديد وتخفيف ، وتقديم وتأخير ، وشبه ذلك مما يسمع ويميز بالسمع^(١) .

فالأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع ، والخطيب الشرييني رحمه الله لم يتعرض لمسألة الأحرف السبعة بالبحث وعليه فلا حاجة إلى الإطالة في هذا الموضوع طالما أنه ليس للخطيب رأى فيه ، وأما القراءات السبع فهي منسوبة إلى القراء السبعة الذين مر ذكرهم في الفصل الثاني من هذا الباب . وقد ذكرنا هنالك منهج الخطيب فيها وأنه اهتم بالقراءات السبع واقتصر عليها ، واهتمامه بها هو جزء من اهتمامه بعلوم القرآن في تفسيره .

* المكي والمدني :

اهتم العلماء بدراسة المكي والمدني ، والقرآن المكي منسوب إلى محل نزوله بمكة المكرمة ، والقرآن المدني منسوب إلى محل نزوله بالمدينة المنورة ، وفي تحديد المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات ، باعتبار الزمان والمكان

(١) الإبانة عن معاني القراءات ص ٥٣ .

والخطاب ، ونقتصر على أرجحها وهو اصطلاح من اعتبر الزمان فقال : إن كل ما نزل قبل الهجرة فهو مكى سواء نزل بمكة أو في غيرها ، والمدنى : ما نزل بعد الهجرة سواء نزل في المدينة أو في الطريق أو في الغزوات أو في أى مكان .

وهذا التعريف هو أظهر التعاريف لسلامته من المعارضة .
حدد الخطيب الشربيني في بداية كل سورة نوعها ، مكية أو مدنية وما في المكى من الآيات المدنية ، وما في المدنية من الآيات المكية ، وهناك بعض السور أشار إلى الخلاف فيها من غير ترجيح .
والسور المكية التى أشار إلى أنها خالصة كثيرة منها : مريم ، طه والأنبياء وص وفصلت والشورى والزخرف ونوح والجن والمدثر والغاشية وغيرها .

وأما السور المدنية الخالصة فخمسة عشرة سورة هى :
البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحشر والممتحنة والجمعة والمنافقون والطلاق والتحريم والنصر .
والسور التى أشار إلى الخلاف فيها هل هى مكية أو مدنية فعده سورة منها : الرعد والحديد والإنسان والفجر وغيرها .

وهناك سور مكية فيها آيات مدنية ذكرها الخطيب الشربيني وبين عدد الآيات المدنية فى السورة المكية مثل سورة الأنعام فيها ست آيات مدنية ، وسورة الأعراف فيها ثمان آيات مدنية ، وسورة هود مكية إلا ثلاث آيات ، وسورة الإسراء مكية إلا ثمان آيات ، وسورة الشعراء إلا أربع آيات ، وسورة العنكبوت إلا عشر آيات ، وسورة إبراهيم إلا اثنتين وغير ذلك من السور المكية التى تضمنت آيات مدنية .

وهناك سور مدنية فيها آيات مكية فمثلا سورة الأنفال مدنية إلا سبع

آيات ، وسورة التوبة مدنية إلا آيتين ، وسورة التغابن إلا آيتين وغير ذلك .
والخطيب رحمه الله اعتمد في تحديد المكي والمدني على المأثور عن
الصحابة والتابعين في غالب ذلك ، وفي بعض السور يطلق الأمر من غير
أن يذكر المصدر في ذلك أو الراجح من الأراء ، وقد يذكر أحياناً ما يراه
راجحاً في المسألة ، فمثلاً في سورة الفاتحة ذكر الخلاف في مكيتها ومدنيتها ،
ورجح القول بمدنيتها ، ونقل ذلك عن البغوي والبيضاوي فقال :
(وهي مكية على قول الأكثر ، وقال مجاهد : مدنية ، وقيل : نزلت
مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ،
ولذلك سميت مثاني ، قال البغوي : والأول أصح ، وقال البيضاوي : وقد
صح أنها مكية بقوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾^(١) وهو
مكي بالنص ، قال الخطيب : وأراد بالنص السنة فقد ثبت ذلك عن ابن
عباس وقول الصحابي في القرآن خصوصاً في النزول له حكم
المرفوع^(٢) .

* * *

(١) سورة الحجر الآية ٨٧ .

(٢) السراج المنير ١ / ٤ .

• المبحث الرابع : النسخ في القرآن :

إن معرفة الناسخ والمنسوخ ، من الأمور الهامة ، التي ينبغي لمن يفسر القرآن ، ويتصدى لبيان كلام الله أن يعرفها ، ولهذا اهتم به علماء المسلمين ، فبحثوه في التفسير ، وعلوم القرآن ، وأصول الفقه وغيرها ، لأن معرفته يترتب عليها أحكام شرعية هامة .

ومن معاني النسخ الإزالة والتغيير ، والإبطال ، وتحويل شيء من مكان إلى آخر ، وفي القاموس : نسخه أزاله وغيره وأبطله ، وأقام شيئاً مقامه ، والكتاب : كتبه عن معارضه ^(١) .

وقال القاضي أبو يعلى : (حقيقة النسخ الرفع والإزالة) ^(٢) .
والنسخ في اصطلاح أهل الشرع هو : رفع حكم شرعى ثابت بخطاب متقدم ، بخطاب متأخر عنه ^(٣) .

والنسخ من المسائل الهامة التي اعتنى بها المفسرون اعتناء كبيراً حتى أنه قيل : أول ما ينبغي أن يتعلمه المفسر للقرآن ، الابتداء في علم الناسخ والمنسوخ ، ولذلك عد تعلمه من شروط المفسر ومتممات الاجتهاد ^(٤) .
- والخطيب الشربيني رحمه الله من المثبتين للنسخ في القرآن فقد ذكر معنى النسخ والمراد به .

- (١) انظر ترتيب القاموس باب النون مادة نسخ .
- (٢) انظر العدة في أصول الفقه ٣ / ٧٦٨ للقاضي أبي يعلى ، تحقيق د / أحمد المباركى ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ .
- (٣) انظر روضة الناظر لابن قدامة ٢ / ٦٩ ، تحقيق د / عبد العزيز السعيد الطبعة الثانية - ١٣٩٩ هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .
- (٤) انظر الإتقان ٢ / ٢٧ ، ٢٣٢ .

* وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾^(١) .

قال : (ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا : إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ، ويأمرهم بخلافه ، ما يقوله إلا من تلقاء نفسه ، يقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ، ثم قال : نزل ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ فيين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية ، فقال : والنسخ في اللغة شيئان : أحدهما : بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ .

والثاني : بمعنى الرفع ، يقال : نسخت الشمس الظل ، أى ذهبت به وأبطلته فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً وهو المراد من الآية ، وهذا على وجوه : أحدها : أن تثبت التلاوة وينسخ الحكم كآية الوصية للأقارب ، وآية عدة الوفاة بالحول .

الثاني : أن ترفع التلاوة ويبقى الحكم كآية الرجم .

الثالث : أن يرفع الحكم والتلاوة كما روى أن قوماً من الصحابة قاموا ليلة ليقرأوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا إلى النبي ﷺ فأخبروه ، فقال ﷺ : « تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها »^(٢) ، وقيل : كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوة وحكماً .

ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة ، نسخت

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦ .

(٢) لم أعثر عليه في المصادر التي رجعت إليها .

من بيت المقدس إلى الكعبة ، والوصية للأقارب ، نسخت بالميراث ، وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر ، ومصابرة الواحد للعشرة بمصابرة للثنتين ، قال البغوي : والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الإخبار .

- ثم عرف النسخ في الاصطلاح فقال : (والنسخ اصطلاحاً : رفع تعلق حكم شرعى بدليل شرعى . ثم ذكر الفرق بين النسخ والتخصيص فقال : ويفارق التخصيص : بأن التخصيص لا يرد إلا على متعدد وبأنه غير مشروط بالنص بخلاف النسخ فيها ، وبأنه يفيد عدم إرادة المخرج في الأصل ، والنسخ يفيد إرادة المنسوخ في الأصل ، ثم قال : والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الإنزال ، ثم قال : وذلك أن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلاً من الله ورحمة ، وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش فإن النافع في عصر قد يضر في غيره ، واحتج بها من منع النسخ بلا بدل أو يبدل أثقل ، ومن منع نسخ الكتاب بالسنة ، فإن الناسخ هو المأتي به بدلاً ، والسنة ليست كذلك ، قال البيضاوى : والكل ضعيف إذ قد يكون عدم الحكم والأثقل أصلح ، والنسخ قد يعرف بغيره ، والسنة ما أتى به الله ^(١) .

يتضح مما سبق موقف الخطيب الشربيني رحمه الله من النسخ في القرآن وأنه يقول بما قال به المسلمون من وقوع النسخ في القرآن إلا من شذ منهم ^(٢) ، وقد بين رحمه الله معنى النسخ لغة واصطلاحاً ، ثم أورد قول البغوي : إن النسخ لا يقع على الأخبار وإنما يقع في الأوامر والنواهي ، وبين بعض الفروق بين النسخ والتخصيص ، وقال : إن هذه الآية نص على جواز النسخ .

(١) السراج المنير ١ / ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) وهو أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني ، كان متكلماً جديلاً على مذهب المعتزلة ،

انظر طبقات المفسرين ٢ / ١٠٦ .

وإليك بعض الأمثلة التي تبين منهجه في بعض الآيات التي وقع فيها نسخ أو ما رجح هو أن يكون فيها نسخ .

* ففي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾^(١) الآية . قال : (أى واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم وقال ابن مسعود : بأن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى ، وروى مرفوعاً ، لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة رضى الله عنهم يارسول الله : من يقوى على هذا ؟ فنسخ بقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، وقال مقاتل : ليس في القرآن منسوخ إلا هذه الآية^(٢) . * وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ ﴾^(٣) الآية .

بين رحمه الله أن الحكم الذى فى الآية نسخ بالحد واستشهد له من السنة فقال : (روى ابن مسعود عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى^(٤) أنهما أخبراه : أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله وائذن لى أن أتكلم فقال: إن ابنى كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته فأخبرونى أن على ابنى الرجم ، فافتديت منه بمئة شاة وبجارية لى ، ثم إبنى سألت أهل العلم فأخبرونى أن ما على ابنى جلد مئة وتغريب سنة وإنما الرجم على امرأته فقال رسول الله ﷺ :

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .

(٢) السراج المنير ١ / ٢٣٦ سورة التغابن الآية ١٦ .

(٣) سورة النساء الآية ١٥ .

(٤) زيد بن خالد الجهنى ، وهو صحابى جليل شهد الحديبية والفتح توفى سنة ٧٨ هـ

وقيل ٦٨ ، انظر الإصابة ٢ / ٥٢ .

« والذى نفسى بيده لأقضى بينكما بكتاب الله ، أما غمك وجاريتك فرد عليك » وجلد ابنه مئة وغربه عاماً ، قال : أى لأنه كان غير محصن وأمر أنيساً الأسلمى أن يأتى امرأة الآخر فإن اعترفت رجمها فاعترفت فرجمها^(١) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ﴾^(٢) الآية .

بين رحمه الله أن الأولوية التى فى الآية هى أولوية التوارث ، ثم نسخ الحكم بعد ذلك ، قال رحمه الله (أى فى التوارث ثم نسخ ، لما كان فى صدر الإسلام فإنهم كانوا فيه يتوارثون بالحلف والنصرة فيقول : ذمتى ذمتك ، ترثنى وأرثك ، ثم نسخ بالإسلام والهجرة ، ثم نسخ بآية الموارث ، وبالآية التى فى آخر الأنفال وأعادها تأكيداً ، فإن آية الموارث مقدمة ترتيباً ونزولاً على آية الأنفال ، وآية الأنفال على هذه كذلك)^(٣) .

قال ابن كثير فى تفسيره عن هذه الآية : (أى القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار ، وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التى كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجرى يرث الأنصارى دون قراباته وذوى رحمه للأخوة التى آخى بينهما رسول الله ﷺ وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف)^(٤) .

(١) السراج المنير ١ / ٢٨٨ ، والحديث أخرجه البخارى ٨ / ٢٨٠ ، فى كتاب الحدود

ومسلم ٣ / ١٣٢٤ ، فى كتاب الحدود والترمذى ٤ / ٤٩ ، فى الحدود ، والدارمى

٢ / ١٧٧ ، فى كتاب الحدود ومالك فى الموطأ ص ٥٩١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦ .

(٣) السراج المنير ٣ / ٢٢٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٦٨ .

وذكر ابن العربي في الأحكام أن الله سبحانه وتعالى بين (أن القرابة أولى من الحلف ، فتركت الموارثة بالحلف ، وورثوا بالقرابة)^(١) .
 فأية الأحزاب قيدت آية الأنفال^(٢) ، وذلك أن آية الأحزاب بعد الخندق وآية الأنفال بعد بدر ، وكذلك آية الأنفال ذكرت الأولوية بعد قطع الموالاة بين المؤمنين والكفار ، وآية الأنفال والأحزاب تفسران ما أطلقت آية الموارث في النساء^(٣) ، والله أعلم .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيت الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾^(٤) الآية .

ذكر الخطيب الخلاف في مدة العمل بهذه الآية قبل النسخ فقال :
 (وعن علي أنه قال : لما نزلت دعاني رسول الله ﷺ فقال : ما تقول في دينار ، قلت : لا يطيقونه ، قال : كم ، قلت : حبة أو شعيرة ، قال : إنك لزهيد ، فلما رأوا ذلك اشتد عليهم ، فارتدعوا ، أما الفقير فلعسرته ، وأما الغنى فلشحته ، واختلف في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الآية ، فقال الكلبي : بقي ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ ، لما روى عن علي أنه قال : إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم ، وفي رواية عنه ، فاشترت به عشرة دراهم ، وكلما ناجيت النبي ﷺ ، قدمت بين يدي نجواي درهماً ، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد)^(٥) .

(١) أحكام القرآن ٣ / ١٥٠٨ .

(٢) آية الأنفال هي : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ الآية ٧٤ .

(٣) هي قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾ الآية ١١ ، ١٢ .

(٤) سورة المجادلة الآية ١٢ ، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٥ / ٤٤٣ .

(٥) السراج المنير ٤ / ٢٣٢ .

والحديث رواه الترمذى من حديث على بن أبى طالب قال : (لما نزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ ، قال لى النبى ﷺ : ما ترى ؟ ديناراً ، قال : لا يطيقونه ، قال : فنصف دينار قلت : لا يطيقونه ، قال : فكم ؟ قلت : شعيرة ، قال : إنك لزهيد ، قال : فنزلت ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ﴾ الآية ، قال : فبى خفف الله عن هذه الأمة)^(١) .

قال الترمذى : حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه .

وفى سنده سفيان بن وكيع الجراح قال فى الخلاصة : (قال البخارى يتكلمون فيه)^(٢) .

وقال ابن أبى حاتم : (سألت أبا زرعة عنه فقال : لا تشتغل به ، قلت له كان يتهم بالكذب ، قال نعم ، وقال أيضا سئل أبى عنه فقال : لين)^(٣) .

وهو وإن كان صدوقاً إلا أن وراقه أفسد حديثه فترك ، قال الحافظ فى التقريب : (كان صدوقاً إلا أنه ابتلى بوراقه ، فأدخل عليه من حديثه ، فنصح فلم يقبل ، فسقط حديثه)^(٤) .

وذكره الهيثمى فى المجمع من حديث سعد بن أبى وقاص وقال : (رواه الطبرانى فى حديث طويل وفيه سلمة بن الفضل الأبرشى ، وثقه ابن معين وغيره وضعفه البخارى وغيره)^(٥) . قال الحافظ فى التقريب :

(١) سنن الترمذى ٥ / ٤٠٦ وأخرجه أيضا الطبرى ٢٨ / ٢١ ، وهو ضعيف .

(٢) خلاصة تذهيب الكمال ص ١٤٦ .

(٣) الجرح والتعديل ٤ / ٢٣١ .

(٤) تقريب التهذيب ١ / ٣١٢ .

(٥) مجمع الزوائد ٧ / ١٢٢ وفيه ضعف .

(صدوق كثير الخطأ)^(١) . وفي الخلاصة : (وثقه ابن معين ، وقال البخارى : له مناكير)^(٢) وقال ابن ابي حاتم فى الجرح والتعديل : (سمعت ابي يقول : سلمة بن الفضل ، صالح محله الصدق ، فى حديثه إنكار ، ليس بالقوى لا يمكن أن أطلق لسانى فيه بأكثر من هذا ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال أيضاً : سمعت ابي يقول : قال على بن المدينى : ما خرجنا من الرى حتى رمينا بحديث سلمة)^(٣) .

- تبين أن الخطيب الشربينى يقول بالنسخ وأنه يذكر فى تفسيره الناسخ عندما يفسر الآية المنسوخة ، وأحياناً يستشهد على النسخ بما ثبت بالسنة .

* * *

(١) تقريب التهذيب ١ / ٣١٨ .

(٢) خلاصة تذهيب الكمال ص ١٤٩ .

(٣) الجرح والتعديل ٤ / ١٦٨ .

● المبحث الخامس : إعجاز القرآن :

تكلم العلماء والمفسرون عن إعجاز القرآن الكريم والتحدى به للعرب الفصحاء ، وقد وضع التحدى على ثلاث درجات ، واختلف في ترتيبها والراجع الذى عليه جمهور العلماء ما يلى : -

١- بمثل القرآن كله ، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾^(١) .

وفى قوله تعالى : ﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾^(٢) .

٢- بعشر سور ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾^(٣) .

٣- بسورة واحدة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾^(٤) . وفى قوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾^(٥) .

(١) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

(٢) سورة الطور الآية ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) سورة هود الآية ١٣ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٥) سورة يونس الآية ٣٨ .

وعلى هذا يكون المقدار المعجز من القرآن هو مقدار أصغر سورة وهى
سورة الكوثر ، والله أعلم^(١) .

وقد بحث العلماء وجه إعجاز القرآن فعدوا وجوهاً كثيرة ، كل على
حسب ما ظهر له ، فمنهم من قال : إن إعجازه بما فيه من الإخبار عن
الغيب ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، ومنهم من قال : إن إعجازه يتمثل فيه
من حسن النظم والتأليف ، وخروجه على ما اعتادته العرب فى كلامها ،
ومنهم من قال : مجيئه بأفصح الألفاظ مع تضمن أصح المعانى ، وقيل : إنه
معجز لما يفعله فى القلوب والنفوس عند قراءته أو سماعه ، وقيل : إنه معجز
لجمعه العلوم والمعارف التى لم يجمعها كتاب من الكتب ، ولا أحاط بعلمها
أحد ، فى كلمات قليلة ، وأحرف معدودة ، مع وفائه بحاجات البشر من
حيث إصلاح العقائد ، والعبادات والأخلاق^(٢) .

وقيل إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من أقوال ، لا بكل واحد منها
بل إنه اشتمل على جميع السابق وغيره مما لم يسبق^(٣) .
تكلم الخطيب الشربيني عن الإعجاز فى مقدمة تفسيره ، وعند شرحه
لآيات التحدى ، فقال فى المقدمة عن القرآن الكريم : (فهو كلام معجز
فى رقائق منطوقه ودقائق مفهومه ، وأنه لا نهاية لأسرار علومه^(٤) .

(١) انظر : فكرة إعجاز القرآن ص ٢٠ لنعيم الحمصى ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة
الثانية ١٤٠٠ هـ وانظر أيضا : إعجاز القرآن للبلقلافي ص ٣٣ تحقيق السيد أحمد
صقر الطبعة الخامسة - دار المعارف القاهرة .

(٢) انظر اللآلئ الحسان فى علوم القرآن ص ٢٢٣ ، للدكتور / موسى شاهين لاشين
مطبعة الفجر الجديد - القاهرة ١٩٨٢ م .

(٣) انظر : البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١٠٦ / ٢ .

(٤) السراج المنير ١ / ٢ .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ... ﴾^(١) الآية .

قال : (أى بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم) ، وذكر احتمالاً آخر وهو : أن تكون مماثلة للنبي ﷺ في الأمية) قال : (أى بسورة كائنة ممن هو على حاله ، من كونه بشراً أمياً لم يقرأ الكتب ، ولم يتعلم العلوم) ، ثم رجح القول الأول وبين سبب الترجيح فقال : (والوجه الأول أولى ، لأنه المطابق لقوله تعالى في سورة يونس : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ... ﴾^(٢) الآية ولسائر آيات التحدى ، ولأن الكلام في المنزل ، لا في المنزل عليه ، فحقه ألا ينفك عنه)^(٣) .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ... ﴾^(٤) الآية .

قال : (جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس علم الأصول ، ودقائق علم الأحكام ، ولطائف علم الأخلاق ، وأسرار قصص الأولين ، وعجز عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء ، وكل من له عقل سليم ، فإنه يعرف أن مثل هذا لا يحصل إلا بالوحي والإلهام من الله تعالى)^(٥) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾^(٦) الآية .

(١) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٢) سورة يونس الآية ٣٨ .

(٣) السراج المنير ١ / ٣٥ .

(٤) سورة يونس الآية ١٦ .

(٥) السراج المنير ٢ / ١٠ .

(٦) سورة هود الآية ٣٧ .

قال الخطيب في تعليقه على الآية : (... فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزله على نبيه ﷺ ، وأنه معجزة له ، فإنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يجتمع بأحد من العلماء ، ثم إنه ﷺ أتى بهذا القرآن العظيم المعجز ، وفيه أخبار الأولين ، وقصص الماضين)^(١) .

* وقال عند قوله تعالى : ﴿ قل فأتوا بسورة مثله ... ﴾^(٢) الآية : (في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم)^(٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ... ﴾^(٤) الآية .

قال : (... فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب)^(٥) ثم ذكر أن هناك قولين في إعجاز القرآن ، هل هو معجز بنفسه أو بالصرفة ، ورجح القول بأن القرآن معجز بنفسه . فالخطيب رحمه الله عنده وجه ثابت في الإعجاز ، وهو الوجه البلاغي ، فقد ذكره في المقدمة ، وعند تفسيره لآيات التحدى ، ويضيف في بعض المواضع وجوهاً أخرى ، ففي المقدمة أضاف معانيه الدقيقة ، وأسرار علومه ، كما أضاف في مواضع أخرى ، إخباره عن الغيب ، وقصص الماضين وأخبار الأولين ، ورجح أن القرآن معجز بنفسه لا بالصرفة ، لكنه لم يطل القول بالصرفة واكتفى بالترجيح ، فالقول بالصرفة ليس مرجوحاً بل هو باطل ، لأن فيه طعنًا بإعجاز القرآن إذا قيل إن القدرة قد سلبت منهم ، والحق أن الله تحداهم مع بقاء قدرتهم .

* * *

-
- (١) السراج المنير ٢ / ١٩ .
 - (٢) سورة هود الآية ٣٨ .
 - (٣) السراج المنير ٢ / ٢٠ .
 - (٤) سورة الاسراء الآية ٨٨ .
 - (٥) السراج المنير ٢ / ٣٣٥ .

● المبحث السادس : موقفه من التكرار في القرآن وما قيل إن فيه من غير لغة العرب :

١ - التكرار في القرآن :

وهو في اللغة : إعادة الشيء مرة بعد مرة ، والمقصود به : تكرار آيات في القرآن متفقة الألفاظ ، ولكن وقع في بعضها تقديم وتأخير ، أو إبدال حرف مكان حرف ، أو زيادة أو نقصان ، قال السيوطي : (والقصد به ، إيراد القصة الواحدة في صور شتى ، وفواصل مختلفة ، بل تأتي في موضع واحد مقدماً ، وفي آخر مؤخراً)^(١) .

وبحثه كثير من العلماء ، وأحسن من أفرده بالتأليف الكرمانى في كتابه « البرهان في متشابه القرآن » فإنه وجه لذلك وعلل له .

- وقد تكلم الخطيب الشربيني رحمه الله عن التكرار في تفسيره ، وبين أنه جاء للتأكيد والتقرير والإفهام ، وأن ذلك جاء على مجارى العرب في خطابهم وأن من مذاهيم التكرار لإرادة التأكيد والإفهام .

* ففى قوله تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ إلى قول تعالى : ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾^(٢) .

بين رحمه الله أنه ليس في الآيتين تكرير ، وأن لكل منهما معنى يختلف عن الآخر ، فقال : (قال الرازى : فإن قيل : ما معنى التكرير في قوله تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ « قلنا ليس هذا بتكرير ، لأن الأول :

(١) الإتقان ٢ / ١٤٦ ، وانظر البرهان للزركشى ١ / ١١٢ .

(٢) سورة الزمر الآية ١١ ، ١٤ .

إخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالإيمان بالعبادة ، والثاني : إخبار بأنه أمر أن لا يعبد أحداً غير الله تعالى ، وذلك أن قوله : أمرت أن أعبد الله « لا يفيد الحصر ، وقوله تعالى : ﴿ قل الله أعبد ﴾ يفيد الحصر ، أى الله أعبد ، ولا أعبد أحداً سواه ، ويدل عليه أنه لما قال : ﴿ قل الله أعبد ﴾ قال بعده : ﴿ فاعبدوه ﴾ أى أنتم أيها الداعون فى وقت الضراء ، المعرضون فى وقت الرخاء ﴿ ما شئتم من دونه ﴾ (١) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ﴾ (٢) .

قال : فإن قيل : هذا مكرر مع قوله : ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ (٣) أجيب بأن التفاوت حاصل من وجهين :

أحدهما : أن يكون قولهم : ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ دعاءً مذكوراً للأصول ، وقولهم ﴿ وقهم السيئات ﴾ دعاءً مذكوراً للفروع ، وهم الآباء والأزواج والذريات .

ثانيهما : أن يكون قوله : ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ مقصوراً على إزالة عذاب الجحيم وقوله ﴿ وقهم السيئات ﴾ يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف يوم القيامة ، والسؤال والحساب ، فيكون تعميماً بعد تخصيص وهذا أولى (٤) .

* وفى قوله تعالى : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ (٥) .

(١) السراج المنير ٣ / ٤٣٧ .

(٢) سورة غافر الآية ٩ .

(٣) سورة غافر الآية ٧ .

(٤) السراج المنير ٣ / ٤٧١ .

(٥) سورة الرحمن .

قال : (وكرر هذه الآية في هذه السورة في أحد وثلاثين موضعاً ،
تقريباً للنعمة وتأكيداً في التذكير ، وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ،
ليفهمهم النعم ، ويقرهم بها ، كما تقول لمن تتابع عليه إحسانك ، وهو
يكفره وينكره ، ألم تكن فقيراً فأغنيتك ، أفتنكر هذا ؟ ألم تكن حاملاً
فعزيزتك ، أفتنكر هذا ؟ ألم تكن راجلاً فحملتك أفتنكر هذا ؟ والتكرير
حسن في مثل هذا)^(١) .

٢ - جاء القرآن الكريم بلغة العرب ، فهو عربي مبین ، ولكن اختلف
أهل العلم ، هل في القرآن ألفاظ من غير لغة العرب ؟

فالإمام الشافعي والطبري وأبو عبيدة وابن فارس وغيرهم ، قالوا :
ليس في القرآن شيء معرب ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ قرآناً عربياً ﴾^(٢) .
وقوله تعالى : ﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته
أعجمي وعربي ﴾^(٣) .

قال الإمام الشافعي في الرسالة بعد أن ذكر الآيات الدالة على عربية
جميع ما في القرآن : (فأقام حجته بأن كتابه عربي ، في كل آية ذكرناها ،
ثم أكد ذلك بأن نفى عنه - جل ثناؤه - كل لسان غير لسان العرب ،
في آيتين من كتابه :

فقال تبارك وتعالى : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان
الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾^(٤) .

(١) السراج المنير ٤ / ١٦١ .

(٢) سورة يوسف الآية ٢ .

(٣) سورة فصلت الآية ٤٤ .

(٤) سورة النحل الآية ١٠٣ .

وقال : ﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته
أعجمى وعربى ﴾^(١) .

ومنهم من قال : بوقوع ألفاظ غير عربية في القرآن ، وهو اختيار
السيوطي . وقالوا : إن الألفاظ والكلمات اليسيرة غير العربية ، لا تخرج
القرآن عن عربيته .

ويمكن الجمع بين القولين : بأن الكلمات غير العربية ، تعربت
باستعمال العرب لها ، أو باستعمال القرآن ، وهو رأى جماعة من أهل العلم
منهم القاسم بن سلام^(٢) وغيره ، وقال الخطيب الشربيني عنه ، إنه جمع
حسن لأنه لا يرى أن في القرآن من غير كلام العرب ، (وذهب قوم إلى
أن في القرآن من سائر اللغات ، كالاستبرق ، والسجل ، فإنهما فارسيان ،
والمشكاة فإنها حبشية ، والقسطاس ، فإنه من لغة الروم ، وهذا فاسد لقوله
تعالى : ﴿ قرآناً عربياً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا
بلسان قومه ﴾^(٣) ،^(٤) .

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ﴾^(٥) الآية .
(اختلف العلماء ، هل في القرآن شيء بغير العربية ؟ فقال أبو عبيدة :

(١) الرسالة - تحقيق أحمد شاكر ص ٤٧ ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ
القاهرة .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ، أديب فقيه له مصنفات عديدة
منها كتاب « الأموال » توفي سنة ٢٢٧ هـ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٤ .

(٤) السراج المنير ٣ / ٥٠٣ .

(٥) سورة يوسف الآية ٢ .

من زعم أن في القرآن لسان غير العربية ، فقد أعظم على الله القول ، واحتج
بهذه الآية ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ﴾ وروى عن ابن عباس ومجاهد
وعكرمة : إن فيه من غير لسان العرب ، من سجيل ، ومشكاة ، وأليم ،
وإستبرق ، وجمع بعض المفسرين بين القولين بأن هذه الألفاظ لما تكلمت
بها العرب ، ودارت على ألسنتهم ، صارت عربية فصيحة ، وإن كانت غير
عربية في الأصل ، لكنهم لما تكلموا بها ، نسبت إليهم ، وصارت لهم لغة ،
وهو جمع حسن^(١) .

فالجمع بين الرأيين يزيل الإشكال ، وعليه فإنه ليس في القرآن لفظ
غير عربي ، إلا الأعلام وليست محل خلاف .

* * *

(١) السراج المنير ٢ / ٨٨ ، وانظر الإتيقان ١ / ١٧٨ ، ١٧٩ .

○ الفصل السادس ○
موقفه من الإسرائيليات
والأحاديث الضعيفة والموضوعة

* * *

● المبحث الأول : موقفه من الإسرائيليات :

الإسرائيليات : جمع إسرائيلية وهي القصة أو الرواية التي يكون مصدرها - غالباً - إسرائيلياً . وبنوا إسرائيل قوم لهم ثقافة دينية مصدرها التوراة ، وما أخذوه مشافهة عن موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقاموا بشرحه وتوسعوا في المواعظ والأخبار والقصص ، وتسميتها بالإسرائيليات من باب التغليب ، فهناك أخبار وروايات مصدرها النصارى ، وعلى هذا فالإسرائيليات : كل دخيل في التفسير سواء كان مصدره بنى إسرائيل ، أو النصارى أو غيرهم . وقد بدأ دخول الإسرائيليات إلى التفسير في عهد الصحابة رضی الله عنهم ، كما أن الأخذ من أهل الكتاب كان أحد المصادر في التفسير عند الصحابة ، (غير أن الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء ولم يقبلوا منهم كل شيء ، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدوا أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن منها ، مع توقفهم فيما يلقى إليهم ، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين ، امثالاً لقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا » ^(١) .

● حكم رواية الإسرائيليات :

أباح لنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التحديث عن بنى إسرائيل فقال : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » ^(٢) .

(١) أخرجه البخارى ٥ / ١٥٠ فى كتاب التفسير باب (١١) وأبو داود ٣ / ٣١٨ فى

كتاب العلم رقم ٣٦٤٤ .

(٢) أخرجه البخارى ٤ / ١٤٥ فى كتاب الأنبياء باب (٥٠) .

وقال ﷺ مانعاً من الأخذ عن أهل الكتاب لما قرأ عليه عمر بن الخطاب كتاباً أصابه من بعض أهل الكتاب (أمتهوكون فيها يابن الخطاب ، والذي نفسى بيده لقد جتتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو يباطل فتصدقوا به ، والذي نفسى بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)^(١) .

وظاهر الحديثين التعارض لأن الحديث الأول يبيح والحديث الثاني يمنع وقد أجاب عن هذا التعارض الحافظ في الفتح فقال : كأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما وسع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار)^(٢) .

وقال أيضاً (قال مالك : المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا .. وقال الشافعي : من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم)^(٣) .

فالإسرائيليات على ثلاثة أقسام :

- ١- ما علمت صحته وثبت نقله عن النبي ﷺ ، كاسم صاحب موسى ﷺ فقد ذكره النبي ﷺ ونص على أن اسمه الخضر^(٤) .
- ٢- ما علم كذبه ومناقضته للشرع فهذا لا تصح روايته .
- ٣- ما سكت عنه ، وهذا نتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه .

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣ / ٣٨٧ .

(٢) فتح الباري ٦ / ٤٩٨ .

(٣) فتح الباري ٦ / ٤٩٩ .

(٤) أخرجه البخاري ٥ / ٢٣٢ كتاب التفسير في تفسير سورة الكهف .

إذا فالأخذ بالإسرائيليات التي توافق شرعنا جائز ، وأما التي تعارضه فلا يحل الأخذ بها ، وأما المسكوت عنها أى التي لا تعارض الشرع ولا توافقه فجائز الأخذ بها بشرط أن لا نصدقها ولا نكذبها وهى داخلة تحت قوله « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »^(١) .

- والخطيب الشريينى رحمه الله قد أكثر من إيراد القصص والروايات الإسرائيلية وإليك بعض الأمثلة التى تبين منهجه وموقفه منها :

* * *

(١) سبق تخريجه ، وانظر التفسير والمفسرون ١ / ١٦٩ وما بعدها .

* الإسرائيليات في قصة طلب بنى إسرائيل رؤية الله جهرة :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْتُمْ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(١) .

قال الخطيب في تفسيره : (وذلك أن الله تعالى أمر موسى صلى الله عليه وسلم أن يأتيه في ناس من بنى إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، فاختر موسى سبعين رجلاً من خيار قومه وقال لهم : صوموا وتطهروا ، وطهروا ثيابكم ففعلوا ذلك ، فخرج موسى إلى طور سيناء لميقات ربه ، فقالوا لموسى : اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا ، فقال لهم : أفعل ، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام ، فغشى الجبل كله ، فدخل في الغمام وقال للقوم : ادنوا ، فدنوا حتى دخلوا في الغمام وخرروا سجداً ، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونهم الحجاب ، وسمعوه وهو يكلم موسى ، يأمره وينهاه ، وأسمعهم الله تعالى : إني أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من أرض بيد^(٢) شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري ، فلما فرغ موسى وانكشف الغمام ، أقبل عليهم ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة عياناً ، فلما هلكوا جعل يبكي ويتضرع ويقول : ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتهم ، وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلاً بعد رجل ، بعد ما

(١) سورة البقرة الآية ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) بيد : جمع بيداء وهى الأرض الفلاة .

ماتوا ليلة ، ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون^(١) .

* بيان الإسرائيليات في هذه القصة :

١ - السبب الذى جعلهم يطلبون من موسى رؤية الله جهرة :
فالسبب الذى ذكره الخطيب الشربيني رحمه الله ، والذى من أجله
قال قوم موسى هذا القول ، روى من طريقين وقد ذكرهما الإمام الطبرى
في تفسيره :

الأول : قال الطبرى : (حدثنا محمد بن حميد قال : حدثنا سلمة بن
الفضل ، عن محمد بن إسحاق .

الثانى : قال الطبرى (حدثنى موسى بن هارون قال : حدثنا عمرو
بن حماد قال : حدثنا أسباط بن نصر عن السدى^(٢) وساق الرواية .
فالرواية الأولى من طريق محمد بن إسحاق وهو معروف بأخذه من
أهل الكتاب ، قال أبو حاتم الرازى (قال عنه يحيى بن معين : لم يزل الناس
يتقون حديث محمد بن إسحاق ، وقال عنه أيضاً : ليس بذلك هو
ضعيف^(٣) .

وقال الحافظ فى التقريب : (صدوق يدلس ورمى بالتشيع
والقدر^(٤) .

والرواية الثانية من طريق السدى الصغير محمد بن مروان قال عنه

(١) السراج المنير ١ / ٦١ .

(٢) جامع البيان ١ / ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٣) الجرح والتعديل ٧ / ١٩٤ .

(٤) تقريب التهذيب ٢ / ٤٤ .

أبو حاتم في الجرح والتعديل : (هو ذاهب الحديث متروك لا يكتب حديثه البتة ، وقال ابن معين : السدى الصغير صاحب الكلبي اسمه محمد بن مروان ليس بثقة)^(١) .

وقال الحافظ في التقریب : (متهم بالكذب)^(٢) .

فالطريقان ضعيفان ، مع أن السبب المذكور ليس هناك ما ينفي احتمال وقوعه ، ولكن مع عدم وجود نص صحيح يؤيد الرواية ويعضد الخبر ، تبقى الرواية من باب الإسرائيليات ، وقد بين الإمام الطبري موقفه مما روى في هذا الموضوع فقال : (فهذا ما روى في السبب الذي من أجله قالوا لموسى « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى ، تقوم به حجة فيسلم له ، وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه فإذا كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يقال : إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له : يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، كما أخبر عنهم أنهم قالوه ، وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخاً لهم ، في كفرهم بمحمد ﷺ وقد قامت حجته على من احتج به عليه ، ولا حاجة لمن انتهت إليه معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك ، وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقاً كما قال)^(٣) .

٢ - تعيين نوع الصاعقة :

عين الخطيب الشربيني نوع الصاعقة التي أصابت بنى إسرائيل ، وقد

(١) الجرح والتعديل ٨ / ٨٦ .

(٢) تقریب التهذیب ٢ / ٢٠٦ .

(٣) انظر جامع البيان ١ / ٢٩١ ، ٢٩٢ .

اختلف المفسرون في هذا الأمر كما قال ذلك الإمام الطبرى ، فبعضهم ذهب إلى أنهم سمعوا صوتاً فصعقوا ، أى فماتوا ، وفسر آخرون الصاعقة بالنار ، وقال : آخرون أخذتهم الرجفة وهى الصاعقة فماتوا جميعاً^(١) .

والصاعقة اسم جامع لكل أمر عظيم يصيب الإنسان أو يشاهده قال الإمام الطبرى : (وأصل الصاعقة : كل أمر هائل رآه ، أو عاينه ، أو أصابه حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب ، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم ، أو فقد بعض آلات الجسم ، صوتاً كان ذلك أو ناراً ، أو زلزلة أو رجفاً ، ومما يدل على أنه قد يكون مصعوقاً وهو حى غير ميت قول الله عز وجل : ﴿ وخر موسى صعقاً ﴾^(٢) يعنى مغشياً عليه ، فقد علم أن موسى لم يكن - حين غشى عليه وصعق - ميتاً لأن الله جل وعز أخبر عنه أنه لما أفاق قال : ﴿ تبت إليك ﴾^(٣) .^(٤)

وإذا كانت الصاعقة تعم كل ما ذكره المفسرون من أقوال ، وليس هناك خبر صحيح يعين أى ذلك كان ، فلا نستطيع الجزم بأى منها ، مع احتمال أن يكون بعض ما قالوه صحيحاً ، وإن كان فى الواقع غير مأخوذ من مصدر موثوق ، بل هى أخبار تحدث بها من اشتهر بالتحدث عن بنى إسرائيل وبعضهم يختار منها ما يراه مناسباً لظاهر الآيات وفى ذلك يقول العلامة رشيد رضا :

(كل ما نقل عن مفسرى المأثور فى هذه المسألة وأمثالها مأخوذ عن الإسرائيليات غير الموثوق بها ، إذ ليس فيه شىء مرفوع إلى النبى ﷺ ، وإنما يرجح من بعدهم بعض أقوالهم على بعض بكونه أقرب إلى نظم الآيات وأساليبها وتناسبها من غيره ، وأما التوراة التى فى أيدى أهل الكتاب فقد

(١) انظر جامع البيان ١ / ٢٩٠ بتصرف .

(٢)(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

ذكرت خبر السبعين من شيوخ بنى إسرائيل في سياق مناجاة موسى صلى الله عليه وآله لربه^(١) .

مما سبق يتبين لنا أن الخطيب في تعرضه لسبب قول بنى إسرائيل لموسى « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » وفي تعيينه للصاعقة فقد ذكر أشياء لا نستطيع الجزم بصدقها أو بكذبها لعدم وجود ما يؤيدها أو ينافيها من الشرع .

* * *

(١) المنار ٨ / ١٨٦ .

* الإسرائيليات في معجزات عيسى صلى الله عليه وآله :

قال تعالى : ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾ ^(١) .

وقال : ﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أنى قد جئكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمة والأبرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ ^(٢) .

فى أثناء تفسير هذه الآيات ذكر الخطيب الشربيني رحمه الله عدة موضوعات دخلت فيها الإسرائيليات وقد تمثلت فيما يلى :

١ - كلام عيسى صلى الله عليه وآله فى بطن أمه .

قال الخطيب : (وحكى عن مجاهد قال : قالت مريم : كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثنى وحدثه ، فإذا شغلنى عنه إنسان سبح فى بطنى وأنا أسمع) ^(٣) .

والمعروف أن الله سبحانه وتعالى جعل كلام عيسى صلى الله عليه وآله فى المهد لحكمه عظيمة اقتضتها مشيئته منها : تبرئة أمه الصديقة من تشكك المتشككين وافتراء المفتريين ، وتمهيداً لرسالة عيسى صلى الله عليه وآله ، والقرآن الكريم بين متى تكلم عيسى فقال تعالى : ﴿ ويكلم الناس فى المهد ﴾ ، والنبي صلى الله عليه وآله قال : « لم

(١) سورة آل عمران الآية ٤٦ .

(٢) السورة نفسها الآية ٤٦ .

(٣) السراج المنير ١ / ٢١٥ .

يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصاحب جريج ، وكان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها ، فأتته أمه وهو يصلي فقالت : يا جريج فقال : يارب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : يارب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته فانصرفت ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت : يا جريج ، فقال : يارب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات^(١) ، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها^(٢) . فقالت : إن شئتم لأفتننكم لكم ، قال : فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأتت راعياً كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها ، فوقع عليها فحملت ، فلما ولدت قالت : هو من جريج ، فأتوه فاستنزروه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زينت بهذه البغي ، فولدت منك ، فقال : أين الصبي ؟ فجاءوا به ، فقال : دعوني حتى أصلي ، فصلى ، فلما أنصرف أتى الصبي فطعن في بطنه ، وقال : يا غلام من أبوك ؟ قال : فلان الراعي ، قال : فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به ، وقالوا : نبني لك صومعتك من ذهب ، قال : لا ، أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا .

وبينا صبي يرضع من أمه ، فمر رجل راكب على دابة فارهة^(٣) ، وشارة^(٤) حسنة ، فقالت أمه ، اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فترك الثدي ،

(١) المومسات : جمع مومسة وهي المرأة البغي المجاهرة بالزنا .

(٢) يتمثل بحسنها : يضرب به المثل .

(٣) الفارهة : النشيطة القوية .

(٤) وشارة حسنة : الهيئة واللباس الحسن .

وأقبل إليه فنظر إليه ، فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع قال : فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها ، قال : ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون : زنيت ، سرقت ، وهى تقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فترك الرضاع ونظر إليها فقال : اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعاً^(١) الحديث ..)^(٢) الحديث .

فالقُرآن نص على أن كلامه كان في المهد ، والحديث الصحيح كذلك ، ودلت اللغة على أن المهد فراش الصبي ، قال في القاموس : والمهد : الوضع يهياً للصبي ويوطأ ، وبما أن القرآن وبما أن الحديث والقرآن قد نصا على أن الكلام كان في المهد ، وأن المهد في اللغة معناه مضجع الصبي في رضاعه ، فإن قول من قال : إن عيسى ﷺ قد تكلم في بطن أمه لم يقيم عليه دليل .

٢ - تسمية الطير المخلوق :

قال الخطيب الشربيني عن معجزة عيسى ﷺ في خلق الطير : (لم يخلق غير الخفاش ، ثم علل لاقْتصار عيسى على خلق الخفاش : لأنه أكمل الطير خلقاً ، لأن له أسناناً ، وللأنثى ثدياً وتحيض ، قال وهب^(٣) : كان

(١) تراجعاً : أى رجعت إليه تكلمه .

(٢) أخرجه البخارى ٤ / ١٤٠ في كتاب الأنبياء باب (٤٨) وأخرجه أحمد في مسنده ٢ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وأخرجه مسلم ٤ / ١٩٧٦ في كتاب البر والصلة باب تقديم الوالدين ح (٨) .

(٣) وهب بن منه الهامى الصنعانى أحد التابعين الثقات ، ومن المكثرين من الرواية عن أهل الكتاب توفى سنة ١١٠ هـ .

يطير ما دام الناس ينظرون إليه ، فإذا غاب عنهم سقط ميتاً ، ليميز فعل الخلق من فعل الله وليعلم أن الكمال لله عز وجل (١) .

وهذا التعيين للطير ليس له وجه ، لأن الله قال على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ﴾ من غير أن يحدد نوع الطير أو يذكر اسمه ، أما ما ذكره الخطيب رحمه الله من تفصيل في هذا الموضوع لا دليل عليه ، وقد روى عن طريق ابن جريج وهو معروف بالإكثار من الروايات الإسرائيلية ، وقد أورد الطبرى هذه الرواية في تفسيره (٢) .

٣ - المبالغة في عدد المرضى الذين يأتون عيسى صلى الله عليه وآله :

قال الخطيب : (يحكى عن وهب بن منبه أنه قال : ربما اجتمع عليه من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً ، من أطاق منهم أن يبلغه أتاه ، ومن لم يطق أتاه عيسى) (٣) .

وقد روى الإمام الطبرى هذا القول في تفسيره فقال بعد أن ساق السند إلى وهب بن منبه : (لما صار عيسى ابن اثنى عشرة سنة أوحى الله إلى أمه وهى بأرض مصر وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر ، أن اطلعى به إلى الشام ففعلت الذى أمرت به ، قال : وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشى

(١) السراج المنير ١ / ٢١٦ .

(٢) انظر جامع البيان ٣ / ٢٧٦ .

(٣) السراج المنير ١ / ٢١٧ .

إليه ، وإنما كان يداوهم بالدعاء إلى الله (١) .

أثبت القرآن المعجزة لعيسى صلى الله عليه وسلم وهي الإبراء من المرض بإذن الله ولكن ما أخذ من زيادات وتفصيلات فهي من طريق أهل الكتاب ، وقد رواها وهب بن منبه ، وهو معروف بالأخذ عنهم ، بالإضافة إلى ما فيها من المبالغة في كثرة الأعداد المذكورة ، خاصة وأن المعجزة لم تجر على يد عيسى صلى الله عليه وسلم لذاتها ، أو لغرض شفاء المرضى ، ولكن تأييداً لنبوته ، أما ذلك العدد الضخم الذى يجتمع عليه فى الجماعة الواحدة فلم يدل عليه القرآن ولا السنة .

٤ - ما يتعلق بإحياء الموتى :

قال الخطيب الشربيني (قال ابن عباس : قد أحيا عيسى أربعة أنفس ، عازر ، وابن العجوز ، وابنة العاشر ، وسام بن نوح صلى الله عليه وسلم ، فأما عازر فكان صديقاً له ، فأرسلت أخته إلى عيسى صلى الله عليه وسلم : أن أخاك عازر يموت ، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتى هو وأصحابه ، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام ، فقال لأخته ، انطلقى بنا إلى قبره ، فانطلقت معهم إلى قبره ، فدعا الله سبحانه وتعالى ، فقام وخرج من قبره .

وأما ابنة العاشر : فكان رجلاً يأخذ العشور ، ماتت له بنت بالأمس ، فدعا الله تعالى فأحيها ، فبقيت وولد لها .

وأما ابن العجوز فمر به ميتاً على عيسى ، يحمل على سرير ، فدعا الله تعالى عيسى فجلس على سريره ونزل على أعناق الرجال ، ولبس ثيابه ، وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله ، فبقى وولد له ، وأما سام بن نوح ، فإن عيسى صلى الله عليه وسلم جاء إلى قبره ودعا ، فخرج من قبره ، وقد شاب نصف رأسه

(١) جامع البيان ٣ / ٢٧٨ .

خوفاً من قيام الساعة ، وما كانوا يشيرون في ذلك الزمان ، فقال : قد قامت القيامة ؟ فقال : لا ، ولكن دعوت الله تعالى فأحيك ، ثم قال له : مت فقال : بشرط أن يعيدني الله من سكرات الموت ، فدعا الله ففعل به ما قال ^(١) .

ومما يدل على بطلان هذه الروايات ، ما روى أن عيسى صلى الله عليه وسلم ، كان يحيى الموتى بسور من القرآن الكريم ، الذى أنزل على خاتم النبيين والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال القرطبي : (روى من حديث إسماعيل بن عياش قال : حدثنى محمد بن طلحة عن رجل أن عيسى بن مريم كان إذا أراد أن يحيى الموتى صلى ركعتين ، يقرأ فى الأولى : ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ وفى الثانية السجدة ، فإذا فرغ حمد الله وأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء : يا قديم ، يا خفى ، يا دائم ، يا فرد ، يا وتر يا أحد يا صمد ، ذكره البيهقى وقال ليس إسناده بالقوى ^(٢) . وهذا لا يصح لأن القرآن لم ينزل إلا على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا مما يدل على بطلان هذه الأقوال ، وأن تعيين عدد الموتى وأسمائهم ليس له ما يؤيده ، فالأولى أن تقتصر على ما ثبت بطريق الشرع من كتاب أو سنة ، لكن الخطيب الشريينى رحمه الله قد أورد الكثير من القصص الإسرائيلى فيما يتعلق بمعجزات عيسى صلى الله عليه وسلم ، مع أن تلك المعجزات جاءت لغاية وعن هذه الغاية قال الإمام ابن كثير :

(قال كثير من العلماء : بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى صلى الله عليه وسلم السحر ، وتعظيم السحرة ، فبعث الله بمعجزة بهرت الأبصار ، وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار ، انقادوا للإسلام ، وصاروا من الأبرار ، وأما عيسى صلى الله عليه وسلم ، فبعث فى زمن الأطباء ، وأصحاب علم الطبيعة ، فجاءهم من الآيات

(١) السراج المنير ١ / ٢١٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٩٥ .

بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذى شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الموتى أو على مداواة الأكمة والأبرص ، وبعث من هو فى قبره رهين إلى يوم التناد ؟ وكذلك محمد ﷺ بعثه فى زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبه كلام الخلق أبداً^(١) .

وبما أن القرآن قد أجمل لنا القصة واقتصر على موضع العبرة والعظة منها ، ينبغى لنا أن نقف عند هذا الحد ولا نتعداه إلا بدليل صحيح .

* * *

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣٦٥ .

* الإسرائيليات في قصة المائدة :

قال تعالى : ﴿ قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منك فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ (١) .

ذكر الخطيب الشربيني رحمه الله أوصافاً كثيرة للمائدة التي نزلت على بنى إسرائيل فقال : (قال عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى ﷺ مسحاً^(٢) وبكى وقال : « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء » فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين ، غمامة من فوقها وغمامة من تحتها ، وهم ينظرون إليها ، وهي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى ﷺ وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين : اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة ، فقام فتوضأ وصلى ، وكشف المنديل ، وقال :

بسم الله خير الرازقين ، فإذا سمكة مشوية بلا فلوس أى بلا قشور كالفلوس ولا شوك تسيل دهناً ، وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل ، وحولها ألوان من البقول ما خلا الكراث ، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون ، وعلى الثاني عسل ، وعلى الثالث سمن ، وعلى الرابع جبن ، وعلى الخامس قديد ، فقال شمعون الصفار وهو رأس الحواريين : يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أمن طعام الجنة ، فقال ليس شيئاً مما ترون من طعام الدنيا ولا

(١) سورة المائدة الآية ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) المسح : كساء خشن من الشعر .

من طعام الآخرة ، ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بقدرته ، كلوا مما سألتكم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقال : يا روح الله كن أول من يأكل منها ، فقال : معاذ الله أن آكل منها ، ولكن يأكل منها من سألها ، فخافوا أن يأكلوا منها ، فدعا أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام المقعدين ، وقال : كلوا من رزق الله ، لكم الهناء ، ولغيركم البلاء ، فأكلوا وصدروا عنها ، وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شعبان والسمكة كهيتها حين نزلت ، ثم طارت المائدة صعوداً وهم ينظرون إليها حتى توارت ، فلم يأكل منها زمن ولا مريض ، ولا مبتلى إلا عوفى ، ولا فقير إلا استغنى ، وندم من لم يأكل ، فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى ، فإذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ، ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفياء ، أى زالت الشمس ، طارت وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم ، وقال قتادة : كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً ، حيث كانوا ، كلن والسلوى لبنى إسرائيل ، وقال عطية العوفى : نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء ، وقال الكلبي : كان عليها خبز أرز وبقل (١) .

* بيان الإسرائيليات التي في القصة :

١ - الوصف التفصيلي والدقيق للمائدة :

أورد الخطيب الشرييني رحمه الله روايات متعددة في صفة المائدة التي وصفها وصفاً دقيقاً وقد تناقضت الروايات التي جاءت في وصفها ، وأمام هذا التناقض في الوصف أراد الخطيب أن يوفق بين الروايات فقال : (ويمكن

(١) السراج المنير ١ / ٤٠٧ .

الجمع بين هذه الروايات بأنها كانت تنزل تارة كذا وتارة كذا (١) .

وهذا الجمع يكون مقبولاً لو كانت أسانيدُها صحيحة ، والأولى
الاقتصار على ما في القرآن . وقد روى الترمذى حديثاً في صفة المائدة قال :

حدثنا الحسن بن قزعة حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد عن قتادة
عن خلاص بن عمرو عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : أنزلت
المائدة من السماء خبزاً ولحماً وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد ...)
الحديث ، قال الترمذى : هذا حديث قد رواه أبو عاصم وغير واحد عن
سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بن خلاص عن عمار بن ياسر موقوفاً ولا
نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة (٢) . وقد ذكر الإمام
الطبري عدة روايات متناقضة في صفتها ثم قال : (وأما الصواب من القول
فيما كان على المائدة بأن يقال : كان عليها مأكول وجائر أن يكون سمكا
وخبزاً ، وجائر أن يكون ثمر من ثمر الجنة ، وغير نافع العلم به ، ولا ضار
الجهل به) (٣) .

وأورد ابن كثير رحمه الله خبراً طويلاً في صفة المائدة ثم قال عنه :
(وهذا أثر غريب جداً) (٤) .

والذي نعلمه أن الله استجاب لعيسى ﷺ ، وأنزل عليه المائدة
(ووقفت قصة سؤال المائدة عند هذا المقدار ، وطوى خير ماذا حدث بعد

(١) السراج المنير ١ / ٤٠٧ .

(٢) رواه الترمذى ٥ / ٢٦٠ في كتاب التفسير ح (٣٠٦١) وهو حديث حسن .

(٣) جامع البيان ٧ / ١٣٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢ / ١١٩ .

نزولها ، لأنه لا أثر في المراد من القصة ، وهو العبرة بحال إيمان الحواريين ، وتعلقهم بما يزيدهم يقيناً ، ويقربهم إلى ربهم وتحصيل مرتبة الشهادة على من يأتي بعدهم ، وعلى ضراعة المسيح الدالة على عبوديته ، وعلى كرامة عند ربه إذ أجاب دعوته ، وعلى سعة القدرة ، وأما تفصيل ما حوته المائدة وما دار بينهم عند نزولها فلا عبرة فيه ، وقد أكثر فيه المفسرون بأخبار واهية الأسانيد^(١) .

٢ - عدد الذين أكلوا من المائدة :

عدد الذين أكلوا من المائدة غير معلوم لنا بطريق صحيح ، وأما ما ذكره الخطيب الشربيني رحمه الله من أن عدد الذين أكلوا منها ألف وثلاثمائة فلا دليل يؤيده ، وكذلك ما ذكره من شفاء المرضى الذين أكلوا منها ، واستغناء الفقراء ، ومدة نزولها ، التي ذكر أنها كانت تنزل أربعين صباحاً . كل هذه الروايات والزيادات من الأمور المبالغ فيها ، ومالها من برهان ولكنها مأخوذة من أهل الكتاب .

* * *

(١) التحرير والتنوير ٧ / ١١١ .

* الإسرائيليات في قصة الطوفان :

قال تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بَعْدَ لُقُومِ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) .

قال الخطيب في تفسيره : (وروى أن السفينة لما استقرت بعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض ، فوقع على جيفة فلم يرجع ، فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجلها بالطين ، فعلم نوح أن الماء قد نقص فقبل : إنه دعا على الغراب بالخوف ، فلذا لا يألف البيوت ، وطوق الحمامة الخضرة التي في عنقها ، ودعا لها بالأمان ، فمن ثم تألف البيوت ، وروى أن نوحاً ركب السفينة لعشر مضت من رجب ، وجرت بهم السفينة ستة أشهر ، ومرت بالبيت العتيق ، وقد رفعه الله تعالى من الغرق ، وبقي موضعه فطافت به السفينة سبعاً ، وأودع الحجر الأسود في جبل أبي قبيس ، وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء ، فصامه نوح وأمر من معه بصيامه شكراً لله وبنوا قرية بقرب الجبل وسميت : سوق ثمانين ، فهي أول قرية عمرت على وجه الأرض بعد الطوفان)^(٢) .

* بيان الإسرائيليات التي في القصة :

ورد في قصة الطوفان بعض القصص ذات المصدر الإسرائيلي منها :

١ - إرسال كل من الغراب والحمامة ليأتيا بخبر الأرض :

ذكر الخطيب الشربيني رحمه الله أن نوحاً عليه السلام ، بعث الغراب ليأتيه بخبر الأرض بعد أن غاض الماء ، ولكن الغراب وقع على جيفة ولم

(١) سورة هود الآية ٤٤ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٦٠ .

يأت بالخبر فأرسل الحمامة ، فجاءت تحمل غصن زيتون في منقارها ، وقد ذكر الإمام الطبري هذه الرواية من طريق محمد بن إسحاق فقال : (حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق)^(١) ومحمد بن إسحاق ضعفه كثير من أئمة الجرح والتعديل كما مر معنا وهو أيضاً من الإخباريين الذين يأخذون عن أهل الكتاب ، وحيث إنه لم يرد ما يؤيد ما قيل في هذا من الكتاب أو السنة ، فإنه يرجح أن يكون الخبر من الإسرائيليات ، وعليه فإن الشعار المتخذ في هذا الزمان رمزاً للسلام وهو الحمامة وأغصان الزيتون له صلة بهذه الرواية .

٢ - طواف السفينة في البيت العتيق :

قال الخطيب عن سفينة نوح : (ومرت بالبيت العتيق وقد رفعه الله تعالى من الغرق وبقي موضعه فطافت به السفينة سبعاً) .

وقد ذكر الإمام الطبري هذا الأثر في تفسيره عن طريق ابن جريج فقال رحمه الله : (حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج عن ابن جريج قال : كانت السفينة أعلاها للطير ووسطها للناس ، وفي أسفلها السباع وكان طولها في السماء ثلاثين ذراعاً .. وأرست على الجودي يوم عاشوراء ومرت بالبيت فطافت به سبعاً ، وقد رفعه الله من الغرق)^(٢) . وهو مروى عن طريق ابن جريج المعروف بأخذه من أهل الكتاب ، وبما أنه لم يثبت من طريق صحيح أن سفينة نوح قد طافت بالبيت دل هذا على أنها من الدخيل في التفسير .

(١) جامع البيان ٤٨/١٢ .

(٢) جامع البيان ٤٧/١٢ .

٣ - بدء جريان السفينة ومدة ذلك :

قال الخطيب الشربيني : (وروى أن نوحاً ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر) .

وقد ذكر الإمام الطبري ذلك فقال : (حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي قال : حدثنا المحاربي عن عثمان بن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « في أول يوم من رجب ركب نوح السفينة فصام هو وجميع من معه ، وجرت بهم السفينة ستة أشهر ، فانتهى ذلك إلى الحرم ، فأرست السفينة على الجودي يوم عاشوراء ، فصام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحوش والدواب فصاموا شكراً لله »^(١) .

وفي سند الحديث عثمان بن مطر وهو ضعيف قال في الجرح والتعديل : (عثمان بن مطر الشيباني أبو الفضل ، قال أبو محمد أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا الحسين بن الحسن الرازي قال سألت : يحيى بن معين عن عثمان بن مطر قال : « ليس هو بشيء » حدثنا عبد الرحمن قال : سألت أبي عن عثمان ابن مطر قال : ضعيف الحديث : منكر الحديث ، وقال أبو زرعة ضعيف الحديث^(٢) .

وقال الحافظ في التقريب (عثمان بن مطر الشيباني ، أبو الفضل البصري ضعيف)^(٣) .

وفي خلاصة الخزرجي (عثمان بن مطر الشيباني أبو الفضل البصري

(١) المصدر نفسه .

(٢) الجرح والتعديل ٦ / ١٦٩ .

(٣) تقريب التهذيب ٢ / ١٤ .

ضعفه ابن معين وابن المدينى (١).

ومن ذلك يتضح لنا أن تحديد بدء جريان السفينة والمدة التي استغرقتها في الجريان من الزيادات التي لم يدل عليها دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة .

* * *

(١) خلاصة تذهيب تذهيب الكمال ص ٢٦٢ .

* الإسرائيليات في قصة أصحاب السبت :

قال تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾^(١) .

قال الخطيب الشربيني عند تفسيره للآيتين مبيناً الاعتداء الذي حصل من اليهود قال : (وذلك أنهم كانوا زمن داود صلى الله عليه وسلم بأرض يقال لها أيلة^(٢) حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت ، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه حتى لا يرى الماء ، من كثرتها فإذا مضى تفرقت ولزمت قعر البحر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إذ تأتيم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستتون لا تأتيم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾^(٣) . ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال : إنما نهيتم من أخذها يوم السبت ، فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر ، وشرعوا منه إليها الأنهار ، فإذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار ، فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض ، فلا تقدر على الخروج لبعدها وعمقها وقلة مائها ، فإذا كان يوم الأحد أخذوها ، فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة ، فتجرعوا على الذنب ، وقالوا : ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأكلوا وملحوا وباعوا ، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاثة أصناف :

(١) سورة البقرة الآية ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) أيلة بلد بين ينبع ومصر وعقبها معروفة ، وتعرف الآن بالعقبة وهي ميناء الأردن على البحر الأحمر / مرصد الاطلاع ١/ ١٣٨ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٦٣ .

١- صنف أمسك ونهى .

٢- وصنف أمسك ولم ينه .

٣- وصنف انتهك الحرمة .

وكان الناهون اثني عشر ألفاً ، فلما أبى المجرمون قبول نصحتهم قالوا :
والله لا نساكنكم في قرية واحدة ، فقسموا القرية بجدار ﴿ فقلنا لهم ﴾
لإصرارهم ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ أى مبعدين ، فخرج الناهون ذات يوم
من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم ، فلما أبطأوا تسوروا
على الحائط فإذا هم جميعاً قردة لها أذنان يتعاوون .

قال قتادة : صار الشبان قردة ، والشيوخ خنازير ، فمكثوا ثلاثة أيام ثم
هلكوا ولم يمكث ممسوخ فوق ثلاثة أيام ، ولم يتوالدوا ، وقال مجاهد : ما
مسخت صورتهم ، ولكن قلوبهم ، فمثلوا بالقردة ، كما مثلوا بالحمار في قوله
تعالى : ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾^(١) رواه عنه ابن جرير ورده وقال :
إنه مخالف لظاهر القرآن والأحاديث والآثار وإجماع المفسرين^(٢) .

الحديث عن جرائم بنى إسرائيل في القرآن كثير جداً ، ومن جرائمهم
المتعددة مخالفتهم لأمر الله في يوم السبت ، فلم يكن من الله إلا أن نكل بهم
وجعل منهم درساً لمن ألقى السمع وهو شهيد ، فبعد أن كانوا يعيشون في
أحسن تقويم إذا هم قردة وخنازير يتجرعون الذل والهوان .

* بيان الإسرائيليات التي في القصة :

١ - تعيين القرية :

بالنسبة لهذه القرية التي كان يسكنها المعتدون ، نص الخطيب الشربيني

(١) سورة الجمعة الآية ٥ .

(٢) السراج المنير ١ / ٦٧ .

على أنها أيلة ، وليس له في تحديد اسمها نص قرآني يؤيد ما ذهب إليه ولا أثر نبوي يعرض ذلك ، وقد اختلف الناس في اسم القرية ، وتضاربت الأقوال فيها (قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴾^(١) قال : هي قرية يقال لها : أيلة بين مدين والطور ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي ، وقال عبد الله بن كثير القاريء : سمعنا أنها أيلة ، وقيل مدين^(٢) . وقال القرطبي (قال الزهري : طبرية)^(٣) .

وذكرت بعض الروايات أنها إيلياء ، وأخرى تقول : إنها قرية بين مصر والمدينة ، وقيل : قرية من قرى ساحل الشام^(٤) . والقرآن لم يعين هذه القرية ، ولو كان في التعيين عبرة لذكرها القرآن ، وفي ذلك يقول الإمام الطبري بعد أن ذكر بعض الأقوال في تعيينها : (قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : هي قرية حاضرة البحر ، وجائز أن تكون أيلة ، وجائز أن تكون مدين ، وجائز أن تكون مقنا^(٥) ، لأن كل ذلك حاضرة البحر ، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يقطع العذر بأن ذلك من أي ، والاختلاف فيه على ما وصفت لا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه إلا بخبر يوجب العلم ، ولا خبر كذلك في ذلك)^(٦) .

-
- (١) سورة الأعراف الآية ١٦٣ .
 - (٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٩٢ .
 - (٣) الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٣٠٥ ، وطبرية بلدة مطلة على البحيرة المعروفة بها ، وتقع الآن ضمن الحدود السورية .
 - (٤) فتح البيان ٣ / ٤٤٤ .
 - (٥) مقنا : قرية قديمة تقع قرب أيلة ، أي قرب العقبة .
 - (٦) جامع البيان ٩ / ٩١ .

٢ - المبالغة في كثرة الحيتان :

فقد قال الخطيب رحمه الله : (فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه حتى لا يرى الماء من كثرتها ، فإذا مضى تفرقت ولزمت قعر البحر) .

هذه المبالغة في كثرة الحيتان لم يدل عليها دليل ، ولكن الثابت في القرآن ، أن الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا أى ظاهرة ، والمبالغة في وصف ذلك العدد مروى عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته .

٣ - عدد سكان القرية :

أما عدد سكان القرية فإن الخطيب الشربيني رحمه الله قد نص على أنهم كانوا سبعين ألفاً وأن الذين أمسكوا ونهوا كانوا اثني عشر ألفاً ، وهذا العدد لم يشير إليه الكتاب ولم تذكره السنة ، فدل على أنه من الإسرائيليات التي أدخلت في التفسير .

وأما مكثهم بعد المسخ فإنه يقول : (فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسموخ فوق ثلاثة أيام) . ورد الخطيب قول مجاهد : ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم ، وذكر قول الإمام الطبري الذي ضعف قول مجاهد واعتبره مخالفاً للآيات والأحاديث .

قال الطبري : (عن مجاهد في قوله : ﴿ الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ . قال : مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة ، وإنما هو مثل ضربه لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا .

وهذا القول الذي قاله مجاهد قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف ، وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم ﴿ أرنا الله جهرة ﴾ وأن الله تعالى

أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم وأنهم عبدوا العجل ، فجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وأنهم أمروا بدخول الأرض المقدسة فقالوا لنبيهم ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾^(١) فابتلاهم بالتيه^(٢) .

ودلت السنة على أن المسوخ لا ينسل فقد روى مسلم من حديث أم حبيبة^(٣) .

وفيه : « إن الله لم يجعل لمسخ نسلأ ولا عقبأ . وقد كانت الخنازير قبل ذلك » وفي رواية لمسلم من حديث أم حبيبة أيضاً « إن الله عز وجل لم يهلك قومأ أو يعذب قومأ فيجعل لهم نسلأ وإن القردة والخنازير قبل ذلك^(٤) . دل الحديث على أن المسوخين لا يتوالدون ، وأن القردة والخنازير قبل مسخ بنى إسرائيل .

٤ - كيفية الاعتداء :

وعن كيفية الاعتداء فإن الخطيب قد جاء بكيفية ليس لها سند من الكتاب ولا من السنة ، ولا فائدة ترجى من البحث عنها ، فإنه جائز أن يكون قد فعلوا كل تلك الوسائل أو بعضها أو واحدة منها قال أبو حيان : وقد رويت زيادات في كيفية الاعتداء ، الله أعلم بصحة ذلك ، والذي يصح في ذلك هو ما ذكره الله في كتابه وما صح عن نبيه^(٥) .

وخلاصة الموضوع : أن الله قد ذكر عن اليهود أنهم توردوا على منهجه

(١) سورة المائدة الآية ٢٤ .

(٢) جامع البيان ١ / ٣٣٢ .

(٣) رملة بنت أبي سفيان أم المؤمنين ، توفيت سنة ٤٤ هـ ، انظر الإصابة ١٢ / ٢٦٠ .

(٤) رواها مسلم في كتاب القدر ٤ / ٢٠٥١ ح (٣٢ ، ٣٣) .

(٥) البحر المحيط ١ / ٢٤٥ .

ولم يراعوا لنهيه حرمة ولا لذاته تقديسا ، فما كان لهم إلا هذا الجزاء الرادع والزاجر .

قال ابن كثير في تفسيره : (وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله ، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطى الحرام ، وقال رسول الله ﷺ : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » قال ابن كثير عن هذا الحديث : وهذا إسناد جيد^(١) . وعن عقوبة المسخ التي عوقب بها بنو إسرائيل قال الشيخ الدوسري في تفسيره : (وهذه العقوبة الفظيعة الشنيعة مناسبة لخبث نفوسهم وسوء طريقتهم الملتوية واستخفافهم بحساب الله تعالى ، وإلحادهم في أسمائه سبحانه فإن معصيتهم تضخمت جداً لكونها مشوبة بالحيلة على الله ، كأن الله غمر جاهل تنطلق عليه الحيل والتليسات)^(٢) .

* * *

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٣٩٢ .

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٢ / ١٦٦ .

* الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف :

قال تعالى : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . إذ آوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ﴾^(١) .

قال الخطيب : (قال محمد بن إسحاق : مرج أهل الإنجيل ، وكثرت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت ، وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس ، عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه ، وكان ينزل قرى الروم ، فلا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنه عن دينه ، ثم نزل مدينة أهل الكهف ، فكبر على أهل الإيمان فاستخفوا منه ، وهربوا في كل وجه ، ثم بين ما وقع لهم من شدة العذاب ، وظلم ذلك الملك الذي أمر أتباعه أن يحضروا أهل القرية إليه ، ويخبروهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب في الحياة .

ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله تعالى ، فيقتل ، فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان ، جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب واقتل ، فيقتلون ويقطعون ، ثم جعل ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها ، وعلى كل باب من أبوابها ، حتى عظمت الفتنة ، فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزناً شديداً ، فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والدعاء والتسبيح ، وكانوا من أشرف المدينة ، وكانوا ثمانية نفر ، بعث إليهم الملك ، فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع ، فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض ، اختاروا لأنفسكم إما أن تذبحوا لآلهتنا ، وإما أن أقتلكم ، فقال له كبيرهم - واسمه مكسلمينا : إن لنا إلهاً ملء السموات والأرض عظمته ،

(١) سورة الكهف الآية ٩ ، ١٠ .

لن ندعو من دونه إلهاً أبداً ، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا ، خالصاً
أبداً إياه نعبد ، وإياه نسأل النجاة والخير ، وأما الطواغيت فلن نعبدنا أبداً ،
اصنع ما بدا لك ، وقال أصحابه مثل ما قال ، فلما قالوا ذلك أمر الملك
بنزع ثيابهم ، وحلية عليهم كانت من الذهب والفضة ، وقال : سأفرغ لكم
وأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة ، وما يمنعني أن أعجل لكم إلا أني أراكم
شباباً حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً تذكرون
فيه ، وترجعون إلى عقولكم ، ثم أمر بهم ، فأخرجوا من عنده ، وانطلق
إلى مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره ، فلما رأى الفتية خروجه بادروا
قدومه ، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم ، فائتمروا بينهم أن يأخذ كل
واحد منهم نفقة من بيت أبيه ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة ،
فيمكثوا فيه ويعبدوا الله تعالى ، ففعلوا واتبعهم كلب كان لهم حتى إذا أتوا
ذلك الكهف لبثوا فيه ، وجعلوا نفقتهم إلى تملیخا يأتي لهم بالأرزاق ، فلبثوا
في ذلك ما شاء الله أن يلبثوا ، ثم قدم الملك المدينة ، وأمر عظماء أهلها
أن يذبحوا للطواغيت ، ففزع من ذلك أهل الإيمان ، وكان تملیخا يشتري
لأصحابه طعامهم ، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ، أخبرهم أن الجبار قد
دخل المدينة وأنهم قد ذكروا واتمسوا من عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا
سجوداً يدعون ويتضرعون ويتعوذون من الفتنة ، فضرب الله على آذانهم في
الكهف وكنيتهم باسط ذراعيه بباب الكهف ، فأصابهم ما أصابهم وهم
مؤمنون ، ونفقتهم عند رعوسهم فلما كان من الغد تفقدهم الملك ، فلم
يجدهم ، فغضب غضباً شديداً ، ثم أرسل إلى آبائهم ، فأتي بهم فسألهم
عنهم ، وقال : أخبروني عن أبناءكم المردة الذين عصوني ، فقالوا له : أما نحن
فلم نعصك ، فلم تقتلنا بقوم مردة ، قد ذهبوا بأموالنا ، وأهلكونا في أسواق
المدينة ثم ارتقوا إلى جبل بنجلوس ، فلما قالوا ذلك خلى سبيلهم ، وجعل

ما يدري ما يصنع بالفتية ، فألقى الله في قلبه أن يسد باب الكهف عليهم ، وأراد الله أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم^(١) .

* بيان الإسرائيليات التي في القصة :

١ - سبب لجوء الفتية وكثرة تفاصيل القصة :

ذكر الخطيب الشرييني رحمه الله سبب لجوء الفتية إلى الكهف ، وأطال في ذكر ذلك وأسهب في تفاصيل القصة مع الملك الظالم وما كان من أمرهم ، وقد ذكر الإمام الطبري قصة أصحاب الكهف في تفسيره وهي من طريق محمد بن إسحاق ، وهو ضعيف كما مر معنا وقال : (حدثنا ابن حميد وقال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق)^(٢) ثم شرع في سرد القصة . وهذه التفاصيل الدقيقة والأسباب التي ذكرها لم يرد بها قرآن ولا سنة صحيحة ، ولو كان في ذكرها عبرة لذكرها الله ، أو لبيتها السنة ، ولذلك ينبغي لنا أن نقف عند حدود ما ورد عن الله في هذه القصة .

٢ - اسم الجبل وأصحاب الكهف :

ذكر الخطيب رحمه الله اسم الجبل الذي ارتقوه ، وكذلك ذكر بعض أسماء أهل الكهف ، وليس في ذلك سند صحيح ، فقد ذكر الطبري بسنده عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس أنهم (كانوا ثمانية نفر) ، مكسلمينا ، وكان أكبرهم وهو الذي كلم الملك عنهم ويمليخا ، ومرطوس ، وكشوطوش ، وبيرونس ، ودينموس ، ويطونس وقلوس^(٣) ، قال الإمام القرطبي عن أسماء أهل الكهف :

(١) السراج المنير ٢/٣٥٢ ، ٣٥٣ باختصار .

(٢) انظر جامع البيان ١٥ / ٢٠٠ .

(٣) جامع البيان ١٥ / ٢٠١ .

(وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية ، والسند في معرفتها واه)^(١) .
وقال العلامة الشنقيطي : (واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم
وفي أي محل من الأرض كانوا ، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء
زائد على ما في القرآن وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا
عن ذكرها لعدم الثقة بها)^(٢) .

وقد تكلف بعض المفسرين في ذكر اسم الكهف وتحديد مكانه وقد
رد هذا ابن كثير فقال بعد أن تكلم عن إخبار الله إيانا عن الكهف وقصة
أصحابه : (ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض إذ لا فائدة
لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً ،
ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه)^(٣) . يظهر
مما سبق أن الشرييني رحمه الله قد ذكر قصة أصحاب الكهف وأطال في
تفاصيل القصة ، من غير أن يعقب على ما فيها من إسرائيلييات .

* * *

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٦٠/١٠ .

(٢) أضواء البيان ٢٠ / ٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ٧٥ / ٣ .

* الإسرائيليات في قصة سليمان مع الهدهد :

قال تعالى : ﴿ وتفقذ الطير فقلال ما لى لا أرى الهدهد أم كان من

الغائبين ﴾^(١) .

قال الخطيب : (كأنه لم يره ظن أنه حاضر ولم يره لسائر أو غيره فقال : مالى لا أرى الهدهد ، ثم احتاط فلاح له أنه غائب ، فأضرب عن ذلك وأخذ يقول : أهو غائب ؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له وهذا يدل على أنه تفقد جماعة من الجند ، وتحقق غيبتهم وشك في غيبته ، وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء : أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم ، فتجهز للسير واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطيور والوحش ما بلغ عسكره مائة فرسخ ، فحملتهم الريح ، فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم ، وكان ينحر كل يوم مدة مقامه في مكة خمسة آلاف ناقة ، وخمسة آلاف بقرة ، وعشرين ألف شاة ، وقال لمن حضر من أشرف قومه : إن هذا المكان يخرج منه نبي عربى صفته كذا وكذا ، وتبلغ مهابته مسيرة شهر ، القريب والبعيد عنده فى الحق سواء ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، قالوا : فبأى دين يدين يا نبي الله ، قال : بدين الحنيفية ، فطوبى لمن أدركه ، وآمن به ، قالوا : كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال : مقدار ألف عام ، فليبلغ الشاهد منك الغائب ، فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل ، فأقام بمكة حتى قضى نسكه ، ثم خرج منها صباحاً وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر ، فرأى أرضاً حسناء تزهر خضرتها ، فأحب النزول ليصلى ويتغدى ، فلما نزل قال الهدهد : إن سليمان قد اشتغل بالنزول فأرتفع نحو السماء

(١) سورة النمل الآية ٢٠ .

فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها فنظر يميناً وشمالاً فرأى بستاناً بلقيس ، فمال إلى الخضرة فوقه فيه ، فإذا هو يهدد فهبط عليه ، وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنفير ، قال عنفير هدهد اليمن ليعفور هدهد سليمان ، من أين أقبلت وإلى أين تريد ؟ قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان ، فقال : ومن سليمان ؟ قال : ملك الإنس والجن والشياطين والطيور والوحوش والرياح ، فمن أين أنت ؟ قال : أنا من هذه البلاد قال : ومن ملكها ؟ قال : امرأة يقال لها بلقيس ، وإن لصاحبكم ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه ، فإنها ملكت اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل ، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها ؟ قال : أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء ، قال الهدهد اليماني : إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها ؟ وغاب إلى وقت العصر ، وكان نزول سليمان على غير ماء ، قال ابن عباس : وكان الهدهد ، دليل سليمان على الماء ، وكان يرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاج ، ويعرف بعده وقربه ، فينقر الأرض ، ثم تجيء الشياطين فيسلخونها كما يسليخ الإهاب ، ويستخرجون الماء .. فلما دخل على سليمان وقت الصلاة سأل الإنس والجن والشياطين عن الماء ، فلم يعلموه ، فتفقد الهدهد فلم يجده ، فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فقال : أصلح الله الملك ، ما أدري أين هو وما أرسلته مكاناً ، فغضب سليمان عند ذلك وقال : ﴿لأعذبته عذاباً شديداً أو لأذبحته أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ ثم دعا العقاب سيد الطير ، فقال له : على بالهدهد الساعة ، فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء ، فنظر الدنيا كالكسفة بين يدي أحدكم ، فالتفت يميناً وشمالاً ، فإذا بالهدهد مقبلاً من نحو اليمن ، فانقض العقاب نحوه يريده ، فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده

بسوء فناشده ، فقال : بحق الله الذى قواك وأقدرك علىّ إلا ما رحمتنى ولم تتعرض لى بسوء ، فولى عنه العقاب ، وقال له : ويلك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو ليدجنك ، قال فما استثنى ؟ قال : بلى قال : أو ليأتينى بسليمان ميين ، ثم طارا متوجهين نحو سليمان ، فلما انتهى إلى العسكر تلقاه النسر والظير فقالوا له : ويلك أين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبي الله ، وأخبروه بما قال ، فقال الهدهد : فما استثنى نبي الله ﷺ قالوا : بلى ، قال : نجوت إذا ، ثم طارا العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان ، وكان قاعداً على كرسيه فقال العقاب : قد أتيتك به يا نبي الله .. فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخص ذنبه وجناحيه يجرحهما على الأرض تواضعا لسليمان ، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال له : أين كنت ؟ لأعذبك عذاباً شديداً ، فقال له الهدهد : يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى ، فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ، فقال : ما الذى أبطأك عنى ؟ فبين الهدهد لسليمان أنه أحاط علما بما لا إحاطة له به .. (١) .

والخطيب رحمه الله قد أسهب فى سرد هذه القصة وتفصيلها من غير أن يعقب عليها ، ثم ذكر صفات الهدية وأنواعها ، التى بعثت بها بلقيس ملكة اليمن إلى سليمان ﷺ فقال : (فأهدت إليه وصفاً ووصائف) (٢)

قال ابن عباس : ألبستهم لباسا واحدا كى لا يعرف ذكرا من أنثى ، وقال مجاهد : ألبست الجوارى لباس الغلمان وألبست الغلمان لباس الجوارى ، واختلف فى عددهم :

فقال ابن عباس : مائة وصيف ، ومائة وصيفة وقال مجاهد ومقاتل :

(١) السراج المنير ٥٣/٣ .

(٢) أى خدم .

مائة غلام ومائتا جارية ، وقال قتادة ، أرسلت إليه بلبنات من ذهب في حرير وديباج ، وقيل كانت أربع لبنات من ذهب وقال وهب وغيره : عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لباس الغلمان ، الأقبية^(١) والمناطق^(٢) وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب ، وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً^(٣) مرصعات بأنواع الجواهر وغواشيها من الديداج الملونة ، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة من فضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت وأرسلت المسك والعنبر وعمدت إلى حقه^(٤) فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة ، وجزعة^(٥) معوجة الثقب ، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو ، وضمت إليه رجالا من قومها أصحاب رأى وعقل ، وكتب معهم كتاباً بنسخة الهدية ، وقالت : إن كنت نبياً ، فميز بين الوصف والوصائف وأخبر بما في الحققة قبل أن تفتحها ، واثقب الدرّة ثقباً مستويّاً ، وأدخل خيطاً في الخزرة المثقوبة من غير علاج ، إنس ولا جن ، وأمرت بلقيس الغلمان إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث يشبه كلام النساء ، وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت : للرجل انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولتك منظره فأنا أعز منه ، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب ، فانطلق الرسول

(١) الأقبية : جمع قباء وهو نوع من الثياب .

(٢) المناطق : جمع منطقة وهو قطعة من قماش أو غيره يشد بها وسط الإنسان .

(٣) الشنوف : جمع شنف وهو نوع من الحلّي يوضع في أعلى الأذن .

(٤) الحققة : علبة من خشب .

(٥) الجزعة : نوع من الخزر اليماني الصيني فيه سواد وبياض .

بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر كله ، فأمر سليمان عليه السلام الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم أمرهم أن ييسطوا من موضعه الذى هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميادين حائطاً من الذهب والفضة ، ففعلوا ثم قال : أى الدواب أحسن مما رأيتم فى البر والبحر ، قالوا يا نبي الله إنا رأينا دواباً فى بحر كذا وكذا منقطة مختلفة ألوانها ، لها أجنحة وأعراف ونواصر ، قال على بها الساعة ، فأتوا بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفتها فيها ، ثم قال للجن على بأولادكم ، فاجتمع خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ، ووضع له أربعة آلاف كرسى على يمينه ومثلها على يساره ، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره ، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ، ورأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها ، تروث على لبن الذهب والفضة ، تقاصرت أنفسهم ورموا ما معهم من الهدايا ، حتى وقفوا بين يدى سليمان ، فنظر إليهم سليمان نظراً حسناً بوجهه طلق ، وقال : ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا ، وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال : أين الحق ؟ فأتى بها فحركها وجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما فى الحق فقال : إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة ، وجزعة مثقوبة معوجة الثقب ، فقال الرسول : صدقت ، فائقب الدرة وأدخل الخيط فى الخرزة ، فقال : سليمان عليه السلام من لى بثقبا ، فسأل سليمان الإنس ثم الجن فلم يكن عندهم علم بذلك ، ثم سأل الشياطين فقالوا : أرسل إلى الأرضة ، فجاءت الأرضة فأخذت شعرة فى فيها ، فدخلت فيها حتى خرجت من الجهة الأخرى ، فقال

لها سليمان : سلى حاجتك قالت : تصير رزق في الشجر ، فقال لك ذلك ، ثم ميز بين الجوارى والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم ، فجعلت الجارية تأخذ الماء من الأنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه ، والغلام يأخذ من الأنية بيديه ويضرب وجهه ، وكانت الجارية تصب الماء صباً ، وكان الغلام يحذر الماء على ساعده حذراً ، فميز بينهم بذلك ، ثم رد سليمان الهدية (١) .

* بيان الإسرائيليات التي في قصة سليمان مع الهدد :

١ - سبب غياب الهدد :

وعن سبب غياب الهدد ذكر الخطيب الشربيني رحمه الله أن سليمان لما خرج من مكة جهة اليمن ، نزل في أرض خضراء ليصلى ويتغدى ، فاستغل الهدد انشغال سليمان بالنزول ، فطار في السماء فرأى بستاناً لبلقيس فنزل فيه على هدهد اليمن . وقد ذكر الإمام الطبري عدة روايات في سبب تفقد سليمان للطير وهي مروية من طرق لم تصح عند الطبري رحمه الله فقال بعد إيرادها : (والله أعلم بأى ذلك كان إذ لم يأتنا بأى ذلك كان تنزيل ، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح) (٢) .

ومن الإسرائيليات في هذه القصة تسمية هدهد سليمان وهدهد اليمن ، وهذا أمر يحتاج إلى دليل يؤيده وخبر يعضده ، ولا دليل عليه من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ ، بل هو من الزيادات المروية عن أهل الكتاب .

٢ - المبالغة في وصف الهدية :

وعن وصف الهدية التي بعثت بها ملكة اليمن إلى سليمان ذكر الخطيب

(١) السراج المنير ٣ / ٥٤ .

(٢) جامع البيان ١٩ / ١٤٤ .

رحمه الله أوصافاً مختلفة لها ، وربما كان هذا الاختلاف من الأدلة الواضحة على أنها من صنع خيال واسع ، فقد ذكر أنها أرسلت إليه بلبينات من ذهب في حرير وديباج ، وذكر أيضاً أنها كانت أربع لبينات من ذهب ، وقيل : بعثت إليه بخمسمائة لبنة من ذهب ، وخمسمائة لبنة من فضة ، وهذه الأوصاف الدقيقة لا مجال لفهمها ولا طريق لمعرفة إلا الكتاب والسنة ، ولم يدل شيء منهما على ذلك ، قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر قصة الهدد مع سليمان وقصة ملكة سبأ ولم يرتض ما قيل في تلك القصة من تفاصيل قال : (والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سأمهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل من الأوابد^(١) والغرائب مما كان وما لم يكن ومما حرف ويدل ونسخ ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ والله الحمد والمنة)^(٢) .

* * *

(١) الأوابد : الدواهي .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٦٦ .

* الإسرائيليات في أصل عقدة لسان موسى عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ واحلل عقدة من لساني ﴾^(١).

قال الخطيب الشربيني : (قال ابن عباس : كان في لسانه ﷺ رثة وذلك أن موسى ﷺ كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره ، فلطم فرعون لطمه وأخذ بلحيته ، فقال فرعون لآسية امرأته : إن هذا عدوى ، وأراد أن يقتله ، فقالت له آسية امرأته : إنه صبي لا يعقل ولا يميز ، وفي رواية أن أم موسى لما فطمته ردتها إلى فرعون ، فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته يربيه ، واتخذه ولداً ، فبينما هو ذات يوم يلعب بين يدي فرعون ويديه ، قضيب يلعب به ، رفع القضيب ، فضرب به رأس فرعون ، فغضب فرعون وتطير بضربه ، وهم بقتله فقالت آسية : أيها الملك إنه صغير لا يعقل ، جربه إن شئت ، فجاءت بطشتين في أحدهما جمر وفي الآخر جوهر ، فأراد أن يأخذ الجواهر ، فأخذ جبريل يد موسى ﷺ فوضعها على النار ، فأخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة ، وقيل قربا إليه تمرة وجمرة فأخذ الجمرة فجعلها في فيه فاحترق لسانه)^(٢).

* بيان ما في الموضوع من إسرائيلييات :

١ - ما روى أن موسى ضرب فرعون ، وأنه تطير منه وأراد قتله بسبب تلك الضربة ، وأنه أراد قتله لما فعل ذلك ، وأن زوجته تدخلت وقالت : إنه لا يعقل ودلت على قولها بأن جاءت بطشتين في أحدهما جوهر وفي الآخر جمر ، فأخذ موسى الجمر ، وقد أورد هذا الأثر الطبري في تفسيره من طريق السدي قال :

(١) سورة طه الآية ٢٧ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٤٥٩ .

حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط عن السدي قال : ولما تحرك الغلام ، يعني موسى أورته أمه آسية صبياً ، فبينما هي ترقصه وتلعب به ، إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذه ، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها ، فقال فرعون : على بالذباحين ، قالت آسية : ﴿ لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ﴾^(١) إنما هو صبي لا يعقل ، وإنما صنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني أنا أضع له حلياً من الياقوت ، وأضع له جمرأ ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبي ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتاً من جمر ، فجاء جبريل صلى الله عليه وسلم ، فطرح في يده جمرة ، فطرحها موسى في فيه فأحرقت لسانه ، فهو الذي يقول الله عز وجل : ﴿ وأحل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ ، فزالت عن موسى من أجل ذلك^(٢) .

٢ - كذلك ما ورد في القصة أن جبريل عليه السلام أخذ يد موسى ووضعها على الجمر .

جاءت الرواية من طريق السدي وهو ضعيف كما مر معنا وأنه من الذين يروون عن أهل الكتاب . وليس هناك دليل صحيح يبين لنا أكثر مما في القرآن ، وقد أشار القرآن إلى طلب موسى صلى الله عليه وسلم من الله أن يحل عقدة من لسانه لأجل البيان ، ولم يبين لنا سبب العقدة ، ولو كان في معرفة سببها عبرة وموعظة لذكرت .

وأما ما ذكر من أن موسى صلى الله عليه وسلم أخذ الجمرة بيده ووضعها في فمه فبعيد من جهة الحس والواقع ، ذلك أن الجمرة من خصائصها الإحراق ،

(١) سورة القصص الآية ٩ .

(٢) جامع البيان ١٦ / ١٥٩ .

وأول مراحل المباشرة لها يكون باليد ، فبمجرد المباشرة يشعر بحراراتها ويلقيها بحركة لا إرادية ، أما أن يحملها بيده دون شعور بحرارتها ثم يضعها في فمه ، فبعيد ، وإن لم يكن بعيداً على قدرة الله ، ولكنه أمر لم يدل عليه دليل يؤخذ به .

إن معظم الروايات التي رويت في مجال قصص الأنبياء والتي ليس لها دليل أو برهان تقوم عليه وتستند إليه مروية عن أهل الكتاب ، ومع ذلك أخذ كثير من المفسرين هذه الروايات ذات المصدر الإسرائيلي ، ونقلوا أقوالاً مختلفة فيها من غير بيان للصحيح منها والسقيم ، قال الدكتور محمد حسين الذهبي : (إذا اختلف المتقدمون في شيء من هذا القبيل وكثرت أقوالهم ونقولهم فلا مانع من نقل المفسر لهذه الأقوال جميعاً ، على أن ينبه على الصحيح من الأقوال ، لأن مثل هذا العمل يعد ناقصاً لا فائدة فيه ما دام قد خلط الصحيح بالعليل ، ووضع أمام القارئ من الأقوال المختلفة ما يسبب له الحيرة والاضطراب)^(١) .

وهذا القصص الإسرائيلي ليس له قيمة في التفسير ، بل إنه مما يشين كتب المفسرين ، والخطيب الشربيني رحمه الله قد أورد هذا القصص في تفسيره من غير إشارة إلى الصحة أو البطلان .

* * *

(١) التفسير والمفسرون ١ / ١٨٢ .

● المبحث الثاني : موقفه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة :

اهتم الخطيب الشرييني رحمه الله بإيراد الأحاديث النبوية في تفسيره ، مع أنه يعد من مدرسة التفسير بالرأى ، واهتم بالأحاديث الصحيحة والحسنة وقد نص على أنه لم يورد من الأحاديث في تفسيره إلا الصحيح والحسن ، ومع ذلك جاءت عدة أحاديث ضعيفة لم ينبه على درجتها ، مع أنه نبه على بعض الأحاديث الضعيفة ، كما أنه تتبع الأحاديث الواردة في فضائل السور وحكم عليها بالوضع ، وإليك بعض الأمثلة في ذلك :

١ - قال الخطيب : (قال عليه الصلاة والسلام : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا^(١) .

قال في المقاصد الحسنة : (لا أصل له في المرفوع ، وإنما يؤثر عن بعض السلف ، وللبهقي في الشعب من طريق ثابت عن مطرف قال : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه ما رجح أحدهما على صاحبه^(٢)) .

قال العجلوني : (قال في الآلء : هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح ، وقال في المقاصد : لا أصل له في المرفوع ، وإنما يؤثر عن بعض السلف^(٣)) .

٢ - قال الخطيب الشرييني : (روى ابن ماجه وغيره من حديث صفوان ابن أمية قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فجاءه عمرو بن قره^(٤) ، فقال يا رسول الله إن الله قد كتب عليّ الشقوة فلا أرزق إلا من دفى بكفى ،

(١) السراج المنير ١ / ١٣ .

(٢) المقاصد الحسنة ص ٣٥٠ .

(٣) كشف الخفاء ٢ / ٢٣٤ .

(٤) هو عمرو بن مرة ، كما في ابن ماجه ٢ / ٨٧٢ والاستيعاب ٥ / ٤ برقم ١٩٥٢ ،

بذيل الإصابة ، وهو صحابى جليل توفى في خلافة معاوية .

فأذن لي في الغناء من غير فاحشة ، فقال : لا آذن ولا كرامة ، كذبت أي عدو الله ، لقد رزقك الله حلالاً طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه ، مكان ما أحل الله لك من حلاله (١) .

(وفي الروائد : في إسناده بشر بن نخير البصرى ، قال فيه يحيى القطان : كان ركناً من أركان الكذب ، وقال أحمد : ترك الناس حديثه ، وكذا قال غيره ، ويحيى بن العلاء ، قال أحمد : يضع الحديث وقريب منه ما قال غيره (٢) .

٣ - قال الخطيب الشربيني : (روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : رأيت ليلة أسرى بى رجلاً تقرض شفاهم بمقاريض من نار ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ، قال : هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب (٣) .

قال الشيخ عبد الرحمن البنا رحمه الله عن هذا الحديث في الفتح الرباني : (أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه للإمام أحمد وعبد بن حميد في تفسيره ، وابن مردويه في تفسيره ، وفي إسناده عند الجميع على بن زيد ابن جدعان وفيه كلام ، قال : وأخرجه ابن حبان في صحيحه وابن أبى حاتم وابن مردويه أيضاً من حديث هشام الدستوائى عن المغيرة يعنى ابن حبيب ختن (٤) مالك بن دينار عن مالك بن دينار ، عن ثمامة عن أنس فذكره ، وفي إسناده المغيرة بن حبيب الأزدي أبو صالح ، قال ابن حبان في الثقات : يغرب ، وقال الأزدي : منكر الحديث ، ذكره الحافظ في تعجيل المنفعة (٥) .

(١) السراج المنير ١ / ١٨ وابن ماجه ٢ / ٨٧١ ، باب المختين .

(٢) انظر ابن ماجه ٢ / ٨٧٢ .

(٣) السراج المنير ١ / ٥٥ وأنظر مسند الإمام أحمد ٣ / ١٢٠ .

(٤) ختن : صهر .

(٥) الفتح الرباني ٢٠ / ٢٥٧ .

٤ - قال الخطيب الشربيني : (قال رسول الله ﷺ في العباس : « هذا بقية آباءى »)^(١) .

وفي مجمع الزوائد: (قال رسول الله ﷺ: « احفظونى فى العباس فإنه بقية آباءى » ، رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم . وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالعباس خيراً ، فإنه بقية آباءى ، فإنما عم الرجل صنو أبيه » رواه الطبرانى وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف ووثقه ابن حبان ، وقال : ربما أخطأ ، وبقية رجاله وثقوا)^(٢) .

٥ - قال الخطيب الشربيني رحمه الله : (روى البيهقى وغيره أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : (إني والجن والأنس فى نبأ عظيم ، أخلق وبعيد غيرى ، وأرزق ويشكر غيرى))^(٣) .

قال المناوى : (أخرجه الحكيم الترمذى والبيهقى والحاكم عن أبى الدرداء لكن الحكيم لم يذكر له سندا ، فكان اللائق عدم عزوه إليه ، ثم إن فيه عند منخرجه البيهقى كالحاكم : مهنا بن يحيى مجهول ، وبقية بن الوليد أورده الذهبى فى الضعفاء ، وقال : يروى عن الكذابين ويدلسهم ، وشریح ابن عبيد ثقة لكنه مرسل)^(٤) .

٦ - قال الخطيب الشربيني رحمه الله : (قال ﷺ : طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان رواه أبو داود والترمذى وغيرهما)^(٥) .

أورد أبو داود فى كتاب الطلاق قال : (حدثنا محمد بن سعود ، ثنا

(١) السراج المنير ١ / ٩٥ .

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ٢٦٩ .

(٣) السراج المنير ١ / ١٠٦ .

(٤) فيض القدير ٤ / ٤٦٩ .

(٥) السراج المنير ١ / ١٤٧ .

أبو عاصم عن ابن جريج عن مظاهر ، عن القاسم بن محمد عن عائشة عن
النبي ﷺ قال : (وطلاق الأمة تطليقتان ، وقرؤها حيضتان) قال أبو داود
وهو حديث مجهول (١) .

وذكره الإمام الترمذى أيضاً وفيه مظاهر بن أسلم قال الترمذى
(حديث عائشة حديث غريب ، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث مظاهر
ابن أسلم . ومظاهر لا نعرف له في العلم غير هذا الحديث) (٢) .

ورواه ابن ماجه من حديث ابن عمر وفيه عطية العوفى متفق على
تضعيفه (٣) . قال ابن كثير : (رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ولكن
مظاهر هذا ضعيف وقال الحافظ الدارقطنى وغيره : الصحيح أنه من قول
القاسم بن محمد نفسه ، ورواه ابن ماجه من طريق عطية العوفى عن ابن عمر
مرفوعاً قال الدارقطنى : والصحيح ما رواه سالم ونافع عن ابن عمر قوله) (٤) .

قال الذهبى : (مظاهر بن أسلم ، قال البخارى : ضعفه أبو عاصم
وقال يحيى بن معين : ليس بشيء له تطليق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ،
قال الترمذى : لا يعرف له سواه ، وقال النسائى ضعيف) (٥) . وقال عنه
الحافظ ابن حجر فى التهذيب : (قال أبو حاتم منكر الحديث ضعيف
الحديث) وقال أبو داود : رجل مجهول وحديثه فى طلاق الأمة منكر) (٦) .

٧ - قال الخطيب الشربينى : (قال ﷺ : كل قنوت فى القرآن فهو

(١) سنن أبى داود ٢ / ٢٥٨ .

(٢) سنن الترمذى ٣ / ٤٧٩ فى كتاب الطلاق ح (١١٨٢) .

(٣) انظر سنن ابن ماجه ١ / ٦٧٢ فى كتاب الطلاق ح (١٠٧٩) .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٢٦٩ .

(٥) ميزان الاعتدال ٤ / ١٣٠ ، ١٣١ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٠ / ١٨٣ .

قال المناوى : قال الهيثمي : في إسناده أحمد وأبو يعلى بن لهيعة وهو ضعيف وقد يحسن حديثه ، وأقول : فيه دراج عن أبي الهيثم قال عنه أحمد : أحاديثه مناكير^(٢) .

٨ - قال الخطيب الشربيني : (روى أن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء ، ثم قرأ ابن عمر الآية ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾^(٣) .

قال ابن كثير : (وقال ابن جرير رحمه الله ، حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا حفص بن سليمان ، عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال : قال صلى الله عليه وسلم : إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ، ثم قرأ ابن عمر ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ وهذا إسناده ضعيف ، فإن يحيى بن سعيد هو أبو زكريا العطار الحمصي وهو ضعيف جداً^(٤) . وفي إسناده حفص بن سليمان الأسدي وهو ضعيف ، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال : (وكان ثبناً في القراءة واهياً في الحديث ، لأنه كان لا يتقن الحديث ويتقن القرآن ويجوده ، وإلا فهو في نفسه صادق ، قال يحيى بن معين : ليس بثقة ، وقال البخاري : تركوه ، وقال أبو حاتم : متروك لا يصدق ، وقال ابن خراش : كذاب يضع الحديث ، وقال ابن عدى : عامة أحاديثه غير محفوظة ، وقال ابن حبان :

(١) السراج المنير ١ / ١٥٦ .

(٢) فيض القدير ٥ / ١٨ .

(٣) السراج المنير ١ / ١٦٥ ، سورة البقرة الآية ٢٥١ .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٣ .

يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع^(١) . وقال عنه الحافظ في التهذيب : (قال ابن المديني ضعيف الحديث ، وتركته على عمد . وقال الجوزجاني : قد فرغ منه من دهر ، وقال البخاري : تركوه ، وقال مسلم : متروك الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، وقال صالح بن محمد : لا يكتب حديثه ، وأحاديثه كلها مناكير ، وقال الساجي ، يحدث عن سماك وغيره أحاديث بواطيل ، وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال : لا يكتب حديثه ، وهو ضعيف الحديث لا يصدق ، متروك الحديث ، وقال أبو أحمد الحاكم ذاهب وحكى ابن الجوزي في الموضوعات عن عبد الرحمن بن مهدي قال : والله ما تحل الرواية عنه وقال الدارقطني : ضعيف^(٢) .

٩ - قال الخطيب الشرييني رحمه الله : (وعن جابر بن عبد الله : أن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده ، وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم^(٣) .

الحديث أخرجه الإمام الطبري في تفسيره مرفوعاً وفي إسناده يحيى ابن سعيد العطار الحمصي قال عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره : (وهو ضعيف جداً^(٤)) . وقال عنه ابن أبي حاتم : (حدثنا عنه أبو حميد أحمد ابن محمد ابن سيار الحمصي ، أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا محمد بن عوف الحمصي قال : سمعت يحيى بن معين يضعف يحيى بن سعيد العطار صاحبنا وذكر أنه روى أحاديث منكراً^(٥)) .

(١) ميزان الاعتدال ١ / ٥٥٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٤٠٠ وما بعدها .

(٣) السراج المنير ١ / ١٦٥ وانظر جامع البيان ٢ / ٦٣٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٣ .

(٥) الجرح والتعديل ٩ / ١٥٢ .

وفي التقريب (يحيى بن سعيد العطار : ضعيف)^(١) .

هذه بعض الأمثلة من الأحاديث التي ذكرها الخطيب الشرييني في تفسيره على اعتبار أنها صحيحة أو حسنة ، لأنه ذكر أنه لم يورد في تفسيره إلا الصحيح أو الحسن وأما ما عدا ذلك من الأحاديث فيذكرها ويعقب عليها ، كما حصل منه في تتبعه لليضاوى والزخشرى في الأحاديث التي رويت في فضائل السور ، كما بين درجة بعض الأحاديث الأخرى ، وإليك بعض الأمثلة التي توضح ذلك : قال الخطيب الشرييني رحمه الله : (وعن أبي غالب القطان قال : أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش وكنت أختلف إليه ، فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة فقام من الليل يتهدج فمر بهذه الآية ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم ﴾^(٢) إلى آخرها ثم قال الأعمشى : وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لى عند الله وديعة .. ثم قلت إني سمعتك ترددها فما بلغك فيها ، قال : والله لأحدثك بها إلى سنة ، فمكثت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة ، فلما مضت السنة قلت : يا أبا محمد قد مضت السنة ، فقال : جدثنى أبو وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله : إن لعبدى هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد ، أدخلوا عبدي الجنة » ، قال الخطيب بعد ذكره الحديث : (روى هذا الحديث الطبراني والبيهقي لكن بسند ضعيف)^(٣) . وفي مجمع الزوائد (وفيه عمر ابن المختار وهو ضعيف)^(٤) .

(١) تقريب التهذيب ٢ / ٣٤٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨ .

(٣) السراج المنير ١ / ٢٠٣ .

(٤) مجمع الزوائد ٧ / ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾^(١) الآية .

قال الخطيب الشرييني : (قال رسول الله ﷺ : « من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً » رواه الترمذى وضعفه)^(٢) .

قال الترمذى : (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال)^(٣) . وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات^(٤) .

قال الخطيب الشرييني رحمه الله : (قال رسول الله ﷺ « لا عبادة كالتفكير »^(٥) فشرح معنى التفكير فقال : (لأنه المخصوص بالقلب ، والمقصود من الخلق ثم بين وجه الحديث فقال : لكن رواه البيهقى وغيره وضعفوه)^(٦) .
* وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾^(٧) .

أورد الخطيب الشرييني رحمه الله الخلاف فى السجود عند قراءة هذه الآية وبين حجة القائلين بالسجود وهو ظاهر الأمر فى الآية ، وكذلك أورد لهم دليلاً من السنة فقال : ولقوله ﷺ : « فضلت سورة الحج بسجدين من لم يسجدهما فلا يقرأهما » ثم قال عنه حديث ضعيف^(٨) .

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

(٢) السراج المنير ١ / ٢٣٥ .

(٣) سنن الترمذى ٣ / ١٦٨ .

(٤) الموضوعات لابن الجوزى ٢ / ٢٠٩ .

(٥) السراج المنير ١ / ٢٧٥ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) سورة الحج الآية ٧٧ .

(٨) السراج المنير ٢ / ٥٦٧ .

والحديث رواه أبو داود في سننه قال : (حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، أن مشرح بن هاعان أبا المصعب حدثه ، أن عقبة بن عامر حدثه قال : قلت : لرسول الله ﷺ : أفي سورة الحج سجدتان قال : « نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما »^(١) وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير : ضعيف^(٢) .

- وقد تتبع الخطيب الشربيني رحمه الله الأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضائل السور وبين ذلك في ختام كل سورة فمثلاً :

* في آخر تفسيره لسورة آل عمران قال : (روى الطبري ، لكن بسند ضعيف « من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس » أي تغيب)^(٣) ثم قال : (وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من أنه ﷺ قال : « من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم » فهو من الأحاديث الموضوعة على أبي بن كعب في فضائل السور فليتنبه لذلك ويحذر منه ، وقد نبه أئمة الحديث قديماً وحديثاً على ذلك وعابوا على من أورده من المفسرين في تفاسيرهم)^(٤) .

* وفي آخر تفسير سورة التوبة أورد حديثاً في فضلها وبين درجته فقال : (وما رواه البيضاوي رحمه الله تبعاً للكشاف من أنه ﷺ قال : « ما أنزل على القرآن إلا آية وحرفاً ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد ، فاتهما أنزلا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة ، حديث منكر)^(٥) .

* وكذلك ما ورد في فضل سورة الأنبياء من أنه ﷺ قال : « من

(١) سنن أبي داود ٢ / ٥٨ .

(٢) ضعيف الجامع الصغير ٤ / ٩٥ .

(٣) السراج المنير ١ / ٢٧٧ .

(٤) السراج المنير ١ / ٢٧٧ .

(٥) السراج المنير ١ / ٦٦٣ .

قرأ ﴿ اقتراب ﴾ حاسبه الله حساباً سيراً و صافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن « قال عنه الخطيب إنه حديث موضوع »^(١) .

* وقال الخطيب الشربيني رحمه الله : (وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه قال : من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والأرض ، وأدرك ما صنع في يومه وليلته « فهو حديث موضوع رواه الثعلبي في تفسيره »^(٢) .

* قال الخطيب رحمه الله : (وقول البيضاوي تبعاً للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رقيقاً ومصافحاً حديث موضوع)^(٣) .

* وقال رحمه الله : (وما رواه البيضاوي عنه صلى الله عليه : « أن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس وأى مسلم قرىء عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون قبض روحه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه ، وأى مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشرية من الجنة فيشربها وهو على فراشه ، فيقبض روحه وهو ريان ، ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان حديث موضوع »^(٤) .

* وقال الخطيب الشربيني رحمه الله : (وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه قال : من قرأ سورة حم الجاثية ستر الله عورته يوم الحساب

(١) السراج المنير ٢ / ٥٣٥ .

(٢) السراج المنير ٣ / ١٧٩ .

(٣) السراج المنير ٣ / ٣١٠ .

(٤) السراج المنير ٣ / ٣٦٨ .

حديث موضوع) (١).

* وقال الخطيب رحمه الله : (وما رواه البيضاوى تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه قال : « من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه فتح مكة حديث موضوع) (٢) .

* قال الخطيب رحمه الله : (وما رواه البيضاوى تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه قال : « من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه حديث موضوع) (٣) .

* قال الخطيب رحمه الله وما رواه البيضاوى تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه قال : من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حديث موضوع) (٤) .

* قال الخطيب رحمه الله : (وقول البيضاوى تبعاً للزمخشري إن النبي صلى الله عليه قال من قرأ سورة الزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة حديث موضوع) (٥) .

* قال الخطيب الشربيني رحمه الله : (وقول البيضاوى تبعاً للزمخشري إن النبي صلى الله عليه قال من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني » حديث موضوع) (٦) .

ونكتفي بهذه الأمثلة التي تبين منهج الخطيب الشربيني في تفسيره وموقفه من الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ورأينا أنه أكثر من القصص الإسرائيلى من غير أن يتعقبه، كما نبه على كثير من الأحاديث الضعيفة وتعقب البيضاوى والزمخشري في الأحاديث الموضوعة في فضائل السور .

* * *

(١) السراج المنير ٣ / ٦٠٣ .

(٢) السراج المنير ٤ / ٥٩ .

(٣) السراج المنير ٤ / ١٧٨ .

(٤) السراج المنير. ٤ / ٢٥٩ .

(٥) السراج المنير ٤ / ٤٣٤ .

(٦) السراج المنير ٤ / ٥٥٧ .

○ الفصل السابع ○

عنايته بالمناسبات والنكت التفسيرية والمشكلات القرآنية

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : عنايته بالمناسبات .
- المبحث الثاني : عنايته بالنكت التفسيرية .
- المبحث الثالث : عنايته بالمشكلات القرآنية .

* * *

● المبحث الأول : عنايته بالمناسبات :

إن معرفة المناسبة بين السور والآيات يعين على معرفة التفسير ودقة الفهم ، وقد اهتم بهذا الفن بعض المفسرين فأفرده بالتأليف مثل : الإمام البقاعي^(١) ، والسيوطي^(٢) وغيرهما . قال السيوطي :

(وعلم المناسبة علم شريف ، قلّ اعتناء المفسرين به لدقته .

ومن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي فقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)^(٣) .

والمناسبة في اللغة : المشاكلة ، قال ابن فارس : النون والسين والباء كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء ، منه النسب ، سمي لاتصاله وللاتصال به^(٤) .

قال الزركشي : (ومنه المناسبة في العلة في باب القياس : الوصف المقارب للحكم ، لأنه إذا حصلت مقارنته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ، ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما)^(٥) .

والمناسبة في التفسير يبحث فيها عن وجه ارتباط الآية بما قبلها أو بين الآيات المتعددة أو بين السورة اللاحقة للسورة السابقة .

قال الشيخ مناع القطان : (والمراد بالمناسبة هنا : وجه الارتباط بين

(١) وكتابه : نظم الدرر في تناسب الآي والسور .

(٢) وكتابه : تناسق الدرر في تناسب السور .

(٣) انظر الإتقان ٢ / ١٣٨ ، والبرهان ١ / ٣٦ .

(٤) مقياس اللغة (نسب) .

(٥) البرهان ١ / ٣٥ .

الجملة والجملة في الآية الواحدة ، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة ،
أو بين السورة والسورة) (١) .

ومن فوائد معرفة المناسبة دقة التفسير وحسن التعبير ، وانتظام الكلام
ومعرفة الإعجاز القرآني ، وروعة بيانه ، وجمال أسلوبه .
قال الزركشي في البرهان: (وفائده جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً
بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء
المحكم المتلائم الأجزاء) (٢) .

ودراسة المناسبات لم تلق اهتماماً كبيراً من الباحثين في الدراسات
القرآنية قديماً وحديثاً ، ولعل ذلك يرجع إلى أن هذا الفن يعتمد كل الاعتماد
على استنباط المفسر واجتهاده ، ومعرفته بأوجه البيان وتذوقه لإعجاز القرآن ،
وأنه ليس له سند من كتاب أو سنة ، يعتمد عليه ، وأن فيه كثير من
التكلف ، قال الشيخ القطان : (ومعرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست
أمرأً توقيفياً ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن
وأسراره البلاغية وأوجه بيانه الفريد ، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى ، منسجمة
مع السياق ، متفقة مع الأصول اللغوية من علوم العربية ، كانت مقبولة لطيفة ،
ولا يعني هذا أن يلتمس المفسر لكل آية مناسبة ، فإن القرآن الكريم نزل منجماً
حسب الوقائع والأحداث ، وقد يدرك المفسر ارتباط آياته ، وقد لا يدركها ،
فلا ينبغي أن يعتسف المناسبة اعتسافاً ، وإلا كانت تكلفاً ممقوتاً) (٣) .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام (٤) : (المناسبة علم حسن ،

(١) مباحث في علوم القرآن ص ٩٧ .

(٢) البرهان ١ / ٣٦ .

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ٩٨ .

(٤) هو أبو محمد عز الدين بن عبد السلام الدمشقي ثم المصري ، الشافعي الملقب بسليمان
العلماء ، والمشهور بالعز بن عبد السلام ، انظر شذرات الذهب ٥ / ٣٠١ .

ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله
بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر ،
ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصاب عنه
حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في
أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض (١).

ومن الذين اهتموا بالمناسبة في تفاسيرهم الخطيب الشربيني رحمه الله
فقد اعتنى بإبراز المناسبات بين فواتح بعض السور لخواتم ما قبلها وكذلك
صلة الآيات بما قبلها ، وإليك بعض الأمثلة التي تبين منهج الخطيب في ذلك :

* قال رحمه الله في بيان مناسبة أول سورة الحج لأخر سورة الأنبياء :

(ولما ختمت السورة التي قبل هذه بالترهيب من الفزع الأكبر وطى
السماء ، وإتيان ما يوعدون ، وكان أعظم ذلك يوم الدين ، افتتحت هذه
السورة بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم بقوله تعالى : ﴿ يا أيها
الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ (٢) .

* وفي مناسبة فاتحة سورة العنكبوت لخاتمة صورة القصص قال رحمه الله :
(ولما قال تعالى في آخر السورة المتقدمة ﴿ وادع إلى ربك ﴾ وكان في الدعاء
إليه الحراب والضراب والطعان ، لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا مأمورين
بالجهاد، فشق على البعض ذلك فقال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا ﴾ الآية
أظنوا أنهم يتركون بغير اختبار وابتلاء في وقت ما بوجه من الوجوه (٣) .

(١) البرهان ١ / ٣٦ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٥٣٥ .

(٣) السراج المنير ٣ / ١٢٣ .

* وقال الخطيب في مناسبة أول سورة الروم لآخر سورة العنكبوت : (قال البقاعي : لما ختم سبحانه وتعالى التي قبلها بأنه من المحسنين قال : ﴿ ألم ﴾ مشيراً بألف القيام والعلو ، ولام الوصلة وميم التمام إلى أن الله الملك الأعلى القيوم أرسل جبريل ﷺ الذي هو وصلة بينه وبين أنبيائه عليهم السلام إلى أشرف خلقه محمد ﷺ المبعوث لإتمام مكارم الأخلاق ، يوحى إليه وحياً معلماً بالشاهد والغائب ، فيأتي الأمر على ما أخبر به دليلاً على صحة رسالته وكال علم مرسله وشمول قدرته ووجوب وحدانيته (١) .

نقل الخطيب رحمه الله قول البقاعي في هذه المناسبة ولم يعقب عليه مع أنه قول متكلف لا تؤيده اللغة ، وليس بينهما رابط متحد ، وهذا من اعتساف المناسبة الممقوت . واجتهاد السيوطي في استنتاج المناسبة بين السورتين أنسب من قول البقاعي ، قال السيوطي : (أقول ظهر في اتصالها بما قبلها ، أنها ختمت بقوله : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ (٢) .

فافتتحت هذه بوعد من غلب من أهل الكتاب بالغلبة والنصر ، وفرح المؤمنون بذلك ، وأن الدولة لأهل الجهاد فيه ، ولا يضرهم ما وقع لهم قبل ذلك من هزيمة (٣) .

* وفي مناسبة أول الحجرات لما قبلها قال الخطيب رحمه الله في ذلك : ولما نوه سبحانه في القتال بذكر النبي ﷺ وصرح في ابتدائها باسمه الشريف ، وسمى السورة به ، وملاً سورة الفتح بتعظيمه وختمها باسمه ومدح أتباعه لأجله ، افتتح هذه باشتراط الآداب معه في القول والفعل فقال تعالى :

(١) السراج المنير ٣ / ١٥٥ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

(٣) تناسق الدرر ص ١٠٩ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ... ﴾^(١) الآيات .

* وفي بيان مناسبة سورة الطور للذاريات قال الخطيب الشربيني رحمه الله :
(مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم ، وبيان الحشر
فيهما)^(٢) .

وذكر السيوطي وجهاً آخر لتناسيها فقال : (وجه وضعها بعد
الذاريات : تشابههما في المطلع والمقطع ، فإن في مطلع كل منهما صفة حال
المتقين بقوله : ﴿ إن المتقين في جنات ﴾^(٣) الآيات .

وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار بقوله في تلك : ﴿ فويل للذين
كفروا ﴾^(٤) وفي هذه ﴿ فالذين كفروا ﴾^(٥) .

* قال الخطيب الشربيني في وجه مناسبة أول سورة الرحمن لآخر سورة
القمر : (أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها ، لأن آخر تلك ﴿ ملك
مقتدر ﴾ وأول هذه أنه رحمن)^(٦) .

* وفي مناسبة أول سورة الجن لسورة نوح قال الخطيب الشربيني : (ولما
كان نوح صلى الله عليه وسلم أول رسول أرسله الله تعالى إلى المخالفين من أهل الأرض ،
وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبي فهو آخر رسول بعثه الله تعالى إلى أهل
الأرض ، ناسب ذكره بعد نوح)^(٧) .

- بالإضافة إلى عناية الخطيب بالمناسبات بين السور اعتنى كذلك

(١) السراج المنير ٤ / ٥٩ .

(٢) السراج المنير ٤ / ١١٠ .

(٣) سورة الذاريات الآية ١٥ ، وسورة الطور الآية ١٧ .

(٤) سورة الذاريات الآية ٦٠ ، والطور الآية ١٧ .

(٥) تناسق الدرر ص ١١٩ .

(٦) السراج المنير ٤ / ١٥٧ .

(٧) السراج المنير ٤ / ٣٩٧ .

بالمناسبة بين الآيات وبين وجه الارتباط بينها .

* ففى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ﴾^(١) .

قال مبيناً وجه ارتباط الآية بما قبلها : (ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها : أنهم سألوا عن الحكمة فى اختلال حال القمر وعن حكم دخولهم بيوتهم من غير أبوابها ، أو أنه تعالى لما ذكر أنها مواقيت الحج ، وهذا أيضاً من أفعالهم فى الحج ، فذكره للاستطراد ، وأنهم لما سألوا عما لا يعينهم ولا يتعلق بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ، ويهتموا بالعلم بها ، أو على أن المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه^(٢) .

* وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾^(٣) الآية :

(ولما ذكر تعالى فضائل الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وما أعد لهم من الثواب بين تعالى أن فوق منزلتهم منازل أعلى وأعظم منها)^(٤) .
قال الشوكانى فى المناسبة نفسها : (لما ذكر سبحانه أصناف الأعراب ذكر المهاجرين والأنصار ، وبين أن منهم السابقين إلى الهجرة ، وأن منهم التابعين لهم)^(٥) .

وقال القاسمى : (ولما بين تعالى فضيلة مؤمنى الأعراب بما تقدم تأثره

(١) سورة البقرة الآية ١٨٩ .

(٢) السراج المنير ١ / ١٢٦ .

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٠ .

(٤) السراج المنير ١ / ٦٤٤ .

(٥) فتح القدير ٢ / ٣٩٨ .

بيان من هم فوقهم بمنازل من الفضيلة والكرامة (١) .

* وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضَّرَّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قائماً ﴾ (٢) .

بين الخطيب رحمه الله مناسبة الآية لما قبلها ، ففي الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم ﴾ (٣) . الآية ، فإنهم كانوا يستعجلون الشر وذلك قولهم : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ (٤) . قال رحمه الله (ولما حكى تعالى عنهم أنهم يستعجلون في نزول العذاب بين أنهم كاذبون في ذلك الطلب والاستعجال بقوله تعالى : ﴿ إذامس الإنسان ﴾ (٥) الآية .

* وفي مناسبة قوله تعالى : ﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾ (٦) . لما قبلها قال الخطيب : (ولما ذكر تعالى قصة عاد خاطب أمة محمد ﷺ فقال : ﴿ وتلك عاد ﴾ وهو إشارة إلى قبورهم وآثارهم ، كأنه تعالى قال : سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ، ثم إنه تعالى جمع أوصافهم ثم ذكر عاقبة أحوالهم في الدنيا والآخرة (٧) .

* وفي مناسبة قوله تعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ (٨) لما

(١) محاسن التأويل ٨ / ٣٢٤١ .

(٢) سورة يونس الآية ١٢ .

(٣) سورة يونس الآية ١١ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٣٢ .

(٥) السراج المنير ٢ / ٨ .

(٦) سورة هود الآية ٥٩ .

(٧) السراج المنير ٢ / ٦٥ .

(٨) سورة الفرقان الآية ٢ .

قبله قال الخطيب الشربيني : (ولما نفى تعالى الشريك فكأن قائلاً يقول : ههنا أقوام يعترفون بنفى الشريك والشركاء ، والأنداد ، ومع ذلك يقولون بخلق أفعال أنفسهم ، فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ وخلق كل شيء ﴾ الآية . ثم قال : (ولما وصف نفسه سبحانه وتعالى بصفات الجلال والعزة والعلو ، أردفه بتزييف مذهب من يعبد غيره من وجوه منها :

أنها ليست خالقة للأشياء بقوله تعالى : ﴿ لا يخلقون شيئاً ﴾^(١) والإله يجب أن يكون قادراً على الخلق والإيجاد ، ومنها أنها مخلوقة بقوله تعالى : ﴿ وهم يخلقون ﴾ والمخلوق محتاج ، والإله يجب أن يكون غنياً ، وغلب العقلاء على غيرهم لأن الكفار كانوا يعبدون العقلاء كعزير والمسيح والملائكة ، وغيرهم كالكواكب والأصنام التي ينحتونها ويصورونها ، ومنها أنها لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعاً ، ومن كان كذلك فليس بإله ، ومنها أنها لا تقدر على موت ولا حياة ولا نشور بقوله تعالى : ﴿ ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ أى بعثاً للأموات فيجب أن يكون المعبود قادراً على إيصال الثواب إلى المطيعين والعقاب إلى العصاة فمن لا يكون كذلك يجب أن لا يصلح للإلهية^(٢) .

وفي الآية دليل ورد على من قال : إن العباد يخلقون أفعالهم كالمعتزلة ، : * قال الخطيب الشربيني رحمه الله في بيان مناسبة قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم ﴾^(٣) لما قبلها :

(ولما ذكر تعالى عقوبة الكفار وخسرانهم أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا ورجعهم في الآخرة)^(٤) .

(١) سورة الفرقان الآية ٣ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٦٢٧ .

(٣) سورة هود الآية ٢٣ .

(٤) السراج المنير ٢ / ٥١ .

والمناسبة هنا ظاهرة وحسنة فإن الله فصل أحوال الكافرين وبين نتيجة أعمالهم ، وهو الخسران المبين ، بين حال الفريق الآخر وهو فريق المؤمنين الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات ، فكان الجزاء الجنة والخلود فيها .

وقال الخطيب الشربيني رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾^(١) . في بيان صلة الآية بما قبلها (ولما ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة - مريم - التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين بين تعالى أنه يسر ذلك بلسان نبيه ﷺ بقوله : ﴿ فَأِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾^(٢) .

فإن الله يسر القرآن باللسان العربي وهو لسان النبي ﷺ وذكر لنا فيه أحوال السابقين ولولا تيسير الله ورحمته لما تأتى ذلك .

* وقال رحمه الله مبيناً مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً ﴾^(٣) . لما قبلها :

(ولما بين سبحانه وتعالى بالدلائل الباهرة كونه منزهاً عن الشريك والضد والند أردف ذلك ببراءته عن اتخاذ الولد بقوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً ﴾^(٤) . لأن بعض العرب يقول : إن الملائكة بنات الله فيبين تعالى أن كل من في السموات والأرض يأتي يوم القيامة عبداً ، والملائكة عباد مكرمون ، أكرمهم الله بالعصمة من الزلل ، فناسب نفى الولد بعد نفى الضد والشريك .

* قال الخطيب الشربيني رحمه الله في بيان مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ

(١) سورة مريم الآية ٩٧ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٤٤٧ .

(٣) سورة مريم الآية ٨٨ .

(٤) السراج المنير ٢ / ٥٠٢ .

نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين ﴿^(١)﴾ لما قبلها من آيات :

(ولما كان انقاذ بنى إسرائيل من القبط أمراً باهراً لا يكاد يصدق فضلاً عن أن يكون بإهلاك أعدائهم أكد سبحانه الأخبار بذلك إشارة إلى ما يحق له من العظمة تنبيهاً على أنه قادر أن يفعل بهذا النبي ﷺ وأتباعه كذلك ، وإن كانت قريش يرون ذلك محالاً وأنهم في قبضتهم فقال تعالى : ﴿ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين﴾ ^(٢) .

* وفى بيان وجه صلة قوله تعالى : ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ ^(٣) لما قبله ، قال الخطيب الشربيني رحمه الله فى ذلك :

ثم إنه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ، ذكر مدلوله وهو قدرته على الإعادة بقوله تعالى : ﴿ثم إذا دعاكم﴾ ^(٤) . فى الآيات التى قبل هذه الآية ذكر الله سبحانه وتعالى آيات قدرته فى هذا الكون الذى يعيشون فيه ويشاهدون تلك الآيات فناسب ذكر قدرته على البعث بعد تلك الآيات الدالة على قدرته وقوته وتوحيد وتفرد بهذا الملكوت .

* وفى قوله تعالى : ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ ^(٥) ، قال الخطيب رحمه الله فى بيانه لمناسبة هذه الآية لما قبلها :

(ولما كان الكافرون يتعززون باصنام كما قال تعالى : ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً﴾ ^(٦) ، والذين آمنوا بألسنتهم غير مواطئة

(١) سورة الدخان الآية ٣٠ .

(٢) السراج المنير ٣ / ٥٨٦ .

(٣) سورة الروم الآية ٢٥ .

(٤) السراج المنير ٣ / ٢٦٥ .

(٥) سورة فاطر الآية ١٠ .

(٦) سورة مريم الآية ٨١ .

قلوبهم ، كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى : ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتفون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾^(١) بين تعالى أن لا عزة إلا لله^(٢) .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام ﴾^(٣) ذكر الخطيب الشربيني رحمه الله مناسبة الآية لما قبلها فقال :

(ولما بين تعالى الدلائل على وجوب الإقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الإعراض عن الدنيا ولذاتها ، ذكر أن الأتفاع بهذه البيانات لا يكمل إلا إذا شرح الصدور ونور القلوب)^(٤) .

* وعند تفسير ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾^(٥) ، بين الخطيب الشربيني رحمه الله وجه صلة الآية لما قبلها فقال :

(ولما ذكر تعالى أن على كل نفس حافظاً أتبعه بوصية الإنسان بالنظر في حاله فقال تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾ حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يمل على حافظه إلا ما يسره في عاقبته)^(٦) .

* * *

(١) سورة النساء الآية ١٣٩ .

(٢) السراج المنير ٣ / ٤٤١ .

(٣) سورة الزمر الآية ٢٢ .

(٤) السراج المنير ٣ / ٤٤١ .

(٥) سورة الطارق الآية ٥ .

(٦) السراج المنير ٤ / ٥١٦ .

● المبحث الثاني : عنايته بالنكت التفسيرية :

كما اهتم الخطيب الشربيني رحمه الله بالمناسبات بين السور والآيات ، اهتم كذلك بالنكت التفسيرية ، والمراد بها هو محاولة معرفة الهدف من التعبير بلفظ دون لفظ ، أو التذييل باسم من أسماء الله دون الآخر أو الإتيان بالجمع في موضع الأفراد أو العكس ، أو غير ذلك من الأساليب القرآنية ، فإن كلام الله في أعلى مراتب الفصاحة ، ونزل بلغة ذات فصاحة وبيان ، فعندما يعبر بكلمة أو أسلوب أو عبارة فإن العرب تعلم قيمة ذلك التعبير وقوة بيانه والهدف من المجيء به في ذلك الموضع ، فاهتم كثير من المفسرين بهذه النكت ، ومنهم الخطيب الشربيني رحمه الله فقد اهتم بها وإليك بعض الأمثلة :

* قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴾^(١) :

فإن قيل : المغفرة هي الرحمة فلم كررها ونكرها ؟

أجيب : بأنه إنما نكرها إيذاناً بأن أدنى خير وأقل شيء خير من الدنيا وما فيها ، وأما التكرير فغير مسلم لأن المغفرة مترتبة على الرحمة ، فيرحم ثم يغفر^(٢) .

فأصل الغفر : الستر قال في البصائر : (والغفران من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب)^(٣) .

فأصل الغفر : الستر قال في البصائر : (والغفران والمغفرة من الله

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٧ .

(٢) السراج المنير ١ / ١٥٩ .

هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب (١) .

وأما الرحمة : فقد جاءت على عدة معان منها : النعمة والمودة والإيمان والجنة وغيرها (٢) . قال الراغب : (والرحمة رقة تقتضى الإحسان إلى المرحوم وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو : رحم الله فلاناً ، وإذا وصف به البارى فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة) (٣) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ إنا لنراك في ضلال مبين ، قال يا قوم ليس بى ضلالة ﴾ (٤) .

ذكر الخطيب رحمه الله النكتة في تعبيره بالضلالة عند النفى فقال :
(فإن قيل : لم لم يقل ليس بى ضلال كما قالوا ؟ .

أجيب : بأن الضلالة أخص من الضلال ، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه ، كما لو قيل : ألك ثم فقلت : مالى ثمرة ، فقد بالغ في النفى كما بالغوا في الإثبات (٥) فإنهم بالغوا في وصفه بالضلال المبين فبالغ هو في النفى ، وهذا القول هو قول الزمخشري في كشافه ونقله عنه الخطيب ، وقد تعقب أحمد بن المنير صاحب الكشاف في قوله : إن الضلالة أخص من الضلال فقال : (تعليله كون نفيها أبلغ من نفي الضلال بأنها أخص منه غير مستقيم ، .. والتحقيق في الجواب أن يقال : الضلالة أدنى من الضلال وأقل لأنها لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة منه ، وأما الضلال فيطلق

(١) بصائر ذوى التمييز ٤ / ١٣٦ ، وانظر المفردات ص ٣٦٢ .

(٢) انظر التصاريف ص ١٣٥ وما بعدها .

(٣) المفردات ص ١٩١ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٦٠ ، ٦١ .

(٥) السراج المنير ١ / ٤٨٤ .

على القليل والكثير من جنسه ونفى الأدنى أبلغ من نفي الأعلى ، لا من حيث كونه أخص ، وهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى^(١) .
* وفي قوله تعالى : ﴿ يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾^(٢) الآية .

كان قوم هود أصحاب قوة وبأس ، وكذلك أصحاب زراعة ، فكانوا بحاجة إلى الماء الكثير ، والقوة التي تجعلهم يسودون غيرهم ، قال الخطيب الشربيني رحمه الله عند تفسير هذه الآية موضحاً الحكمة من التعبير في ادرار الماء وزيادة القوة لقوم هود :

(وإنما رغبتهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زرع وبساتين وعمارات حراساً عليها أشد الحرص ، فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مذليين غيرهم بما أوتوا من القوة والبطش والبأس والنجدة مهابين من كل ناحية)^(٣) .

* ومن النكت التعبير بلفظ الماضي مع أن السياق يقتضى أن يعبر بالمضارع ففى قوله تعالى : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾^(٤) فإنه قال : فأوردهم ولم يقل : فيوردهم ، علل الخطيب لذلك فقال : (فإن قيل : لم لم يقل : يقدم قومه فيوردهم النار ، بل أتى بلفظ الماضي ؟ .

أجيب : بأنه إنما أتى بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ، ونزل النار له منزلة الماء ، فسمى إتيانها مورداً^(٥) فدل لفظ الماضي على تحقق وقوع الفعل ، مبالغة في ذلك كأنه وقع .

(١) الإنصاف مع الكشاف ٢ / ٨٥ .

(٢) سورة هود الآية ٥٢ .

(٣) السراج المنير ٢ / ٦٢ .

(٤) سورة هود الآية ٩٨ .

(٥) السراج المنير ٢ / ٧٧ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ الآية وقال في الآية التي تليها ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾^(١) الآية .

في الآية الأولى قدم الزانية على الزاني ، وفي الثانية قدم الزاني ، وورد تقديم كل واحد منهما في سياق معين ، وكلام الله في أعلى مراتب البيان وكل لفظ يؤدي معنى معيناً ، وقد أجاب الخطيب رحمه الله عن ذلك بقوله : (فإن قيل : لم قدمت الزانية على الزاني أولاً ثم قدم عليها ثانياً ؟ أجيب : بأن تلك الآية سقت لعقوبتهما على ما جنيا ، والمرأة هي عادة التي منها نشأت الجناية ، لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن ، فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدىء بذكرها ، وأما الثانية ، فمسوقة لذكر النكاح ، والرجل أصل فيه ، لأنه الراغب فيه والخطاب ومنه يبدو الطلب)^(٢) .

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : (وقدم ذكر الزانية على الزاني للاهتمام بالحكم لأن المرأة هي الباعث على زنى الرجل وبمساعفتها الرجل يحصل الزنى ولو منعت المرأة نفسها ما وجد الرجل إلى الزنى تمكيناً ، فتقديم المرأة في الذكر لأنه أشد في تحذيرها ، وفي الآية الثانية قال : وابتدئ في هذه الآية بذكر الزاني قبل ذكر الزانية على عكس ما تقدم ، فإن سبب نزول هذه الآية كان رغبة رجل في تزوج امرأة تعودت الزنا ، فكان المقام مقتضياً للاهتمام بما يترتب على هذا السؤال من مذمة الرجل الذي يتزوج مثل تلك المرأة)^(٣) . وبهذا يتبين حكمة تقديم الزانية في الأولى وتأخيرها في الثانية ،

(١) سورة النور الآية ٣ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٥٩٨ .

(٣) التحرير والتنوير ١٨ / ١٤٦ ، ١٥٧ .

فهى فى الأولى هى السبب والباعث فقدمت لتقدمها فى الفعل وفى الثانية قدم الرجل عليها لأنه هو الذى يخطب ويتزوج وهو الأصل فقدم .
 * قال الخطيب الشربينى رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء ﴾ (١) :

(فإن قيل : لم عبر تعالى بالقرية وهى قرى ؟

أجيب : بأنه تعالى قال ذلك تحقيراً لشأنها فى جنب قدرته تعالى ، وإهانة لمن يريد عذابه ، لانهماكهم على الفاحشة جميعهم حتى كانوا كأنهم شىء واحد (٢) ، وقد ذكر المفسرون أن القرية هى قرية قوم لوط واسمها سدوم ، ومنهم من ذكر أنها خمس قرى ، والذى ورد فى القرآن أنها قرية واحدة والله أعلم .

* وفى قوله تعالى : ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق ﴾ (٣) .

قال الخطيب (فإن قيل : لم نكر الرزق فى قوله تعالى : ﴿ لا يملكون لكم رزقاً ﴾ وعرفه فى قوله تعالى : ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ أجيب : بأنه نكره فى معرض النفى أى لا رزق عندهم أصلاً وعرفه عند الإثبات عند الله تعالى ، أى كل رزق عنده فاطلبوه منه وأيضاً الرزق من الله معروف لقوله تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ (٤) ، والرزق من الأوثان غير معلوم فنكره لعدم حصول العلم (٥) ، فالله قد نفى قدرة أصنامهم على كل رزق ولو قليلاً ، وأمر

(١) سورة الفرقان الآية ٤٠ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٦٦٢ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ١٧ .

(٤) سورة هود الآية ٦ .

(٥) السراج المنير ٣ / ١٢٩ .

بطلب الرزق من الله دفعاً لظنهم الرزق من أصنامهم ، وعرف الرزق بلام الجنس المستغرقة لكل رزق قل أو كثر ، وأصل الرزق العطاء المتجدد .
 * قال تعالى : ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (١) .
 قال الخطيب عند تفسيره لهذه الآية : (كما قدم السماء على الأرض قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الأرض ، وهو الإنبات والإحياء ، وكما أن في إنزال المطر وإنبات الشجر منافع ، كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة ، وهي أن البرق إذا لاح فالذى لا يكون تحت كَنِّ يخاف الابتلال فيستعد له ، والذي له صهر يج أو مصنع يحتاج إلى الماء ، أو زرع يسوى مجارى الماء ، وأيضاً أهل البوادي لا يعلمون البلاد المعشبة إن لم يكونوا قد رأوا البروق اللائحة من جانب دون جانب ، واعلم أن دلائل البرق وفوائده وإن لم تظهر للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين فلماذا جعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السماء نعمة وآية) (٢) .

* قال الخطيب رحمه الله معللاً لقوله تعالى في الخمر التي في الآخرة ﴿ لذة للشاربين ﴾ وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ (٣) :

(فإن قيل : ما الحكمة في قوله تعالى : ﴿ في الخمر لذة للشاربين ﴾ ، ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ، ولا قال في العسل مصفى للناظرين ؟ .

(١) سورة الروم الآية ٢٤ .

(٢) السراج المنير ٣ / ١٦٤ .

(٣) سورة محمد الآية ١٥ .

أجاب الرازى : بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص ، فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر فقال : لذة للشاربين بأسرهم ، ولأن الخمر كريمة الطعم فى الدنيا ، فقال : لذة أى لا يكون فى خمر الآخرة كراهة الطعم ، وأما الطعم واللون فلا يختلف باختلاف الناس ، فإن الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل أحد ، لكنه قد يعافه بعض الناس ، ويتلذذ به البعض مع اتفاقهم على أن له طعماً واحداً^(١) .

* وفى بيان الحكمة من النداء بقل يا أيها الكافرون ، قال الخطيب رحمه الله عند تفسيره لسورة « الكافرون » :

(فإن قيل : ما الحكمة فى قوله تعالى فى التحريم : ﴿ يا أيها الذين كفروا ﴾^(٢) وهنا قال : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ أجيب : بأن فى سورة التحريم إنما يقال لهم يوم القيامة ، وثم لا يكون رسولاً إليهم : فيكونون فى ذلك الوقت مطيعين لا كافرين ، فلذلك ذكره تعالى بلفظ الماضى ، وأما هنا فكانوا موصوفين بالكفر ، وكان الرسول رسولاً إليهم فقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ أى الذى قد حكم بثباتهم على الكفر فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق ، والتعبير بالجمع الذى هو أصل فى القلة ، وقد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا فى حياته صلى الله عليه وسلم)^(٣) .

* * *

(١) اسراج المنير ٤ / ٢٧ .

(٢) سورة التحريم الآية ٧ .

(٣) اسراج المنير ٤ / ٥٩٩ .

● المبحث الثالث : عنايته بالمشكلات القرآنية :

وبالإضافة إلى اهتمام الخطيب الشرييني رحمه الله بالنكت التفسيرية اهتم بالمشكلات القرآنية التي يبدو أن في ظاهرها إشكالاً فيجيب عنه ويزيل الإشكال ، وقد كان هذا الاهتمام من مميزات تفسيره رحمه الله وإليك بعض الأمثلة في هذا :

* فعند تفسيره لآية الدين التي في سورة البقرة وهو قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ﴾^(١) الآية .

قال رحمه الله : (فإن قيل : المدائنة مفاعلة ، وحقيقتها أن يحصل من كل واحد منهما دين وذلك هو بيع الدين بالدين ، وهو باطل بالاتفاق . أجب : بأن المراد من تداينتم - تعاملتم ، والتقدير ، تعاملتم بما فيه دين ، فإن قيل : هلا اكتفى بقوله : إذا تداينتم إلى أجل ، وأى حاجة إلى ذكر الدين ؟ أجب : بأنه ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله ﴿ فاكتبوه ﴾ إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال : فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ، ولقلا يتوهم من الدائن المجازاة ، ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال^(٢) .
وفي المفردات : (التداين والمدائنة دفع الدين)^(٣) .

وقال ابن العربي معرفاً الدين : (هو عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقداً والآخر في الذمة نسيئة ، فإن العين عند العرب ما كان حاضراً والدين ما كان غائباً ، والمدائنة مفاعلة منه ، لأن أحدهما يرضاه

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .

(٢) السراج المنير ١ / ١٨٦ .

(٣) المفردات للراغب ص ١٧٥ .

والآخر يلتزمه (١) .

فالمداينة هي المعاملة بالدين أخذاً أو إعطاءً .

* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ (٢) .

قال الخطيب : (فإن قيل : ظاهر ما ذكر يدل على إن ذلك ورد للمنع من أمر كان صلى الله عليه يريد أن يفعله ، وذلك الفعل إن كان بأمر الله تعالى ، فكيف يمنعه منه ، وإن كان بغير أمره ، فكيف يصح مع قوله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ (٣) .

أجيب : بأن ذلك كان من باب ترك الأفضل والأولى ، فلا جرم أرشده الله تعالى إلى اختيار الأولى ، نظيره قوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ (٤) فكانه تعالى قال أولاً : إن كان ولا بد أن تعاقب ذلك الظالم فاكتف بالمثل ، ثم قال ثانياً : وإن تركته كان ذلك أولى (٥) .

* قال تعالى : ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ﴾ (٦) .

قال الخطيب الشربيني رحمه الله في معرض تفسيره لهذه الآية حول مسألة تقليل الكثير وتكثير القليل ، وبين أن ذلك بقدرة الله سبحانه فقال (فإن قيل : كيف يمكن تقليل الكثير ، وتكثير القليل ؟ .

(١) أحكام القرآن ١ / ٢٤٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

(٣) سورة النجم الآية ٣ .

(٤) سورة النحل الآية ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٥) السراج المنير ١ / ٢٤٥ .

(٦) سورة الأنفال الآية ٤٤ .

أجيب : بأن ذلك ممكن في قدرة الله تعالى ، وأن الله تعالى على ما يشاء قدير ، ويكون ذلك معجزة للنبي ﷺ ، والمعجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ، أو أن الله تعالى يستر عنهم بعضه بساتر ، أو يحدث في أعينهم ما يستقلون له الكثير^(١) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾^(٢) أى بأحسن ما في الألواح .

قال الخطيب : (فإن قيل : ظاهر هذا يقتضى أن فيها ما ليس بأحسن وأنه لا يجوز لهم الأخذ به ، وذلك متناقض ؟ أجيب عن ذلك بأجوبة :-

الأول : أن تلك التكاليف منها ما هو حسن ومنها ما هو أحسن كإقتصاد والعفو والإلتصار والصبر ، فمرهم أن يحملوا أنفسهم بما هو أدخل في الحسن ، وأكثر للثواب كقوله تعالى : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾^(٣) . وقوله تعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾^(٤) .

الثاني : أن الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وأحسن هؤلاء الثلاثة الواجب .

الثالث : أن المراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقاً لا بالإضافة وهو المأمور به كقولهم : الصيف أحر من الشتاء أى هو في حره أبلغ من الشتاء في برده ، فكذا هنا ، المأمور به أبلغ في الحسن من المنهى عنه في القبح^(٥) . وقال أبو السعود في تفسيره : (وقيل : هو أن تحمل الكلمة

(١) السراج المنير ١ / ٥٧٣ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .

(٣) سورة الزمر الآية ٥٥ .

(٤) سورة الزمر الآية ١٨ .

(٥) السراج المنير ١ / ٥١٦ .

المختلطة لمعينين أو لمعان على أشبه محتملاتها بالحق وأقربها إلى الصواب (١) .
وقد رأيت في تفسير التحرير والتنوير للظاهر بن عاشور ، أحسن تفسير
وأرجحه في المسألة ، قال رحمه الله : (بأحسنها ، وصف مسلوب المفاضلة
مقصود به المبالغة في الحسن ، فإضافتها إلى ضمير الألواح على معنى اللام .
أى : بالأحسن الذى هو لها وهو جميع ما فيها ، لظهور أن ما فيها من الشرائع
ليس بينه تفاضل بين أحسن ودون الأحسن ، بل كله مرتبة واحدة فيما
عين له ، ولظهور أنهم لا يؤمنون ببعض الشريعة وترك بعضها ، ولأن
الشريعة مفصل فيها مراتب الأعمال . فلوا أن بعض الأعمال كان عندها
أفضل من بعض كالمندوب بالنسبة إلى المباح ، وكالرخصة بالنسبة إلى
العزيمة ، كان الترغيب في العمل بالأفضل مذكوراً في الشريعة ، فكان ذلك
من جملة الأخذ بها .

فقرائن سلب صيغة التفضيل عن المفاضلة قائمة واضحة ، فلا وجه
للتردد في تفسير الأحسن في هذه الآية والتعزب إلى التنظير بتراكيب مصنوعة
أو نادرة خارجة عن كلام الفصحاء (٢) .

وهذا الجواب والتفسير للآية هو أحسن ما قيل فيها والله أعلم .

* وفي قوله تعالى: ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم
لا يفرطون ﴾ (٣) .

قد يبدو في ظاهر الآية تعارض مع ظاهر بعض الآيات الأخرى التى
نصت على أن الله هو الذى يتوفى ، وفي أخرى أن ملك الموت توفته رسلنا وهم
يتوفى وفي الأجابة على هذا التعارض قال الخطيب الشربيني رحمه الله :

(١) تفسير أبى السعود ٢ / ٤٠٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٩ / ١٠١ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٦١ .

(فإن قيل : قال الله في آية أخرى . ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ ^(١) .

وفي أخرى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ﴾ ^(٢) ،

وقال هنا : ﴿ توفته رسلنا ﴾ فكيف الجمع ؟ .

أجيب : بأن المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى ، فإذا حضر أجل العبد ، أمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض روحه ، وملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده ، فإذا وصلت إلى الخلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين الآيات ^(٣) .

* وفي مجال الحديث عن معاقبة الله لبنى إسرائيل بالتيه وأنه تعالى أنزل عليهم المن والسلوى وهى نعمة ظاهرة فكيف ينزلها فى مثل تلك الحال ؟ .

قال الخطيب رحمه الله فى جوابه عن ذلك (بأنه سبب البقاء وهو أبقى للعقوبة ، فهو كإقامة الحدود مع بقاء الخطاب) ^(٤) . لأنه لو منع عنهم الماء والطعام الذى هو سبب لبقاء الحياة هلكوا ، وإذا هلكوا لم يحصل دوام للعقوبة ، التى هى من حكمة الله ، حتى يعتبر بنو إسرائيل ، ويطيعوا الله ورسله .

* قال تعالى : ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن تكون أول من ألقى قال بل القوا ﴾ ^(٥) . وحول أمر موسى عليه السلام السحرة بأن يلقوا ، وهو أمر بالسحر والسحر محرم ، فكيف يأمرهم صلى الله عليه وسلم بذلك المحرم ؟
أجاب الخطيب الشربيني عن هذا الإشكال بقوله :

(١) سورة الزمر الآية ٤٢ .

(٢) سورة السجدة الآية ١١ .

(٣) السراج المنير ١ / ٤٢٥ .

(٤) المصدر نفسه ١ / ٣٦٨ .

(٥) سورة طه الآية ٦٥ .

(بأن ذلك الأمر كان مشروطاً، والتقدير ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقين كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بسورة من مثله﴾^(١) أى إن كنتم صادقين)^(٢).
ومن هذا يتضح أن أمر موسى ﷺ للسحرة بإلقاء ما عندهم من سحر ليس أمراً بمحرم وإنما هو أمر بإلقاء ما يدعونه من سحر ليظهر تحديه لهم ويكشف عن عجزهم ولإبطال باطلهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾^(٣) .

قال الخطيب الشربيني رحمه الله عند تفسير هذه الآية : (فإن قيل : قد حكى الله عن فرعون أنه تاب في آخر الأمر ولم يقبل توبته ، وحكى عن قوم يونس أنهم آمنوا وقبل توبتهم ، فما الفرق بين الحالين ؟

أجيب : بأن فرعون إنما تاب بعد أن شاهد العذاب ، وهو وقت اليأس من الحياة ، وأما قوم يونس فإنهم تابوا قبل ذلك ، فإنهم لما ظهرت أمارات دلت على قرب العذاب ، تابوا قبل أن ينزل بهم ولم يباشرهم ، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية ، وأن الله تعالى قد علم صدق نياتهم في التوبة ، فقبل توبتهم بخلاف فرعون ، فإنه لم يصدق في إيمانه ولا أخلص ، فلم يقبل منه)^(٤) .

* وفي قوله تعالى : ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى﴾^(٥) الآية .

قال الخطيب : (فإن قيل : إن النبي ﷺ قال : (الدنيا سجن المؤمن

(١) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٢) السراج المنير ٢ / ٤٧١ .

(٣) سورة يونس الآية ٩٨ .

(٤) السراج المنير ٢ / ٣٩ .

(٥) سورة هود الآية ٣ .

وجنة الكافر»^(١) وقال تعالى : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ﴾^(٢) الآية .

فهذه النصوص دالة على أن نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة والبلية ، ومقتضى هذه الآية أن نصيب المشتغل بالطاعات الراحة في الدنيا ، فكيف الجمع بينها ؟ .

أجيب : بأن المشتغل بعبادة الله ومحبهه مشتغل بحب شيء يمتنع تغييره وزواله وفناؤه ، فكلما كان إمعانه في ذلك الطريق أكثر كان الابتهاج والسرور أكمل ، لأنه آمن من تغير مطلوبه ، وآمن من زوال محبوبه ، وأما من كان مشتغلاً بحب غير الله كان أبداً في ألم الخوف من فوات المحبوب وزواله ، وكان عيشه منغصاً وقلبه مضطرباً ولذلك قال تعالى في صفة المشتغلين بخدمته ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾^(٣) وقيل بالمتاع الحسن عدم العذاب بعذاب الاستئصال ، كما استأصل أهل القرى الذين كفروا ، وسمى الله سبحانه وتعالى منافع الدنيا بالمتاع لأجل التنبيه على حقارتها وقتلتها^(٤) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾^(٥) .

أجاب الخطيب الشربيني رحم الله عن الإشكال في دعوة هود عليه الصلاة والسلام قومه إلى عبادة الله ، قبل أن يأتي بالأدلة على وجود الإله ، قال : (فإن قيل : كيف دعاهم إلى عبادة الله تعالى قبل إقامة الدليل على

(١) رواه مسلم ٤/٢٢٧٢ ، كتاب الزهد ، والترمذى ٤/٥٦٢ وقال عنه : حسن صحيح .

(٢) سورة الزخرف الآية ٣٣ .

(٣) سورة النحل الآية ٩٧ .

(٤) السراج المنير ٢ / ٤٤ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٦٥ .

ثبوت الإله ؟ .

أجيب : بأن دلائل وجود الله تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والأنفس وقلما يوجد في الدنيا طائفة ينكرون وجود الله ، ولذلك قال تعالى في صفة الكفار : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾^(١) فهم يعرفون الأدلة على وجود الإله فليس هناك حاجة إلى ذلك ، فدعاهم إلى عبادة الله الذين يعلمون أدلة وجوده في الآفاق والأنفس . * وفي سورة يوسف وصف الله الكواكب بالسجود الذي هو من خصائص العقلاء وذلك في قوله تعالى : ﴿ قال يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾^(٢) .

قال الخطيب الشربيني في جوابه على هذه المسألة : (فإن قيل : قوله : ﴿ رأيتهم لي ساجدين ﴾ لا يليق إلا بالعقلاء والكواكب جمادات فكيف جاءت اللفظة المخصوصة بالعقلاء في حق الجمادات ؟ .

أجيب : بأنها لما وصفت بالسجود صارت كأنها تعقل وأخبر عنها كما أخبر عن يعقل ، كما قال تعالى في صفة الأصنام ﴿ تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾^(٣) . وقيل إن ذلك غالب في العقلاء غير مطرد ، ولا مانع من أن تسجد وقد ركب الله فيها عقلاً ، والله أعلم . * وفي قوله تعالى : ﴿ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ﴾^(٤) .

مكة هي البلد الحرام ، جعلها آمنة ، ومن دخلها كان آمناً ، وقد يقول قائل : إن كثيراً من الطغاة قد أخافوا أهلها ، وعلى هذا فلم يحصل

(١) سورة لقمان الآية ٢٥ ، وانظر السراج ٢ / ٦٣ .

(٢) سورة يوسف الآية ٤ :

(٣) سورة الأعراف الآية ١٩٨ وانظر السراج المنير ٢ / ٨٩ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ٣٥ .

لهم الأمن ، أجاب الخطيب الشربيني عن هذا فقال :

(أجيب بجوابين : أحدهما : أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء ، والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب ، وهذا موجود بحمد الله تعالى فلم يقدر أحد على إخراج مكة ، فإن قيل : يرد على هذا ما ورد عنه عليه السلام أنه قال : « يخرب الكعبة ذو السويقتين ^(١) من الحبشة » ^(٢) أجيب :

بأن قوله تعالى ﴿ اجعل هذا البلد ﴾ يعنى إلى قرب يوم القيامة ، وخراب الدنيا عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا تعارض بين النصين .
والجواب الثانى : أن المراد جعل أهلها آمنين كقوله تعالى : ﴿ وأسأل القرية ﴾ ^(٣) أى أهلها ، وهذا الجواب عليه أكثر المفسرين ، وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن فى بلدهم ، كما أخبر تعالى بقوله :

﴿ ويتخطف الناس من حولهم ﴾ ^(٤) وأهل مكة آمنون من ذلك ^(٥) .

وقال تعالى مبيناً أن من دخل مكة كان آمناً ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ﴾ ^(٦) . ولا يتعارض هذا مع ما حصل فى مكة من ترويع وقتل للمسلمين داخل الحرم ، كما حصل من القرامطة وغيرهم ، لكن مكة قد اختصت بزيادة الأمن ، والحوادث فيها قليلة جداً ، والحكم للغالب ، والله أعلم .

(١) « السويقتين » تصغير ساق الإنسان .

(٢) رواه مسلم ٤ / ٢٢٣٢ فى كتاب الفتن .

(٣) سورة يوسف الآية ٨٢ .

(٤) سورة العنكبوت الآية ٦٧ .

(٥) السراج المنير ٢ / ١٨٣ .

(٦) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾^(١) .

قال الخطيب الشربيني : (فإن قيل : إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين ، فقالوا : عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة ، لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص ، فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان ، فما وجه قوله تعالى : ﴿ إلهين اثنين ﴾ أجيب بأجوبة :-
أولها : قال الرازي : وهو الأقرب عندي : أن الشيء إذا كان مستنكراً مستقبحاً فمن أراد المبالغة في التنفير عنه عبر عنه بعبارة كثيرة ليصير توالى تلك العبارات سبباً لوقوف العقل على ما فيه من القبح ، والقول بوجود إلهين مستقبح في العقول ، فإن أحداً من العقلاء لم يقل بوجود إلهين متساويين في الوجود والقدم ، وصفات الكمال ، فالمقصود من تكرار اثنتين تأكيد التنفير عنه وتوقيف العقل على ما فيه من القبح .

الثاني : أن قوله تعالى : ﴿ إلهين ﴾ لفظ واحد يدل على أمرين : ثبوت الإله ، وثبوت التعدد ، فإذا قيل : لا تتخذوا إلهين ، لم يعرف من هذا اللفظ أن النهى وقع عن إثبات الإلهين ، أو عن إثبات التعدد أو عن مجموعهما ، فلما قال : لا تتخذوا إلهين اثنين ظهر أن قوله لا تتخذوا نهى عن إثبات التعدد فقط .

الثالث : في الآية تقديم وتأخير والتقدير لا تتخذوا اثنين إلهين .

الرابع : أن الاسم الحامل لمعنى الأفراد والتثنية دال على شيئين : على الجنسية والعدد المخصوص ، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما والذي يساق إليه الحديث هو العدد ، شفع بما يؤكد ، فدل به على القصد إليه ، والعناية به ، ألا ترى أنك لو قلت : إنما هو إله ، ولم

(١) سورة النحل الآية ٥١ .

تؤكد به واحد لم يحسن ، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوجدانية (١) .
 ولعل الجواب الثاني هو أظهر الأجوبة السابقة ، فدل التأكيد باثنين
 أن التعدد مخصوص بالنهي وقد قال بوجود إلهين الجوس ، إله للخير وإله
 للشر ، وكان بعض القبائل العربية الواقعة تحت دولة الفرس قد دانت
 بالمجوسية ، فلما نهى الله عن اتخاذ إلهين وأكد باثنين دل على أن الإثنينية مقصودة
 بالنهي حتى يبطل ذلك الاعتقاد الباطل والشرك المخصوص (٢) والله أعلم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبین ﴾ (٣) .
 قال الخطيب : (فإن قيل : كيف صح أن يشار لاثنين أحدهما مؤنث
 والآخر مذكر باسم الإشارة المؤنث ولو قلت تلك هند وزيد لم يجز ؟ .
 أجيب من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن المراد بالكتاب هو الآيات لأن الكتاب عبارة عن الآيات
 المجموعة ، فلما كان شيئاً واحداً صحت الإشارة إليهما بإشارة الواحد المؤنث .
 الثاني : أنه على حذف مضاف أى وآيات كتاب مبین .

الثالث : أنه لما ولى المؤنث ما تصح الإشارة به إليه ، اكتفى به
 وحسن ، ولو ولى المذكر لم يحسن ، ألا ترى أنك تقول : جاءتنى هند
 وزيد ، ولو أخرجت هند لم يجز تأنيث الفعل (٤) .

وهذا الوجه الأخير ظاهر الوجاهة ، لأن هذا أسلوب معروف فى اللغة
 والقرآن جاء بها ، من غير حاجة إلى تقدير أو تكلف ، فإنه لا إشكال فى هذا .
 * وفى قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم

(١) السراج المنير ٢ / ٢٣٦ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ١٤ / ١٧٢ .

(٣) سورة التمل الآية ١ .

(٤) السراج المنير ٣ / ٤١ .

الخاسرون ﴿١﴾ .

أثار الخطيب رحمه الله إشكالا حول الحصر في ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ وأن مقتضى ذلك ، أن الخسران مرتبط بمن آمن بالباطل وكفر بالله ، وأن الذى يؤمن بواحد دون الآخر لا يكون من الخاسرين ، وقد أجاب رحمه الله عنه فقال : (يستحيل أن يكون الآتى بأحدهما لا يكون آتياً بالآخر لأن المؤمن بما سوى الله تعالى مشرك لأنه جعل غير الله مثله ، وغير الله عاجز ممكن باطل ، فيكون الله تعالى كذلك ، ومن كفر بالله تعالى ، وأنكره فيكون قائلاً بأن العالم واجب الوجود إله ، فيكون قائلاً بأن غير الله إله فيكون إثباتاً لغير الله وإيمانا به)^(١) .

والقصر هنا يفيد اختصاص الخسران بهم دون غيرهم ، لأن من آمن بالباطل كفر بالله ، ومن كفر بالله خسر خسرا يصير كل خسران بجانبه كالعدم . * وفي قوله تعالى : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً ﴾^(٢) .

فحول مسألة الإعداد للمؤمنين فى الجنة وأن ذلك لا يكون إلا ممن لا يقدر عند الحاجة ، وأما الله فغير محتاج ، وهو قادر على إيتاء المؤمنين من غير إعداد فما المراد بالإعداد من قبل المجرى ؟

أجاب الخطيب عن ذلك بقوله : (بأن الإعداد للإكرام^(٤) لا للحاجة) وبهذا يزول ما يتوهم أنه أشكال لأن الله أكرم المؤمنين بذلك وشوقهم للدار الباقية .

(١) سورة العنكبوت الآية ٥٢ .

(٢) السراج المنير ٣ / ١٤٧ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤٤ .

(٤) السراج المنير ٣ / ٢٢٥ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾^(١) .

قال الخطيب رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية حول صلاتنا على النبي ﷺ وهل هو بحاجة إلى ذلك مع صلاة الله وملائكته عليه :
(فإن قيل : إذا صلى الله وملائكته عليه فأى حاجة به إلى صلاتنا ؟ .
أجيب : بأن الصلاة عليه ليست بحاجة إليها وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله تعالى عليه ، وإنما هو إظهاره وتعظيمه منا شفقة علينا ليشينا عليها)^(٢) .

والصلاة على النبي ﷺ من أعظم العبادات ، ولها فضل عظيم ، فقد قال ﷺ : « من صلى على واحدة صلى الله عليه عشراً »^(٣) .
* وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ﴾^(٤) الآية .

قال الخطيب رحمه الله : (فإن قيل : كيف استجاز سليمان ﷺ عمل التصاوير ؟ أجيب : بأن هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع ، لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب ، وعن أبي العالية^(٥) لم يكن اتخاذ التصاوير إذ ذاك محرماً ، ويجوز أن تكون غير صور الحيوان ، كصور الأشجار ونحوها ، لأن التمثال كل ما صور على مثل غيره من حيوان وغير الحيوان ، أو صور محذوفة الرؤوس)^(٦) .

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦ .

(٢) السراج المنير ٣ / ٢٧٠ .

(٣) رواه مسلم ١ / ٣٠٥ .

(٤) سورة سبأ الآية ١٣ .

(٥) هو رفيع بن مهران الرياحي مولاهم أبو العالية ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ ، توفي سنة ٩٠ هـ .

(٦) السراج المنير ٣ / ٢٨٣ .

قال الشوكاني : (وقد استدل بهذا على أن التصوير كان مباحاً في شرع سليمان ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد ﷺ)^(١) .
 فهذا واضح ولا إشكال فيه ، فإنه كان مباحاً في شرع سليمان محرم في شرعنا .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحطن عملك ﴾^(٢) .

قال الخطيب الشربيني رحمه الله في جوابه عن مسألة احباط عمل رسل الله ، مع أن الله يعلم أنهم لا يشركون فكيف يوجه هذا الكلام ؟ قال رحمه الله :

(أجيب : بأن قوله تعالى : ﴿ لئن أشركت ليحطن عملك ﴾ قضية شرطية ، والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزئها ، ألا ترى أن قولك لو كانت الخمسة زوجاً لكانت منقسمة بمتساوين ، قضية صادقة ، مع أن كل واحد من جزئها غير صادق ، قال تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾^(٣) ولم يلزم من هذا صدق أن فيهما آلهة ، وأنهما قد فسدتا ، أو أن الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد به غيره ، أو أن ذلك على سبيل الفرض المحال ، ذكر ليكون ردعاً للأتباع)^(٤) .

والظاهر أنه لجميع الأنبياء ، لأن الشرك محبط للأعمال في جميع الرسائل ، والمسألة افتراضية الغرض منها ردع أتباع الأنبياء عن الشرك ، فكأن النبي الذي يكون مؤيداً من الله ومصطفى من الخلق إذا أشرك ، حبط عمله ، فكيف بسائر الخلق ، وإلا فالله قد عصم أنبياءه عن المعاصي

(١) فتح القدير ٤ / ٣١٧ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٥ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٢ .

(٤) السراج المنير ٣ / ٤٥٩ .

فضلاً عن الشرك ، والله أعلم .

وقال الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية : (هذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل ، لأن الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك ، ووجه إيراده على هذا الوجه ، التحذير والإنذار للعباد من الشرك ، لأنه إذا كان موجباً لأحباط عمل الأنبياء على الفرض والتقدير فهو محبط لعمل غيرهم من أمهم بطريق الأولى)^(١) .

وصح فرض المحال هنا لغرض إقنات الكفرة وإشارة إلى غاية قبح الشرك .
* وفي قوله تعالى : ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾^(٢) .

قال الخطيب الشربيني عند تفسيره لهذه الآية : (فإن قيل : إنه تعالى ذكر خلق الأرض في يومين فلو ذكر أنه خلق هذه الأنواع الثلاثة الباقية في يومين آخرين كان أبعد عن الشبهة وعن الغلط ، فلم ترك التصريح بذكر الكلام المجمل ؟ .

والشبهة هنا هي : أن الله تعالى ذكر في عدة آيات من كتابه الكريم أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وهنا أشكل الأمر عندما ذكر تعالى أنه خلق الأرض في يومين ، وأنه جعل فيها الرواسي وبارك فيها وقدر الأقوات في أربعة أيام ، ثم ذكر أنه قضى السماوات في يومين ، فصار عدد الأيام مشكلاً حيث يبلغ عددها ثمانية أيام والله قد ذكر أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام فكيف يوجه ذلك ؟ .

أجاب الخطيب بقوله : (أجيب : بأن قوله تعالى : ﴿ في أربعة أيام سواء ﴾ أى استوت الأربعة استواء لا يزيد ولا ينقص ، فيه فائدة زائدة على ما إذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين لأنه لو قال تعالى : خلقت هذه

(١) فتح القدير ٤ / ٤٧٤ .

(٢) سورة فصلت الآية ١٠ .

الأشياء في يومين لا يفيد هذا الكلام كون اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل ، بخلافه لما ذكر خلق الأرض وخلق هذه الأشياء ثم قال في أربعة أيام سواء دل على أن هذه الأيام الأربعة صارت مستغرقة في تلك الأعمال من غير زيادة ولا نقصان ، ولم يفعل تعالى ذلك في أقل من لمح البصر مع تمام القدرة عليه ، لأن هذا أدل على الاختيار وأدخل في الابتلاء والاختبار ، ليضل به كثيراً ويهدى به كثيراً فيكون أعظم لأجورهم ، لأنه أدل على تسليمهم ، وجعل مدة خلقها ضعف مدة خلق السموات مع كونها أصغر من السموات دلالة على أنها هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين الإنس والجن ، فزادت لما فيها من كثرة المنافع وتباين أصناف الأعراض والجواهر ، لأن ذلك أدخل في المنة على سكانها ، والاعتناء بشأنهم وشأنها ، وزادت أيضاً لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات والمجادلات كل ذلك دلالة على أن المدة ما هي لأجل القدرة بل لأجل التنبيه على ما في القدرة من المقدور ، وعجائب الأمور^(١) .

وقال الأخفش : (وأما قوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ ثم قال أربعة أيام ، فإنما يعني أن هذا مع الأول أربعة أيام كما تقول : تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين ، وأحدهما التي تزوجتها أمس^(٢) .

وقد أزال الإشكال ووضح المراد العلامة الشنقيطي فقال :
 (الظاهر أن معنى قوله هنا في أربعة أيام ، أى في تنمة أربعة أيام وتنمة الأربعة حاصلة بيومين فقط لأنه تعالى قال : ﴿ قل أننكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين ﴾ ثم قال : في أربعة أيام ، أى في تنمة أربعة أيام ، ثم قال : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ فتضم اليومين إلى الأربعة

(١) السراج المنير ٣ / ٥٠٦ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٤٦٤ .

السابقة ، فيكون مجموع الأيام التي خلق فيها السموات والأرض ما بينهما ستة أيام . وهذا التفسير الذي ذكرنا في الآية لا يصح غيره بحال ، لأن الله تعالى صرح في آيات متعددة من كتابه بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة كقوله في الفرقان : ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً ﴾^(١) . وقوله في السجدة : ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾^(٢) إلى غير ذلك من الآيات ، فلو لم يفسر قوله تعالى : ﴿ في أربعة أيام ﴾ بأن معناه في تنمة أربعة أيام ، لكان المعنى أنه تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ثمانية أيام ، لأن قوله : ﴿ في أربعة أيام ﴾ إذا فسر بأنها أربعة أيام كاملة ثم جمعت مع اليومين اللذين خلقت فيهما الأرض المذكورين في قوله : ﴿ قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ واليومين اللذين خلقت فيهما السموات المذكورين في قوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ لكان المجموع ثمانية أيام ، وذلك لم يقل به أحد من المسلمين . والنصوص القرآنية مصرحة بأنها ستة أيام ، فعلم بذلك صحة التفسير الذي ذكرنا وصحة دلالة الآيات القرآنية عليه^(٣) .

- يتبين مما سبق اهتمام الخطيب الشربيني رحمه الله بالمشكلات القرآنية والإجابة عليها ، وهذا من خصائص تفسيره رحمه الله ، كما اهتم بالمناسبات بين خواتيم السور وفواتح التي تليها ، وكذلك مناسبة السورة التي تليها ، ومناسبة الآية في السورة الواحدة لما قبلها .

* * *

-
- (١) سورة الفرقان الآية ٥٩ .
(٢) سورة السجدة الآية ٤ .
(٣) أضواء البيان ٧ / ١١٧ .

○ الفصل الثامن ○

موقفه من بعض المفسرين الذين سبقوه من حيث رد أقوالهم

الذى يقرأ تفسير الخطيب الشربيني رحمه الله يجد أنه يأخذ من التفاسير التى ذكرناها فى فصل مصادر مباشرة ، كما بينا بعضاً من ذلك هناك ، وخلال دراستى لهذا التفسير وجدت أنه يعتمد على ثلاثة تفاسير لا تخلو صفحة من تفسيره إلا ولأحدهم قول فيها ، أو لجميعهم ، وقد يشير أحياناً إلى ذلك وأحياناً ينقل من غير إشارة ، والتفاسير التى اعتمد عليها هى تفسير الزمخشري والرازى والبيضاوى . فوقف من أقوالهم بعض المواقف فانتقد جزءاً منها وقبل أكثرها ، فمن الذين انتقدهم ، الزمخشري وخصوصاً فى اعتزاله ، والرازى والبيضاوى .

● موقفه من الزمخشري :

فسر الزمخشري آيات العقيدة على مذهب أهل الاعتزال ، فبرى الخطيب رحمه الله كلما جاء على آية فيها قول للزمخشري على مذهب المعتزلة يرد هذا القول ويبين وجه الحق فيه .

* ففى قوله تعالى : ﴿ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار ﴾^(١) .

ذكر الزمخشري أن فى الآية دليلاً على أن من مات مصراً على المعصية لا يدخل الجنة ، وطعن فى مذهب أهل السنة الذى يجعل مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله ، وقد رد عليه الخطيب بدعته ، وبين مذهب أهل الحق فقال رحمه الله :

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٦ .

تبيينه : (لا يلزم من إعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ، أن لا يدخلها المصرون ، كما لا يلزم من إعداد النار للكافرين جزاء لهم ، أن لا يدخلها غيرهم ، فقول الزمخشري في الكشاف ، وفي هذه الآية بيان قاطع على أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات : متقون وتائبون ومصرون ، وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم ، دون المصرين ، ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ، جار على طريق الاعتزال ، من أن مرتكب الكبيرة إذا مات مصراً ، لا يدخل الجنة ، ونعوذ بالله من ذلك بل كل من مات على الإسلام يدخل الجنة ، وهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه)^(١) .

فالمعتزلة يجعلون مرتكب الكبيرة خارجاً عن الإسلام ولم يدخل الكفر ، فيكون في منزلة بين المنزلتين أى بين الجنة والنار ، وهذا باطل ، وأهل الحق يجعلون مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾^(٢) .

ذكر الخطيب الشربيني قول الزمخشري في كشافه : أن كلام الله يخلقه في الأجرام فتنتطق به كما خلقه في اللوح ، وقد رد عليه الخطيب ، وبين أن مذهب المعتزلة في هذه المسألة باطل .

قال رحمه الله : (قال الزمخشري في كشافه : وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح ، وهذا مذهب المعتزلة ، ولا شك في بطلانه وفساده ، لأن ذلك الجرم كالشجرة لا يقول : ﴿ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري ﴾^(٣) ، فثبت بذلك بطلان ما قالوه)^(٤) ،

(١) السراج المنير ١ / ٢٤٨ ، وانظر الكشاف ١ / ٤٦٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٣) سورة طه الآية ١٤ .

(٤) السراج المنير ١ / ٥١٢ .

وقد مر معنا الرد على أهل التأويل في مسألة كلام الله في الفصل الرابع .
 * وفي قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾^(١) .
 فسر الخطيب الزيادة في الآية : بالنظر إلى الله تعالى يوم القيامة ،
 واستدل بقوله ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة ،
 فيكشف الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم
 منه »^(٢) .

ثم ذكر أن الزمخشري يشير في تفسيره إلى مذهب أهل السنة في الرؤية
 بقوله : زعمت المشبهة والمجبرة ، وبين الخطيب سبب قول الزمخشري ذلك ،
 وأنه يرجع إلى أن المعتزلة ينكرون الرؤية^(٣) .
 * وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً
 فففسقوا فيها ﴾^(٤) الآية .

ذكر الخطيب الشربيني رحمه الله أن معنى فسقوا فيها ، خرجوا من
 طاعة الله ورسوله ، ثم أورد قول الزمخشري وتأويله للآية ثم رد عليه (قال
 صاحب الكشاف : ظاهر اللفظ يدل على أنه تعالى يأمرهم بالفسق ،
 فيفسقون إلا أن هذا مجاز ، ومعناه : أنه يفتح عليهم أبواب الخيرات
 والراحات ، فعند ذلك توردوا وطمعوا وبغوا ، قال : والدليل على أن ظاهر
 اللفظ يقتضى ما ذكرناه ، أن المأمور به إنما حذف لأن قوله : ﴿ ففسقوا ﴾
 يدل عليه ، يقال : أمرته فقام ، وأمرته فقراً ، لا يفهم منه إلا أن المأمور
 به قيام وقراءة فكذا هنا لما قال : ﴿ أمرنا مترفياً ففسقوا فيها ﴾ وجب

(١) سورة يونس الآية ٢٦ .

(٢) رواه البغوي في شرح السنة ١٥ / ٢٣٠ ومسلم ١ / ١٦٣ .

(٣) السراج المنير ٢ / ١٦ .

(٤) سورة الإسراء الآية ١٦ .

أن يكون المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا ، لا يقال يشكل هذا بقولهم : أمرته فعصاني وخالفني فإن هذا كلام لا يفهم منه أني أمرته بالمعصية والمخالفة ، لأننا نقول : إن المعصية منافية للأمر ومناقضة له ، فيكون كونها مأموراً بها مخالف ، فهذه الضرورة تركنا هذا الظاهر ، قال الرازي : ولقائل أن يقول : كما أن قوله أمرته فعصاني يدل على أن المأمور به شيء غير المعصية من حيث إن المعصية منافية للأمر ومناقضة له ، فكذلك قوله أمرته ففسق يدل على أن المأمور به غير الفسق ، لأن الفسق عبارة عن الإتيان به ، فكونه فسقاً ينافي كونه مأموراً به ، كما أن كونه معصية ينافي كونها مأموراً بها ، فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق ، وهذا الكلام في غاية الظهور ولم أدر لم أصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده ؟ قال الخطيب : فنثبت أن الحق ما ذكر الكل وهو أن المعنى : أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة ، والقوم خالفوا ذلك الأمر عناداً وأقدموا على الفسق^(١) .

وقال الإمام الطبري : (فأولى التأويلات به تأويل من تأوله : أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها ، فحق عليهم القول ، لأن الأغلب من معنى أمرنا : الأمر ، الذي هو خلاف النهي دون غيره ، وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعراف من معانيه ، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره)^(٢) . وأما ابن كثير ففسر الأمر على أنه أمر قدرى^(٣) .
وتصدير الآية ﴿ باذا ﴾ يؤيد ما ذهب إليه من قال : إنه أمر قدرى ، وذلك أن إذا الشرطية والتي تكون ظرفاً للمستقبل ، لا بد لها من فعل

(١) السراج المنير ٢ / ٢٩٠ .

(٢) جامع البيان ١٥ / ٥٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٢ .

وجواب ، وجوابها هنا قوله « أمرنا » كما قال العكبري^(١) وغيره ، ومقتضى ذلك أن إرادة الله متعلقة بإهلاك القرية ابتداء ، وهى الإرادة الكونية القدرية والله أعلم .
* وفى مجال الحديث عن الكرامة بين الخطيب رحمه الله أن المعتزلة ينكرون الكرامة ، وقد زعم الزمخشري أن الكرامة وإن أضيفت إلى صالحين لكنهم ليسوا رسلاً ، وذلك عند تفسير قوله تعالى :

﴿ فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾^(٢) .

فقد بين حجة الزمخشري فقال : (لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل ، وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب)^(٣) ، وبين رحمه الله أن إنكار الزمخشري للكرامة هو حاصل مذهب المعتزلة فقال : (وإنكار الكرامات مذهب المعتزلة) .
ومر معنا فى الفصل الرابع الكلام حول هذا الموضوع .

● موقفه من البيضاوى :

* عند قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ﴾^(٤) .
بين الخطيب رحمه الله أن فى « الأرحام » قراءتين سبعيتين ، قراءة بالنصب وقراءة بالجر قال : (وقرأ غير حمزة بالنصب عطفاً على « الله » تعالى ، فالعامل فيه اتقوا كما قدرته ، أو معطوف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمراً ، وأما حمزة فقرأ بالجر عطفاً على الضمير المجرور . وقول البيضاوى : وهو ضعيف أى كما هو مذهب البصريين ممنوع ،

(١) إملأ ما من به الرحمن ٢ / ٨٩ .

(٢) سورة الجن الآية ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) السراج المنير ٤ / ٤٠٩ .

(٤) سورة النساء الآية ١ .

والحق أنه ليس بضعيف فقد جوزه الكوفيون ، وكيف يكون ضعيفاً والقراءة به متواترة ، فيجب أن يضعف كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين^(١) .

فهو رحمه الله رد قول البيضاوى الذى ضعف العطف على الضمير المجرور والذى يلزم منه تضعيف قراءة متواترة ، واستنكر رحمه الله قول المضعفين لذلك الوجه واستند إلى القراءة المتواترة .

ويكون المعنى على قراءة النصب واتقوا الإرحام أن تقطعوها ، وعلى الخفض اتقوا الله الذى تساءلون به وبالرحم تعظيماً لشأنها ومن الذين ضعفوا الخفض عطفاً على الضمير الإمام ابن جرير الطبرى فقال : (والقراءة التى لا نستجيز للقارىء أن يقرأ غيرها فى ذلك النصب ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ﴾ بمعنى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها)^(٢) .

وبين ابن خالويه حجة من أجاز الخفض قال : (فأما الكوفيون فأجازوا الخفض واحتجوا للقارىء بأنه أضم الخافض ، واستدلوا بأن « العجاج »^(٣) كان إذا قيل له : كيف تجدك ؟ يقول : خير عافاك الله ، يريد بخير)^(٤) .

والراجع فى المسألة أن قراءة الخفض عطفاً على الضمير المجرور جائز فى اللغة وإن أباه جمهور النحاة ، والدليل قراءة حمزة التى هى من القرآن ، والقرآن نزل بلسان عربى مبين ، واللغة واسعة ليست محصورة فيما يعلمه المانعون ، وقد أحسن الإمام ابن مالك إذ أجاز ذلك فى ألفيته ، قال رحمه الله :

(١) السراج المنير ١ / ٢٧٩ .

(٢) جامع البيان ٤ / ٢٢٨ .

(٣) عبد الله بن رؤبة العجاج من بنى سعد بن مالك من بنى تميم .

(٤) الحجة فى القراءات السبع ص ١١٨ .

وعود خافض لذي عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلنا
وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتاً^(١)
* وفي قوله تعالى : ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد﴾^(٢) .

قال البيضاوى ضمن تفسيره لما قيل في الآية : (وقيل الآية في المنافقين
كانوا يراعون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم
ونحوها)^(٣) ، وقد أورد الخطيب الشربيني قول البيضاوى السابق ضمن ما
أورده من أقوال في معنى الآية ورجح أنها في المنافقين فقال :

(وهذا هو المناسب لقوله تعالى : ﴿ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً
مدحوراً﴾^(٤) وإن ذكره البيضاوى بصيغة قيل^(٥) . وترجيح الخطيب
رحمه الله أن الآية في المنافقين فيه نظر ، ذلك أن الآية في سورة الإسراء
وهي مكية ، قال الفيروز أبادى في البصائر : (والسورة مكية بالإجماع)^(٦) .
والنفاق لم يظهر إلا بعد الهجرة ، وأما قوله رحمه الله وهو المناسب
لقوله تعالى : ﴿ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً﴾ فغير ظاهر
من السياق ، بل إن السياق يشير إلى أن المعنى عموم الكافرين والله أعلم .
ومن عادة البيضاوى رحمه الله التي جرى عليها في تفسيره أنه يورد
في آخر كل سورة حديثاً في فضلها كالتزمخشري ، وقد حكم الخطيب على
معظم تلك الأحاديث بالوضع ، وأخذ على البيضاوى أنه عندما يورد الحديث

(١) انظر شرح ابن عقيل ٢ / ١٨٦ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٨ .

(٣) تفسير البيضاوى ٣ / ١٩٩ .

(٤) سورة الإسراء الآية ١٨ .

(٥) السراج المنير ٢ / ٢٩١ .

(٦) بصائر ذوى التمييز ١ / ٢٩٢ .

لا يورده كما أورده الزمخشري الذى يقول : عن رسول الله ﷺ ثم يذكر الحديث ، لكنه يقول : قال رسول الله ﷺ مع أن الحديث موضوع فقال: (وكان من حق البيضاء أن لا يعبر بقال ، بل بعن كالمخشري أو نحوها) (١) .

* * *

● موقفه من الرازى :

أكثر الخطيب رحمه الله الأخذ من الرازى ، وأورد أقواله فى كل مناسبة مستشهداً بها ، وكثيراً ما يؤيد ويرجح أقوال الرازى ، ولم يرد أقوال الرازى إلا فى النادر .

* ففى قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾ (٢) الآية .

قال الخطيب الشربيني (فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم ، فأنتم عرب مثله فى البلاغة والفتنة ، فإن قيل : هل يتناول ذلك جميع السور الصغار والكبار ، أو يختص بالسور الكبار ؟

أجيب : بأن هذه الآية فى سورة يونس وهى مكية ، فىكون المراد مثل هذه السورة لأنها أقرب ما يمكن أن يشار إليه ، هكذا أجاب الرازى ، والأولى تناول جميع السور ، فإنهم لا يقدر أن يأتوا بأقصر سورة (٣) . فرجح الخطيب أن التحدى واقع بأقل وأقصر سورة ، ويرد على الرازى أن هناك سوراً مكية قصيرة ، فلا وجه لقصره على مثل سورة يونس ، والتحدى عام للكافرين ، تحداهم بأن يأتوا بسورة مثل القرآن ، ولم يخصها بكبيرة ولا صغيرة ، وعليه فالتحدى يشمل جميع السور كبيرها وصغيرها .

* وفى قوله تعالى : ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ﴾ (٤) .

(١) السراج المنير ٤ / ٤٩٠ .

(٢) سورة يونس الآية ٣٨ .

(٣) السراج المنير ٢ / ٢٠ .

(٤) سورة النحل الآية ٦٩ .

ذكر الخطيب الشربيني أن الألوان المختلفة للعسل تأتي من اختلاف الأزهار والثمار وأوراق الشجر ، ثم أورد قول الرازي ، الذي يقول فيه : إنه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ، وعندما ذكرت الآية أن العسل يخرج من بطون النحل ، قال الرازي : إن كل تجويف في الجسم يسمى بطناً ، ولكن الخطيب رحمه الله رد عليه ، وإليك ما قاله الرازي ورد الخطيب عليه : (وقال الرازي : إنه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل ، فيقع على الأزهار وأوراق الشجر ، فتجرحه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لأنفسها لتتغذى به ، فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء الطلية كثير فذلك هو العسل ، وهذا القول أقرب إلى العقل وأيضاً إنا نشاهد أن النحل يتغذى بالعسل ، وأجاب عن قوله تعالى :

﴿ يخرج من بطونها شراب ﴾ أن كل تجويف داخل البدن يسمى بطناً ، فقوله ﴿ يخرج من بطونها ﴾ أى من أفواها .

قال الخطيب مرجحاً : (الأول كما قال ابن الخازن وغيره : أظهر ، لأننا نشاهد أن العسل يوجد فيه طعم تلك الأزهار التي يأكلها النحل وكذا توجد لذتها وريحها وطعمها فيه أيضاً ، ويعضد هذا قول بعض أزواج النبي ﷺ له : أكلت مغاير ؟ قال : لا ، قالت ما هذه الريح التي أجد منك قال : سقتني حفصة شربة عسل ، قالت : جرت نحل العرطف (١) . والعرطف شجر الطلح وله صبغ يقال له المغاير ، كريح الرائحة ، فمعنى جرت نحل العرطف أكلت ورعت من العرطف الذي له الرائحة الكريهة ، فثبت بهذا أنه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه ،

(١) رواه البخارى ٦ / ١٦٧ فى كتاب الطلاق .

لا ما قاله الأطباء من أنه ظل لأنه لو كان طلاً لكان على لون واحد ، وقوله :
كل تجويف فى داخل البدن يسمى بطناً خلاف الظاهر ، لأن لفظ البطن
إذا أطلق لم يرد به إلا العضو المعروف - بطن الإنسان وغيره^(١) .

من هذا يتبين لنا أن الخطيب الشربيني ليس مجرد ناقل فقط من الكتب
التي اعتمد عليها ، بل كان يرد ، ما لا يقبله ويدلل على ما رآه .

* * *

(٢) السراج المنير ٢ / ٢٤٥ .

□ الخاتمة □

١ - قيمة تفسيره العلمية :

نشأ الخطيب الشربيني رحمه الله في مصر ، بلد العلم ومركز الثقافة الإسلامية ، وخصوصاً بعد سقوط الخلافة في بغداد ، وتلقى تعليمه على أيدي علماء أفاض ، وكان رحمه الله عالماً بالفقه واللغة ، وهي العلوم الأساسية التي يحتاج إليها المفسر ، كذلك كان عابداً زاهداً محباً للخير ، مما أعطاه القناعة في الإقدام على هذا العمل ، فألف تفسيره الذي تجنب فيه التطويل الممل ، والتقصير المخل .

ومن خلال دراسة منهج الخطيب الشربيني في تفسيره ، توصلت إلى قيمته العلمية - حسب ما رأيت - فيما يلي :-

١- كثير من كتب التفسير تتميز بجانب يغلب عليها ، فمنها الذي يعنى بالتفسير بالمأثور ، ومنها ما يعنى بالتفسير بالرأى ، ومنها ما يغلب عليه العناية والإهتمام بالأحكام الفقهية ، ومنها ما يهتم باللغة نحواً واشتقاقاً وبلاغة ، وغير ذلك من الجوانب التي تتعلق بكتاب الله تعالى ، ويحتاج إليها أهل الاختصاص .

وتفسير الخطيب الشربيني احتوى على اتجاهات متعددة ، وقد رأينا ذلك من خلال الباب الثاني ، الذي تبين لنا فيه اهتمامه بالتفسير بالمأثور وبالرأى ، واللغة والأحكام الفقهية والقراءات وعلوم القرآن الأخرى .

٢- يصنف تفسير الخطيب الشربيني ضمن كتب التفسير بالرأى ، ومع ذلك فقد اهتم بالمأثور ، ففسر الآيات بنظائرها ، كما استشهد

بالأحاديث النبوية في مواطن كثيرة ، وروى عن الصحابة والتابعين أقوالهم في التفسير .

٣- كان الخطيب يوجه الأقوال التي يذكرها بما يناسب المقام ، وأحياناً يختار ويرجح ما يراه راجحاً ، وهذا يدل على ظهور شخصيته في تفسيره وأنه ليس مجرد ناقل وجامع ، وهذه بعض الأمثلة التي تبين ترجيحاته :-

* ففي المعنى العام للآيات ، بين أن المراد بالشركاء في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ﴾^(١) . بين أنهم كل ما عبد من دون الله ، قال : (والمراد بهؤلاء الشركاء كل من عبد من دون الله من أنس وملك وجن وشمس وقمر ، وصنم ، وهذا أظهر)^(٢) .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ ﴾^(٣) الآية . قال : (أى بأن جمعناهم عليه بعد تفرقهم ، أو أحييناهم بعد موتهم وقيل : وهبنا له مثل أهله) . ثم رجح القول الأول وبين أنه ظاهر الآية الذي لا ينبغي العدول عنه ، قال : (والأول هو ظاهر الآية فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة)^(٤) .

- ومن ترجيحاته في القراءات ، ما رجحه في قراءة التشديد في قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾^(٥) الآية . فقد ذكر قراءتين في ﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ قراءة بنون ساكنة بعد الياء ، وكسر

(١) سورة يونس الآية ٢٨ .

(٢) السراج المنير ٢ / ١٧ .

(٣) سورة ص الآية ٤٣ .

(٤) السراج المنير ٣ / ٤٢٠ .

(٥) سورة مريم الآية ٩٠ .

الطاء المخففة ، وقراءة بتاء بعد الياء ، مع فتح الطاء المشددة ، والقراءتان سبعيتان ، كما التزم رحمه الله أنه لا يورد من القراءات إلا القراءة السبعية ، لكنه رجح قراءة التشديد فقال : (وقراءة التشديد أبلغ ، لأن التفعّل مطاوع فعل ، والانفعال مطاوع فعل ، ولأن أصل التفعّل التكلف)^(١) .

- ومن ترجيحاته في الأصول ، اختياره : أن شرع ما قبلنا ليس شرعاً لنا مطلقاً ، وقال : (وهو الأصح عندنا)^(٢) يعنى الشافعية ، لأن شرع ما قبلنا من الأصول المختلف فيها بين أهل العلم .

٤- اهتمامه بالقراءات السبع المشهورات ، فكان ينبه إليها ، ويذكر القراءة في الآية ومن قرأ بها ، مع توجيه المعنى المترتب على تلك القراءة أحياناً .

٥- استخدامه لأسلوب السؤال ، وذلك عندما يريد أن يحل إشكالاً يظهر في الآية التي يفسرها ، أو عندما يريد أن يلفت النظر إلى نكتة في التفسير ، وهو أسلوب حسن ، لتوضيح المسائل وقد مر معنا في الفصل السابع بعض الأمثلة على ذلك ، وقد اعتنى بإيراد النكت التفسيرية وحل المشكلات القرآنية .

٦- الإشارة إلى المسائل البلاغية كالأستفهام الإنكارى التوبيخى ، والتقريرى وغير ذلك ، وكانت إشارته بصورة سريعة ، تعمق الفهم للقرآن الكريم ، الذى هو فى القمة من حيث حسن النظم والتأليف .

٧- تعقبه للزمخشرى والبيضاوى ، فى الأحاديث التى ذكرها فى فضائل السور ، وبيانه للأحاديث الضعيفة منها والموضوعة .

(١) السراج المنير ٢ / ٤٤٦ .

(٢) السراج المنير ٤ / ٢٦٢ .

- ٨- يعقب على الأقوال الاعتزالية التي يوردها الزمخشري .
- ٩- تخريجه لكثير من الأحاديث التي يوردها .
- ١٠- اعتنى في تفسيره باللغة ، كما استشهد بالشعر لتأكيد المعانى اللغوية التي يذكرها ، كما اهتم بالمناسبات بين السور والآيات .
- وقام بالتنبيه على السور المكية والمدنية في بداية كل سورة .
- وقام كذلك بشرح مفردات البسمة ، بما يتناسب ومقاصد السورة التي يفسرها .

من هذا يظهر لنا قيمة تفسير الخطيب وأنه جاء محتويًا على عدة اتجاهات في التفسير مما يجعله ذا قيمة عند أهل الاختصاص .

ويلحظ على الخطيب رحمه الله إirاده للأخبار الإسرائيلية من غير تعقيب وإن لم يكن بدعاً في ذلك فقد اقتدى بمن قبله من أئمة المفسرين ، فإنهم أوردوا الأخبار الإسرائيلية في تفاسيرهم .

كما يلحظ عليه ذكره لأحاديث ضعيفة من غير تعقيب وكذلك يورد أسباباً للنزول غير صحيحة ويسكت عنها مع ما فيها من تعارض .

٢ - أهم النتائج والاقتراحات :

صاحبت الخطيب الشربيني رحمه الله من خلال قراءتي لتفسيره ، والبحث في كتب التاريخ والتراجم ، عن حياته وبيئته ، فتعرفت على حياته الشخصية والعلمية ، كما عرفت الكثير عن منهجه في تفسيره ، وكان من نتيجة ذلك ، كتابة هذا البحث المتواضع ، والذي جاء في باين .. الباب الأول : كان دراسة عصر الخطيب وحياته ، ومكانته العلمية ، وقد أهملت المراجع التي توفرت لدينا حياة الخطيب الشربيني ، ومولده ونشأته وأسرته ، لكن حاولت أن أكشف عن شيء من ذلك قدر المستطاع .

فعندما تحدثت عن عصره ، توصلت إلى أن الحالة السياسية كانت مضطربة ، وأن الحالة الاجتماعية هي الأخرى كانت مضطربة ، نتيجة لسوء الاقتصاد وضعف النشاط التجاري والزراعي ، ورحيل كثير من أصحاب المهن إلى اسطنبول .

وبالنسبة للحالة العلمية ، اتضح أنها كانت في بداية ترديها في العالم الإسلامي .

وعندما تحدثت عن نشأته ، بينت أن المصادر لم تبين شيئاً من ذلك ، وقد حاولت أن أبين شيئاً منها مع قلة المراجع وندرتها ، ولكن استنتاجاً من بعض الحوادث والتراجم لشيوخه .

وفي الكلام عن صفاته وأخلاقه ، بينت أنه كان زاهداً ، عابداً لا يجب الشهرة والظهور .

كما توصلت إلى أنه درس المذهب الشافعي ، وأن تلمذته كانت على علماء الشافعية ، حتى صار من العلماء المعبرين عند المتأخرين منهم وكتبه من الكتب المعتمدة في المذهب الشافعي .

أما تلاميذه : فلم تسعفنا المصادر بذكر أحد منهم سوى ما ذكره المحبى في الخلاصة عندما ترجم لابن الخطيب ، ذكر في ترجمته أنه درس على أبيه . وعند الحديث عن مؤلفاته ، حاولت أن أذكر المطبوع منها وغيره ، وقد توصلت إلى معظم ذلك . أما مذهبه العقدي فبينت أنه على مذهب الأشاعرة وقد اتضح ذلك من خلال حديثه عن آيات الصفات .

أما بالنسبة للوظائف التي تولاها ، فقد بينت أنه تولى وظيفة التدريس ، ولم يصلنا شيء غيرها .

أما الباب الثاني : فقد كان عن دراسة منهجه في تفسيره . وبينت فيه أن مصادره كانت متنوعة وكثيرة ، وخلصت من البحث

في مصادره إلى أن الخطيب ، يأخذ من بعض المصادر من غير أن ينسب القول إلى قائله .

ووضحت كذلك أنه يفسر الآية بنظائرها من الآيات الأخرى التي تبين معناها ، كما أكثر من استدلاله بالأحاديث النبوية ، وأوضحت الدراسة أيضاً أن من منهجه الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى .

وفي مجال اللغة ، ذكرت أن الخطيب الشربيني ، استخدم كثيراً من مباحث اللغة ، فاهتم بأصل الكلمات واشتقاقها ، كما اهتم بالنحو والإعراب ، ولكن بالقدر الذي يوضح الآيات المفسرة ، وبينت أنه رد بعض المذاهب النحوية لإخلالها بالمعنى ، وبينت أنه استشهد بالشعر في كثير من المجالات لتوضيح المعاني التي يذكرها ، وكان ذلك بالقدر الذي يؤدي الغرض .

وعندما تناولت اهتمامه بالأحكام الفقهية ، بينت أنه لم يتوسع بالأحكام كثيراً ، وإن كان قد ذكر الكثير من المباحث الفقهية وخلاف العلماء فيها ، وأدلتهم وبيان الراجح ، كما توصلت إلى أنه كثيراً ما يرجح مذهب الإمام الشافعي مع عدم التعصب له .

وفي تناولي لأرائه في بعض مسائل العقيدة ، بينت أنه سار في آيات الصفات على مذهب الأشاعرة ، وتوصلت إلى أنه أثبت القدر والسجر وكرامات الأولياء على مذهب أهل السنة .

وفي مجال اهتمامه بعلوم القرآن ، ذكرت أن الخطيب يميل إلى القول بتفويض العلم إلى الله في الحروف المقطعة في أوائل السور .

وبالنسبة لأسباب النزول بينت ، أنه يورد أحياناً أسباباً يطيل في ذكرها ، ويذكر أحياناً عدة أسباب للآية الواحدة ، ولكنه لا يرجح ولا يعقب ، مع تعارض بعضها تعارضاً ظاهراً .

وبينت أنه اهتم بالقراءات ، وأنه لم يورد إلا السبع المشهورات ،

وتوصلت إلى أن منهجه في إيراد القراءة : أنه يورد القراءة وأحياناً رسمها ، ويذكر من قرأ بها ، ثم يوجه أحياناً القراءة بما يترتب عليها من معنى .
وفي مجال النسخ في القرآن ، توصلت إلى أن الخطيب من القائلين بالنسخ ووقوعه في القرآن ، وأنه يورد الآية المنسوخة والناسخ لها .
وفي مجال الإعجاز بينت أن الخطيب عنده وجه ثابت في الإعجاز ، وهو الوجه البلاغى من حيث حسن النظم والتأليف .

وبينت موقفه من التكرار في القرآن ، وأنه يرجح أنه لا تكرر في القرآن ، وأن العبارات التي ظاهرها التكرار ، جاءت للتأكيد والإفهام ، لأن ذلك من أساليب العرب في كلامهم . وتوصلت أيضاً : إلى أنه يرجح أنه ليس في القرآن ألفاظ من غير العرب ، ورد قول القائلين : إن في القرآن من غير لغة العرب .

وفي موقفه من الإسرائيليات ، توصلت إلى أنه أكثر من ذكر القصص والأخبار الإسرائيلية ، من غير أن يعقب عليها ، شأنه في ذلك شأن كثير من المفسرين .

كما بينت أنه تعقب الأحاديث التي جاءت في فضائل السور ، وحكم على الموضوع منها بالوضع والضعيف بالضعف ، كما بينت أنه ذكر أحاديث ضعيفة من غير أن يشير إلى ضعفها ، مع أنه ذكر في مقدمة تفسيره أنه لم يورد من الأحاديث إلا الصحيح أو الحسن .

وفي مجال اهتمامه بالتناسب والنكت التفسيرية : بينت الدراسة أنه اهتم بالتناسب بين مطالع السور وخواتيم ما قبلها ، كما أنه اهتم بمناسبة الآية بما قبلها ، كذلك اهتم باللطائف التفسيرية واعتنى بإزالة الكثير من الإشكالات القرآنية .

كما بينت الدراسة أن الخطيب الشربيني رحمه الله ، كانت له شخصية بارزة في تفسيره من حيث الترجيح أو القبول والرد للأراء .

- وفي ختام هذا البحث أقترح ما يلي :-

- ١- إعادة طبع تفسير الخطيب الشربيني ، وتحقيقه وتصحيحه .
- ٢- الاهتمام بدراسة مناهج المفسرين ، وإبراز آرائهم في التفسير ، وبيان جهودهم في إثراء الفكر الإسلامي ، وكذلك تصحيح ما ورد في تفاسيرهم من آراء شاذة أو ضعيفة .
- ٣- العناية بدراسة الإسرائيليات ، وتنقية كتب التفسير منها .
- ٤- أن يقوم قسم القرآن وعلومه بالكلية ، بتبني دراسة وتحقيق كتب التفسير المهمة والمتداولة ، على أن يقوم بذلك التحقيق طلبة الدراسات العليا .

وبعد فهذه دراستي عن الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير أرجو من الله أن يجعله عملاً مقبولاً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

* * *

□ الفهارس □

- ١ - الآيات .
- ٢ - الأحاديث والآثار .
- ٣ - الأعلام .
- ٤ - الأماكن والبلدان .
- ٥ - القبائل والفرق والجماعات .
- ٦ - الكتب الواردة في الرسالة .
- ٧ - الأشعار .
- ٨ - المراجع .
- ٩ - الموضوعات .

* * *

□ فهرس الآيات □

○ سورة البقرة ○

رقم الصفحة	الآية ورقمها
٢٢٥	— «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه» (١ - ٢)
٩٧	— «الله يستهزى بهم» (١٥)
٢٥٩، ٢٥٧	— «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
٣٤٧	من مثله» (٢٣)
١٠٨	— «فتلقى آدم من ربه كلمات» (٣٧)
٢٧١	— «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله
	جهرة» (٥٥)
١٢٣	— «وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية» (٥٨)
٢٩١	— «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا
	لهم كونوا قردة خاسئين» (٦٥)
٢٩١	— «فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة
	للمتقين» (٦٦)
٢١٢	— «واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
	وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا» (١٠٢)
٢٥٠	— «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها،
	ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» (١٠٦)
١٩٨	— «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله» (١١٥)
١٠٩	— «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا» (١٦٦)
١٥٥	— «فمن اضطر غير باغ ولا عاد» (١٧٣)

- « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين ٩٢
وابن السبيل والسائلين » (١٧٧)
- « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من ٢٣٤
الخيط الأسود من الفجر » (١٨٧)
- « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر ٣٢٩
من اتقى » (١٨٩)
- « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » (١٩٥) ٩٥
- « هل ينظرون إلا أن يأتهم الله فى ظلل من الغمام ٢٠٠
والملائكة وقضى الأمر » (٢١٠)
- « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر » (٢٢٦) ١٢٣
- « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت ٣١٥
الأرض » (٢٥١)
- « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين (٢٨٢) ٣٤٢، ١٥٨

○ سورة آل عمران ○

- « ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب ٧٢ ، ٢٢٥
بالحق » (١ - ٣)
- « منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر ٧٢
متشابهات » (٧)
- « زين للناس حب الشهوات » (١٤) ١٠٩
- « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا ٣١٧
العلم » (١٨)
- « قل اللهم مالك الملك » (٢٦) ١٣٣

- « قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله » (٣٧) ٢١٥
- « ويكلم الناس فى المهذ وكهلاً ومن الصالحين » (٤٦) ٢٧٦
- « ورسولاً إلى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم » (٤٩) ٢٧٦
- « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » (٥٤) ٩٧
- « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » (٩٢) ١١٣
- « كل الطعام كان حلاً لبنى اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه » (٩٣) ١٣٩
- « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين » (٩٦) ٣٥٠
- « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » (٩٧) ٣١٨، ١٣٣
- « قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن ٩٥ تبغونها عوجاً » (٩٩)
- « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » (١٠٢) ٢٥٢
- « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (١٠٤) ١١٣
- « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » (١٠٦) ١٢٤
- « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » (١٢٢) ٧٣
- « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » (١٢٨) ٣٤٣
- « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار » (١٣٦) ٣٥٩

- « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » (١٤٠) ٩٤
- « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين » (١٤٥) ١١٤
- « ولئن قتلتهم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » (١٥٧) ٣٣٥
- « ما كان لنبي أن يغفل » (١٦١) ٢٣٥
- « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم » (١٦٤) ٨٩
- « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا » (١٦٨) ١٤٤
- « ولله ميراث السموات والأرض » (١٨٠) ١٠٠
- « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (١٨٠) ١١٤

○ سورة النساء ○

- « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » (١) ٣٦٣
- « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه » (٤) ٧٤
- « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » (١٥) ٢٥٢، ١٦٠
- « حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن » (١٨) ١٠٨
- « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » (١٩) ٢٣٦، ٩٤
- « ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » (٢٥) ١٦١
- « ولا تقتلوا أنفسكم ... » (٢٩) ١٥٧، (٢٩)
- « وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » (٣٥) ١٦٣

- ١١٥ - « والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب
وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » (٣٧)
- ١٣٩ - « وحسن أولئك رفيقاً » (٦٩)
- ٧٠ - « انفروا ثبات أو انفروا جميعاً » (٧١)
- ١٣٩ - « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً
كثيراً » (١٠٠) .
- ١٦٦ - « وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا
من الصلاة » (١٠١)
- ٣٣٤، ١٠٩ - « أيتنغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً »
(١٣٩)
- ٩٧ - « وهو خادعهم » (١٤٢)
- (١٩٥) - « وكلم الله موسى تكليماً » (١٦٤)

○ المائدة ○

- ٧٥ - « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله » (٢)
- ١٠٨ . - « حرمت عليكم الميتة والدم » (٣)
- ١٣٣، ١٣٠ - « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم » (٦)
- ١٧٣
- ٢٩٥ - « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » (٢٤)
- ١٠٧ - « من لعنه الله وغضب عليه » (٦٠)
- ١٩٦ - « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم » (٦٤)
- ٧٠ - « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما

- بلغت رسالته « (٦٧) »
- « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً » ٩٦
(٧٧) .
- « قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من ٢٨٣
السماء .. » (١١٤)

○ الأنعام ○

- « وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم » ٩٨
(٣) .
- « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (٣٨) ١١٠
- « أو دماً مسفوحاً » (٤٥) ١٠٧
- « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة » (٦١) ١٠٧، ١٨٩،
٣٤٥
- « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » (٨٢) ١١٧
- « لا تدركه الأبصار » (١٠٣) ٢٠٢
- « إلا ما اضطررتم إليه » (١١٩) ١٥٦
- « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » (١٢١) ١٦٨
- « كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يعلمون » (١٢٥) ٩٨

○ الأعراف ○

- « المص ، كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه » ٢٢٥
(٢-١) .
- « ربنا ظلمنا أنفسنا » (٢٣) ١٠٨

- « كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة » ٢٠٦
(٢٩)
- « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام » ١٨٦
ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً
(٥٤) .
- « وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته » (٥٧) ١٣٥
- « إنا لنراك فى ضلال مبين » (٦٠) ٣٣٦ .
- « قال يا قوم ليس بى ضلالة » (٦١) ٣٣٦
- « إنهم كانوا قوماً عمين » (٦٤) ١٤٩ .
- « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم ٣٤٨
من إله غيره » (٦٥) .
- « وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » (٨٩) ٢٠٧
- « الذين كذبوا شعبياً كأن لم يغبوا فيها » (٩٢) ١٤٩ .
- « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها » (١٣٢) ١٠٠
- « فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه » (١٣٥) ٦٨ .
- « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » (١٤٣) ٢٠٤ ، ١٩١ ،
٣٦٠ ، ٢٧٤
- « فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » (١٤٥) ٣٤٤
- « واختار موسى قومه » (١٥٥) ١٤٩ .
- « إذ أتيتهم حيتانهم يوم سبئهم شرعاً ويوم لايسبتون لا تأتيهم ٢٩٢ ، ٢٩١
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » (١٦٣)
- « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » (١٩٨) ٣٤٩

○ الأنفال ○

- ٩٩ - « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » (٥)
- ١٧٢ - « استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم » (٢٤)
- ٣٣٠ - « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا
حجارة من السماء » (٣٢)
- ٣٤٣ - « وإذا يريدكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم
في أعينهم » (٤٤)
- ١١٨ - « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (٦٠)

○ التوبة ○

- ٣٢٩ - « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » (١٠٠)

○ يونس ○

- ٨٣ - « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » (٢)
- ٧١ - « وتحتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب
العالمين » (١٠)
- ٣٣٠ - « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم
أجلهم » (١١)
- ٣٣٠ - « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً »
(١٢)
- ٢٥٩ - « فقد لبثت فيكم عمراً من قبله » (١٦)
- ١١٠ - « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (١٨)
- ٣٦١، ٢٠٣ - « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » (٢٦)
- ٣٧٠ - « ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم » (٢٨)

- « أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله » (٣٨) ، ٢٥٩، ٢٥٧

٣٦٦

- « إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة ٣٤٧
الدنيا » (٩٨) .

○ هود ○

- « أَلر كتاب أحكمت آياته » (١) . ٧٢

- « وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً » ٣٤٧
(٣)

- « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » (٦) ٣٣٩

- « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » ٢٥٧
(١٣)

- « لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون » (٢٢) ٩٨

- « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم » ٣٣١
(٢٣)

- « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن ٢٥٩
تصديق الذي بين يديه » (٣٧)

- « وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء ٢٨٧
وقضى الأمر » (٤٤)

- « قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » ٦٨
(٤٦)

- « يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم » ٣٣٧
(٥٢)

- « وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله » (٥٩) ٣٣٠

٣٣٧ - « يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار » (٩٨)

○ يوسف ○

٢٦٣ - « إنا أنزلناه قرآناً عربياً » (٢)

٣٤٩ - « قال يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » (٤)

١٤٥ - « بل سئلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل » (١٨)

٨١ - « وكذلك مكنا ليوسف في الأرض » (٢١)

٣٥٠ - « واسأل القرية » (٨٢)

○ الرعد ○

١٢٥ - « وهو شديد المحال » (١٣)

٧٨ - « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو - أعمى » (١٩)

○ إبراهيم ○

٢٢٥، ٦٩ - « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » (١)

٢٦٤ - « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » (٤)

٣٤٩ - « قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً » (٣٥)

○ الحجر ○

١٢٥ - « ولقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين » (٢٤)

٧٦ - « قال فما خطبكم أيها المرسلون » (٥٧)

- « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » (٨٧) ٢٤٨

○ النحل ○

- « ومنها تأكلون » (٥) ١٧٠

- « وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس » (٧) ٢١٨

- « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » (٨) ١٧٠، ١٤٥

- « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين » (٥١) ٣٥١

- « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه » (٦٩) ٣٦٦

- « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً » ٨٢
(٧٨)

- « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » (٨٩) ١١٠

- « فلنحيينه حياة طيبة » (٩٧) ٣٤٨

- « وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (٩٨) ١٧١

- « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر » (١٠٣) ٢٦٣

- « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولكن صبرتم هو خير للصابرين » (١٢٦) ٣٤٣

- « واصبر وما صبرك إلا بالله » (١٢٧) ٣٤٣

○ الإسراء ○

- « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » (٧) ١١١

- « وكل شيء فصلناه تفصيلاً » (١٢) ١١٠

- « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها » (١٦) ٣٦١

- « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد » ٣٦٥
(١٨)

- « وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة » (٥٨) ٩١
- « أقم الصلاة لعلك تتقون » (٧٨) ١٥٠
- « ويسألونك عن الروح » (٨٥) ٢٣٧
- « قل لعن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا ٢٦٠، ٢٥٧
القرآن » (٨٨)

○ الكهف ○

- « ولم يجعل له عوجاً » (١) ١٤٦
- « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها » (٧) ١٠٩
- « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » (٩) ٢٩٧
- « إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة » (١٠) ٢٩٧
- « وإذ قال موسى لفتهاه » (٦٠) ٨٤

○ مريم ○

- « وهزى إليك بجذع النخلة » (٢٥) ٩٤
- « وأن الله ربي وربكم فاعبدوه » (٣٦) ١٠٩
- « لأوتين مالا وولداً » (٧٧) ١٣٥
- « واتخذوا من دون الله آلهة » (٨١) ٣٣٣
- « كلا سيكفرون بعبادتهم » (٨٢) ١٠٩
- « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً » (٨٨) ٣٣٢

- ٣٧٠،١٣٥ - « تكاد السموات يتفطرن منه » (٩٠)
 ٣٣٢ - « فإنما يسرناه بلسانك » (٩٧)

○ ط ه ○

- ١٨٨،١٨٦ - « الرحمن على العرش استوى » (٥)
 ٧٩ - « إني أنا ربك » (١٢) (٩٠)
 ٣٦٠،١٩١ - « أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني » (١٤)
 ٣٠٨ - « واحلل عقدة من لساني » (٢٧)
 ١٤١ - « واجعل لي وزيراً من أهلي » (٢٩)
 ٣٤٦ - « قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى » (٦٥)
 ٢١٢ - « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » (٦٦)
 ٢١٣ - « ولا يفلح الساحر حيث أتى » (٦٩)
 ٢٠٤ - « ولا يحيطون به علماً » (١١٠)
 ١٤١ - « فإن له معيشة ضنكاً » (١٢٤)
 - « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » (٢٠٣)
 (١٣٠)

○ الأنبياء ○

- ١١٠ - « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم » (١٠)
 ٣٥٥ - « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (٢٢)
 ١٤١ - « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً رتقاً
 ففتقناهما » (٣٠)

٢٢٠ - « ويدعوننا رغباً ورهباً » (٩٠)

○ الحج ○

١٧٣ - « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » (٢٨)

٣١٨ ، ٧٧ « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم »
(٧٧)

○ النور ○

٢٣٨ ، ٢٣٨ - « الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة » (٣)

٢٣٢ - « والذين يرمون أزواجهم » (٦)

○ الفرقان ○

٩٩ - « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » (١)

٣٣٠ ، ٢٠٧ - « وخلق كل شىء فقدره تقديراً » (٢)

٩٥ - « وقال الذين لا يرجون لقاءنا » (٢١)

٩٠ - « الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم » (٣٤)

٣٣٩ (٤٠) - « ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء »

٣٥٨ - « الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام »

(٥٩)

○ الشعراء ○

٧٦ - « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » (٣)

٢٠٤ - « قال أصحاب موسى إنا لمدركون » (٦)

١٣٦ - « وتنتحون من الجبال بيوتاً فارهين » (١٤٩)

١٠٣ - « وأنذر عشيرتك الأقربين » (٢١٤)

— « والشعراء يتبعهم الغاؤون » (٢٢٥، ٢٤٤) ١٢٩

○ النمل ○

— « طس تلك آيات القرآن وكتاب مبین » (١) ٣٥٢

— « ونودی أن بورك من فی النار ومن حولها » (٨) ٧٩

— « وتفقد الطیر فقال ما لی لا أرى الهدهد أم كان

من الغائبین » (٢٠)

— « فلما جاء سلیمان قال أتمدونن بمال » (٣٦) ٧٧

○ القصص ○

— « لا تقتلوه عسی أن ینفعنا أو نتخذہ ولداً » (٩) ٣٠٩

— « یا أبت استأجره إن خیر من استأجرت القوى الأمین » ٧٧

(٢٦)

— « فلما أتاه نودی من شاطيء الوادی الأيمن » (٣٠) ٧٨

— « واضمم إلیک جناحک من الرهب » (٣٢) ٨٥

— « وأخی هارون هو أفصح منی لساناً » (٣٤) ١٤٢

— « قل فأتوا بکتاب من عند الله هو أهدی منهما أتبعه » ٧١

(٤٩)

— « إنک لاتهدی من أحببت » (٥٦) ٢٣٩

— « وما كانوا إيانا یعبدون » (٦٣) ١٠٩

— « وآتیناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أولى

القوة » (٧٦)

— « کل شیء هالک إلا وجهه » (٨٨) ١٩٨

○ العنكبوت ○

- « من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت » (٥) ٦٩
- « ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه » (٦) ١١١
- « وإن جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ٢٣٩
فلا تطعهما » (٨)
- « إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم ٣٣٩
رزقاً » (١٧) .
- « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » (٤٦) ٩٢
- « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم ٣٥٢
الخاسرون » (٥٢)
- « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لننبئهم من الجنة غرفاً ١٣٦
غرفاً » (٥٨) .
- « ويتخطف الناس من حولهم » (٦٧) ٣٥٠
- « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (٦٩) ٣٢٧

○ الروم ○

- « ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون » (١٢) ١٤٢
- « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون » (١٥) ٨٢
- « ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطعماً » (٢٤) ٣٤٠
- « ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون » (٢٥) ٣٣٣
- « وله المثل الأعلى فى السموات والأرض » (٢٧) ٧١
- « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس » ١١١
(٤١)

○ لقمان ○

- ١٠١ - « ولقد آتينا لقمان الحكمة » (١٢)
 ٩٦ - « ولا تصعر خدك للناس » (١٨)
 ٣٤٩ - « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (٢٥)
 ٢٣٠ - « والبحر يمهده من بعده سبعة أبحر » (٢٧)

○ السجدة ○

- ٢٢٥، ١٤٧ - « ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه » (٢-١)
 ٣٥٨، ١٨٧ - « الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام » (٤)
 ٣٤٦ - « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » (١١)

○ الأحزاب ○

- ١٤٧ - « ولكن ما تعمدت قلوبكم » (٥)
 ٢٥٣ - « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » (٦)
 ١٠٢ - « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم » (٩)
 ٢٠٧ - « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (٣٨)
 ٣٥٣ - « تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً » (٤٤)
 ١٧٥ - « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن » (٤٩)
 ٢٤٠ - « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » (٥٣)

- ٣٥٤ - « إن الله وملائكته يصلون على النبي » (٥٦)
 ١٢٦ - « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال »
 (٧٢)

○ سبأ ○

- ١٠٣ - « وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد »
 (١٠)
 ٣٥٤ - « يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل » (١٣)
 ١٩٤ - « حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم » (٢٣)
 ٧٩ - « وأسروا الندامة لما رأوا العذب » (٣٣)

○ فاطر ○

- ٣٣٣، ١٨٩ - « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً » (١٠)
 ١١١ - « ومن الجبال جدد بيض وحمر » (٢٧)

○ يس ○

- ١٤٢ - « فكذبوهما فعززنا بثالث » (١٤)
 ٢٠٩ - « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » (٤٧)
 ٩١ - « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم » (٦٥)

○ الصافات ○

- ١٢٧ - « يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك » (١٠٢)
 ٢٠٨ - « ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم »
 (١٦٣-١٦٤)

○ ص ○

- ٨٥ - « ص والقرآن ذى الذكر » (١)
 ٣٧٠ - « ووهبنا له أهله » (٤٣)
 ١٣٧ - « فالحق والحق أقول » (٨٤)

○ الزمر ○

- ١١٠ - « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » (٣)
 ٧٤ - « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٩)
 ٢٦١ - « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين » (١١)
 ٣٤٤ - « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » (١٨)
 ٣٣٤ - « أفمن شرح الله صدره للإسلام » (٢٢)
 ٧٣ - « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً » (٢٣)
 ١٥١ - « أليس في جهنم مثوى للكافرين » (٣٢)
 ٣٤٦ - « الله يتوفى الأنفس حين موتها » (٤٢)
 ٣٤٤ - « واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم » (٥٥)
 ٣٥٥ - « ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت
 ليحبطن عملك » (٦٥)

○ غافر ○

- ٢٦٢ - « وقهم عذاب الجحيم » (٧)
 ٢٦٢ - « وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته » (٩)
 ١٠٩ - « وأن الله ربى ربكم فاعبدوه » (٨٥)

○ فصلت ○

- « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » (٢-١) ٢٢٥
— « وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها » (١٠) ٣٥٦
— « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته » (٤٤) ٢٦٣
— « من عمل صالحاً فلنفسه » (٤٦) ١١١

○ الشورى ○

- « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » (٣٠) ١١١

○ الزخرف ○

- « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة » (٣٣) ٣٤٨
— « وإنه لذكر لك ولقومك » (٤٤) ١١٠، ٨٦

○ الدخان ○

- « ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين » (٣٠) ٣٣٣

○ محمد ○

- « فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من عسل مصفى » (١٥) ٣٤٠

○ الفتح ○

- « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » (١) ١٢٨
— « ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » (١٠) ١٩٦، ٧٩
— « قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولى بأس شديد » (٦١) ١٢٦

○ الحجرات ○

- ٨٣ - « إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله » (٣)
٢٤٢ - « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات » (٤)
١٣٧ - « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ » (٦١)
٧٠ - « ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » (١٤)
١٩٦ - « بل الله يمين عليكم أن هداكم للإيمان » (١٧)

○ ق ○

- ١٤٨ - « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » (٢١)
١٥١ - « ونقبوا في البلاد هل من محيص » (٣٦)

○ الذاريات ○

- ٣٢٨ - « إن المتقين في جنات وعيون » (١٥)

○ الطور ○

- ٢٥٧ - « أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون » (٣٤)

○ النجم ○

- ٣٤٣ - « وما ينطق عن الهوى » (٣)
١٥٢ - « وأعطى قليلاً وأكدى » (٣٤)

○ القمر ○

- ١٤٨ - « حكمة بالغة فما تغني النذر » (٥)

٢٠٨ - « إن المجرمين في ضلال وسعر » (٤٧)

٢٠٨ - « ذوقوا مس سقر » (٤٩)

○ الرحمن ○

١٩٨ - « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » (٢٧)

○ الواقعة ○

١٧٧ - « في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون » (٧٩)

○ الحديد ○

١٨٨ - « هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » (٤)

○ المجادلة ○

١٧٣ - « إذا تناجيتم فلا تناجوا بالإثم » (٩)

- « يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة » (١٢) .

○ المتحنة ○

١٨٠ ، ١٣٩ - « لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن » (١٠)

○ الجمعة ○

٢٩٢ - « كمثل الحمار يحمل أسفاراً » (٥)

- « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة »

(٩)

○ المنافقون ○

١١٠ - « والله العزة لرسوله وللمؤمنين » (٨)

○ التغابن ○

٢٠٦ - « هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » (٢)

○ الطلاق ○

٨٦ - « وأشهدوا ذوى عدل منكم » (٢)

○ التحريم ○

٣٤١ - « يا أيها الذين كفروا » (٧)

٦٩ - « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرات لوط » (١٠)

○ الملك ○

١٨٩ - « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض » (١٦)

٧٥ - « والطير صافات ويقبضن » (١٩)

○ القلم ○

٨٧ - « إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين » (١٧)

○ المعارج ○

١٢١ - « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (٤)

○ نوح ○

٩٥ - « ما لكم لا ترجون لله وقاراً » (١٣)

○ الجن ○

١٥٢ - « فزادوهم رهقاً » (٦)

٨٧ - « فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » (٩)

١٠٩، ٨٧ - « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » (١٨)

٣٦٢ - « فلا يظهر على غيبه أحداً » (٢٦)

٣٦٢ - « إلا من ارتضى من رسول » (٢٧)

○ المدثر ○

١٣٧ - « كأنهم حمر مستنفرة » (٥٠)

○ القيامة ○

٢٠٢ - « وجوه يومئذ ناظرة » (٢١-٢٢)

٩٧ - « ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة »

(٢٥، ٢٤)

○ عبس ○

١٧٧ - « في صحف مكرمة » (١٣-١٥)

١٢٢ - « وفاكهة وأباً » (٣١)

○ الانفطار ○

١٣٢ - « لا تملك نفس لنفس شيئاً » (١٩)

○ المطففين ○

٢٠٣ - « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » (١٥)

○ الانشقاق ○

- ١٥٢ - « إنه ظن أن يحور » (١٤)
- « فليُنظر الإنسان مم خلق » (٥)

○ الأعلى ○

- ٢٠٩ - « والذى قدر فهدى » (٣)

○ الفجر ○

- ٢٠٠ - « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » (٢٢)
١٣٨ - « فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد »
(٢٦، ٢٥)

○ العلق ○

- ٢٤٥ - « أرايت الذى ينهى عبداً إذا صلى » (٩)

○ القارعة ○

- ١١١ - « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » (٥)

○ الكوثر ○

- ١٢٨ - « إنا أعطيناك الكوثر » (١)

○ الناس ○

- ١٣٢ - « ملك الناس » (٣)

* * *

□ فهرس الأحاديث والآثار □

○ (١) ○

- ١٢٩ - « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ »
- ١١٨ - « ألا إن القوة الرمي »
- ٢٤٠ - « ألا قد عرفناك ياسودة »
- ٩٠ - « الذي أحشاه على الرجلين في الدنيا »
- ١١٥ - « إلى أقربهما منك باباً »
- ٢٦٨ - « أمتهم كون فيها يا ابن الخطاب »
- ١١٣ - « أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر »
- ١١٧ - « إن أفضل الدعاء الحمد لله »
- ٢٣٧ - « إن الله حرم الزنا »
- ٢٩٥ - « إن الله عز وجل لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً .. الحديث »
- ٢٩٥ - « إن الله لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقباً »
- ٣١٥ - « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه
البلاء »
- ٣١٦ - « إن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده »
- ٩٢ - « إن أول ما خلق الله القلم »
- ٢٣٣ - « انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين العظيم الإيتين »
- ٢٠٣ - « إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر »
- ٣٢١ - « إن لكل شيء قلباً »
- ١١٤ - « إنما الأعمال بالنيات »

- ٢٤٣ - « إنما ذلکم الله الذی مدحه زین وذمه شین »
 ١١٩ - « إن المؤمن یجاهد بسیفه ولسانه »
 ١٢٨ - « إنه أنزلت علیّ آناً سورة »

○ (ب) ○

- ٢٣٥ - « بعث النبی ﷺ جيشاً فردت رایته »
 ٢٦٨ - « بلغوا عنی ولو آية »
 ٢١٨ - « البینة علی المدعی »
 ٢٣٧ - « بینما أنا أمشی مع النبی ﷺ »

○ (ج) ○

- ٢١٣ - « جاء مشرکوا قریش یخاصمون النبی ﷺ فی القدر »

○ (خ) ○

- ١١٩ - « خل عنه یا عمر فهی أسرع فیهم من نضح النبل »

○ (د) ○

- ٣٤٧ - « الدنيا سجن المؤمن وجنة الکافر »

○ (ر) ○

- ٣١٤ - « رأیت ليلة أسرى بی رجالاً تقرض شفاههم »

○ (س) ○

- ٢٣٤ - « سقتنی حفصة شربة عسل »

○ (ص) ○

- ١٦٦ - « صلاة السفر رکعتان تمام غیر قصر علی لسان نبیکم »

١١٧ - « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة »
○ (ط) ○

٣١٤ - « طلاق الأمة تطليقتان »
○ (ع) ○

١١٣ - « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر »
○ (ف) ○

١٩٤ - « فأني علّيتي ببدن من اليمن وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة »
٣٢٠ - « فضلت سورة الحج بسجدين »
○ (ق) ○

٢٣٢ - « قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك »
٢٣٩ - « قدم النبي ﷺ المدينة »
○ (ك) ○

٣١٤ - « كل قنوت في القرآن فهو طاعة »
٢٤١ - « كنت آكل مع النبي ﷺ »
١٧٣ - « كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة »

(ل)

٣١١ - « لا آذن ولا كرامة »
١١٥ - « لا تحقرن من المعروف شيئاً »
١٦٦ - « لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم »
٢٦٨ - « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »
٢٧١

- ٣١٩ - « لا عبادة كالتفكير »
 ٢١٠ - « لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن بأربع »
 ١٦٦ - « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم
 وليلة »
 ٩٣ - « للسائل حق وإن جاء على ظهر فرس »
 ٢٧٧ - « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة »
 ٢٤٥ - « لو دنا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً »
 ٣١١ - « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا »
 ١١٧ - « ليس ذلك إنما هو الشرك »

○ (م) ○

- ٣٢٠ - « ما أنزل القرآن على إلا آية آية »
 ١١٥ - « ما زال جبريل يوصيني بالجار »
 ١٣٤ - « ما منكم من أحد يقرب وضوءه »
 ١٧٠ - « ما منعك أن تحبيني »
 ٢٠٨ - « مجوس هذه الأمة القدرية »
 ١٠٧ - « المغضوب عليهم اليهود »
 ١١٤ - « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته »
 ٣٢٠ - « من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران »
 ١٢١ - « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ »
 ٣٢١ - « من قرأ » اقترب « حاسبه الله حساباً يسيراً »
 ٣٢١ - « من قرأ سورة » ألم نشرح «
 ٣٢٢ - « من قرأ سورة الرحمن »
 ٣٢١ - « من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات »

- ٣٢٢ - « من قرأ سورة الحشر »
 ٣٢١ - « من قرأ سورة حم الجاثية »
 ٣٢١ - « من قرأ سورة سبأ »
 ٣٢٢ - « من قرأ سورة الفتح »
 ٣٢٣ - « من قرأ سورة المزمل »
 ١١٤ - « من كانت نيته طلب الآخرة »
 ١١٦ - « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره »

○ (ن) ○

- ١٦٩ - « نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً ونحن بالمدينة »
 ١٧٠ - « نهي عن لحوم الحمر الأهلية بالمدينة وأذن في الخيل »

○ (هـ) ○

- ١٢٠ - « هجاهم حسان فشفي وأشفي »
 ٣١٣ - « هذا بقية آبائي »
 ٩١ - « هل تدررون مما أضحك »
 ٢٠٣ - « هل تضامون في القمر ليلة البدر »
 ١١٦ - « هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم »

○ (و) ○

- ١٦٠ - « وكيف وقد زعمت أنها أرضعتكما »
 ١١٥ - « والذي نفسي بيده »
 ٢٥٢ - « والذي نفسي بيده لأقضي بينكم »
 ٢٣٨ - « والله لو كانت لك مائة نفس تخرج نفساً نفساً »

○ (ى) ○

- « يا أبا قيس مالك أمسيت طليحاً »
٣٢٠ — « يجاء بصاحبها يوم القيامة »
٣٤٩ — « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة »

* * *

□ فهرس البلدان والأماكن □

○ (أ) ○

رقم الصفحة

١٩٠	أحد
٢٣،٢٢	أريحا
٣٧٢،٤٥،٤٤،٣١،٢٩	اسطنبول
١٥	الإسكندرية
٢١	آسيا الصغرى
٢١	أوروبا
٣٧	إيران
٤٥	إيرلندا
٢٩٤،٢٩٣	أيسلندة
٢٩٤	إيلياء

○ (ب) ○

٢٨	باب زويلة
١٥	باكستان
١٨	بحر آرال
١٧	بحر الظلمات
٣٠	البحيرة
١٩،١٨	بخارى
٢٥٤،٢٣٤	بدر

٣١٦،١٣١

البصرة

٥٤،٤١،٢٢

بغداد

٢٨٨،٢٨٧

البيت العتيق

○ (ت) ○

٣٨،٢١

تبريز

٢٢

تونس

○ (ج) ○

٥٧،٥٦،٥٥،٤٤

الجامع الأزهر

٤٥

الجامع الأموي

١٧

جبال القمر

٢٩٨

جبل بنجلوس

١٧

جدة

٣٠

جرجما

٣٧

الجزائر

١٩٠

الجوانية

٢٩٢،٢٩٠

الجودي

١٤

الجيزة

○ (ح) ○

٤٦،٣٧،٣٥،١٧

الحجاز

١٣٨

الحديبية

٢٨

حلب

١٢٤

حنين

○ (خ) ○

٣٦،٣٥

٤٥

١٨

١٣٨

الخليج العربي

الخليل

خوارزم

خيبر

○ (د) ○

٤٧،١٥

٢١

دمشق

ديار بكر

○ (ز) ○

٤٦

زبيد

○ (س) ○

١٩،١٨

٥٤

٤٢

سمرقند

سنيكة

السودان

○ (ش) ○

٢٩٤،١٣٢،٤٥،٤١،٢١،١٧

٣١

الشام

الشرقية

○ (ط) ○

٢٩٤

٢٩٤

طبرية

الطور

○ (ع، غ، ف) ○

١٨٧،٣٨،٣٧،٣٦	العراق
٢١٩	عرفة
٣١	الغربية
١٢٥	فارس

○ (ق) ○

٤٧	قاسيون
٥٤،٥٠،٣١،٢١،١٨،١٣	القاهرة
٣٠١،٢٥١،٤٥،٢٣،٢٢	القدس
٥٨	القرافة
٤٧،٢١	القسطنطينية
٤١،١٥،١٢	قلعة الروضة
١٩	قونية

○ (ك، ل) ○

٣٥٠، ٢٥٠، ٢١٩	الكعبة
٣١٦	الكوفة
٣٦	لبنان
٢٢	ليبيا

○ (م) ○

٤٤	المدرسة الأشرفية
----	------------------

٤٣	المدرسة الظاهرية
٤٤	المدرسة الغورية
٢٩٤،٢٤٦،٢٣٩،٢٣٧،١٦١،١٦٠،٤٦	المدينة
٢٩٥،٢٩٤	مدين
٣٠،٢١،١٨	مرج دابق
١٨١	مر الظهران
١٩	مرو
٤٤	مسجد محمد أبى الذهب
٥٤،٤٣،٤١،٣١،٢٥،٢٣،٢٢،١٦،١٢	مصر
٢٩٤،٢٧٩،١٢٣	
٤٧	المعلاة
٤٢،٣٨	المغرب
٢٩٥	مقنا
٤٤	مكتبة أحمد الشرايبي
٤٥	مكتبة تشستر بيتى
٤٤	مكتبة الأزهر
٤٥	المكتبة السليمانية
٦٠	مكتبة محمد على صبيح
١٣١،١٢٨،١١٩،١٠٢،٥٣،٤٧،٤٦،٤٤	مكة
٣٥٠،٣٢١،٣٠٢،٣٠١،٢٤٨،٢٤٦،٢٣٧	
٣١	المنوفية
٢١،١٢	الموصل

○ (ن ، هـ) ○

٢١٦ نهاوند

١٧ الهند

○ (ى) ○

٢٠

١٢٥

٣٠٨٤٣٠٧٤٣٠١٤١٧٤٤٣٧٤٣٦٤٣٥٤٢٢٤١٧

يكي شهر

الجمامة

اليمين

* * *

□ القبائل والطوائف والجماعات □

○ (أ) ○

رقم الصفحة	
٢٠،١٩،١٨	الأتراك
١٥٩،١٥٨،٤٨	الأحناف
٣٦	الإسماعيلية
٢٠٥،٢٠٤،٢٠١،١٩٧،١٩٣،١٩٢،١٨٧	الأشاعرة
٢١٥	
٣٨	أصحاب الحلول
٢٥٩،٢١٧،٢١٦	أصحاب الكهف
٣٦٠،١٨٨،١٨٧،٦٣	أهل التأويل
٣٧٤،٣٦٢،٣٨،٣٧	أهل السنة
٢٨٩،٢٨٧،٢٨١،٢٦٨،١٢٥،١٠٧،٩٢	أهل الكتاب
٣٠٩	
١٢	الأيوبيون

○ (ب) ○

٢٧٣،٢٧١،٢٧٠،٢٦٨،٢٢٩،٢١٧،١٣٩	بنو إسرائيل
٢٩٥،٢٩٤،٢٨٣،٢٧٥	
١٢	البحرية
١٣	البرجية
٢٤٣	بنو تميم

١٢٦	بنو حنيفة
١٧	البرتغاليون
٣٦٤،١٠٠	البصريون
٢٣٢	بنو عجلان
٢٤٢،١٠٢	بنو النضير
١٠٢	بنو وائل
○ (ث، ج) ○	
١٢٦	ثقيف
١٤	الجراسية
٣١٥،٣٥	الجهمية
○ (ح، خ) ○	
١٩١،١٦٤،١٦١،١٥٨،١٥٧،٤٧	الحنابلة
٢٠٤،٢٠٢،١٢٥،٣٥	الخوارج
○ (د) ○	
٢٣،٢٠	الدولة البيزنطية
○ (ر) ○	
١٨	الروس
٣٨،٣٦،٣٥	الروافض
١٢٦	الروم
○ (ز) ○	
٣٦	الزيدية

○ (ش) ○

٣٧٢،١٦٤،١٥٩،١٥٨،٤٧

الشافعية

١٠٣،٣٦،٣٥

الشيعة

○ (ص) ○

٢٥

الصفويون

٣٣

الصناع

○ (ع ، غ) ○

٤٥،٣٥،٣١،٣٠،٢٩،٢٤،٢٣،٢٠،١٩

العثمانيون

٣٤٢،١٩٥،٩٥،٤٥

العرب

١٢٢

العمالقة

١٢٦

غطفان

○ (ف) ○

٣١،٢٨

الفلاحون

٣٥

الفلاسفة

○ (ق) ○

٣٣٢

القبط

٢٠٩،٢٠٦

القدرية

٣٣٢،١١٩،١٠٢

قريش

○ (ك) ○

١٩٣

الكلابية

٣٦٤،١٣٦	الكوفيون
○ (م) ○	
١٥٩،١٥٨	المالكية
٣٦٢	المجبرة
١٨٨	المجسمة
٢٠٢	المرجئة
٢٦٢	المشبهة
٢١٣،٢٠٤،٢٠٢،١٩٧،١٩٢،١٩١،٣٥	المعتزلة
٣٦٣،٣٦١،٣٣٠،٢١٥	
٣٥٤،٣٣٢،٢٣٣،٢٤٥،١٩٥،١٩١،٨٨	الملائكة
١٨٨	الملحدة
٥٤٤،٤٠،٣٥،٣٠،٢٨،٢١،١٧،١٣،١٢	الماليك
٣٣	المهندسون
○ (ن) ○	
٣٣	النجارون
١٠٧،٣٤،٢٧	النصارى
○ (هـ ، و) ○	
١٢٦	هوازن
٣٩٣،٢٣٧،١٠٧،١٠٢،٣٤،٢٩،٢٧	اليهود

* * *

□ فهرس □
الكتب الواردة في الرسالة

○ (أ) ○

رقم الصفحة

٢٤٦	الإبانة عن معاني القراءات
٢٢٢	الإتقان
١٩٣	الإرشاد
٤٧	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم
٤٨	الأشباه والنظائر
٤٨	الإقناع
١٥٥،٦٠،٥٠	الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع
٤٥	الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل
١٦٤	الإنصاف

○ (ب) ○

٤٨	البحر الرائق شرح كنز الدقائق
١٢٨	البداية والنهاية
٤٧	البدر الطالع
٣٣٥	البصائر
٤٦	بغية المستفيد بأخبار زبيد
٥٩	البهجة الوردية

○ (ت) ○

- ٨٩ التبصرة في القراءات السبع
 ٣٤٤،١٤٥ التحرير والتنوير
 ٣١٢ تعجيل المنفعة
 ٤٩ التفسير والمفسرون
 ٣١٥،٢٧٢،٢٥٦،٢٥٥ تقريب التهذيب
 ٤٦ تمييز الطيب من الخبيث
 تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث
 ٤٦ الشنيعة الموضوعة
 ٨٩ التيسير في القراءات السبع

○ (ج) ○

- الجنى الدانى في حل ألفاظ حرز الأمانى ٤٥
 ٢٧٢،٢٥٦،٢٣٠،١٠٣ الجرح والتعديل

○ (ح) ○

- ٨٩ الحجة في علل القراءات السبع
 ٤٦ حدائق الأنوار في حدائق الأزهار

○ (خ) ○

- ٣٧٢،٥٩ خلاصة الأثر
 ٢٥٦،٢٥٥ خلاصة تهذيب تهذيب الكمال

○ (د) ○

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور

○ (ز) ○

١٥٧ زاد المحتاج بشرح المنهاج

○ (س) ○

٦١ السراج المنير

٩٢ سنن أبي داود

٩١ سنن الترمذى

١٠٢ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

○ (ش) ○

٤٩،٤٦،١٦ الشذرات

١٩٤ شرح الجوهرة

٦٢ شرح شواهد القطر

٦٢ شرح منهاج الدين

○ (ص) ○

٩٠ صحيح البخارى

٩١ صحيح مسلم

٥٧ صفوة الزيد

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع

والزندقة ٤٧

الصواعق المرسله ٢٠٠

○ (ض) ○

ضياء السارى شرح صحيح البخارى

ضعيف الجامع الصغير ٣١٩

○ (ف) ○

فتح البارى ٢٣٧،١٦٨،١٦٧

فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية ابن مالك ٦٢

الفتح الربانى ٣١٢،٢٢٤

الفتح الربانى في حل ألفاظ تصريف

عز الدين الزنجانى ٦٢

فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن ٦٢

فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام

رب الأرباب ٣٨

○ (ك) ○

الكشاف ٣٣٦،٣٢٠،٢٢٥،١٥٠

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ٨٩

الكواكب السائرة ٥٣،٤٩،٣٢،١٦

○ (ل) ○

لباب النقول في أسباب النزول ٢٣٦

اللباب ٣٦

○ (م) ○

٩٥	مجاز القرآن
٣١٨،٣١٣،٢٤٤،٢٤٣،٢٤٢	مجمع الزوائد
١٥٣	مجمع الأمثال
٨٨	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
٩٣	مسند الإمام أحمد
١٣٧	مشكل إعراب القرآن
٩٤	معاني القرآن
٩٨	معاني القرآن وإعرابه
١٠٢	المغازي
١٦٦،١٥٥،٦٠،٥٠	مغنى المحتاج
	المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات
٤٩	الصفات
١٢٢	مقاييس اللغة
٦٠	مناسك الحج
٤٥	المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد
١٩٢	المواقف
٣١٩،٣١٥	الموضوعات
٣٤٢	المفردات

○ (ن) ○

٨٨	النكت والعيون
٦٢	نور السجية في حل ألفاظ الأجرومية
٤٦	النور السافر في أعيان القرن العاشر

□ فهرس الأشعار □

الصفحة	القافية	المطلع
١٠٣	صلينا	والله لولا
١٢٩	تنزيله	خلوا بنى
١٤٥	حاتم	على حالة
١٤٩	عم	وأعلم علم
١٤٩	الأوتاد	ولقد غنوا
١٥٠	الزعازع	ومنا الذى
١٥٠	تابع	لنا القدم
١٥٠	الأجرب	ذهب الذين
١٥١	معاً	فلما تفرقنا
١٥١	راح	ألستم خير
١٥١	بالإياب	وقد نقتب
١٥٢	يحمد	وأعطى قليلاً
١٥٢	رهقاً	لا شيء ينفعنى
١٥٢	ساطع	وما المرء
١٨٧	مهراق	قد استوى
١٨٧	زور	هما استويا
٢١١	المسحر	فإن تسألينا

* * *

□ فهرس المراجع □

○ (أ) ○

- ١ - الإبانة عن وجوه القراءات للقيسى ، تحقيق د . محى الدين رمضان - دار المأمون الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - دمشق .
- ٢ - أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة - مطبعة دار الكتب - القاهرة . ١٩٧٠ م .
- ٣ - الإتفاق فى علوم القرآن . للسيوطى - الطبعة الرابعة - دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٤ - أحكام القرآن للجصاص - المطبعة البهية المصرية ١٣٤٧ هـ .
- ٥ - أحكام القرآن ، لابن العربى - تحقيق على محمد البجاوى - دار الفكر - بيروت .
- ٦ - الإرشاد ، لإمام الحرمين الجوينى ، تحقيق أسعد تميم ، مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٧ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب . لابن عبد البر ، مطبوع بهامش الإصابة تحقيق د . طه محمد الزينى ، مكتبة الكليات الأزهرية - الطبعة الأولى - القاهرة .
- ٨ - أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن - للعلامة الشنقيطى - توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض .
- ٩ - الأعلام . خير الدين الزركلى - الطبعة السادسة دار العلم للملايين - ١٩٨٤ م بيروت .
- ١٠ - الإفصاح عن معانى الصحاح ، للوزير ابن هبيرة الحنبلى - المؤسسة

السعيدية - الرياض .

- ١١- الأمالي ، لليزيدى - عالم الكتب - بيروت .
١٢- إملاء ما من به الرحمن - للعكبرى - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - بيروت .
١٣- الإنصاف للمرادى - مطبعة السنة المحمدية - الطبعة الأولى - ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م - القاهرة .
١٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوى - مؤسسة شعبان - بيروت

○ (ب) ○

- ١٥- البحر المحيط لأبى حيان - مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .
١٦- البداية والنهاية لابن كثير - مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .
١٧- بداية المجتهد ونهاية المقصد - لابن رشد - الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
١٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . للشوكانى - مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٨ هـ - القاهرة .
١٩- البرهان فى أصول الفقه - لإمام الحرمين الجوينى - تحقيق د . العظيم الديب الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - قطر .
٢٠- البرهان فى علوم القرآن للزرکشى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م - بيروت .
٢١- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - للفيروز آبادى - المكتبة العلمية - بيروت .

○ (ت) ○

- ٢٢- تاريخ الدولة العثمانية . د . على حسون ، المكتب الإسلامى - الطبعة

الثالثة ١٤٠٣ هـ .

٢٣- تاريخ الدولة العلية العثمانية - محمد فريد بك - دار الجليل بيروت
١٩٧٧ م .

٢٤- تاريخ العلماء النحويين ، للقاضي أبي المحاسن المعري . تحقيق . د .
عبد الفتاح الحلو نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١٤٠١ هـ .

٢٥- تبديد الظلام وتنبيه النيام - إبراهيم الجبهان - مكتبة الحرمين - الطبعة
الثانية ١٤٠٠ هـ - الرياض .

٢٦- التبصرة في القراءات السبع . لمكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق
محمد غوث الندوي الدار السلفية - الطبعة الثالثة - ١٤٠٢ هـ
١٩٨٢ م - الهند .

٢٧- التحرير في علم التفسير - للسيوطي . تحقيق د . فتحى عبد القادر
فريد ، دار العلوم - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م -
الرياض .

٢٨- التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر -
١٩٧٤ م .

٢٩- ترتيب لقاموس المحيط - للطاهر الزاوى - دار الكتب العلمية .

٣٠- التصاريف - ليحيى بن سلام . حققته هند شلبي . الشركة التونسية
للتوزيع .

٣١- تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - دار المعرفة - بيروت .

٣٢- التفسير القيم - لابن القيم - جمعه محمد أويس الندوي - دار الكتب
العلمية - بيروت .

٣٣- التفسير والمفسرون . د . محمد حسين الذهبي . دار الكتب الحديثة -
الطبعة الثانية - ١٣٩٦ هـ .

٣٤- تقريب التهذيب - لابن حجر العسقلاني . دار المعرفة - الطبعة الثانية
١٣٩٥ هـ بيروت .

٣٥- التنبهات السنية على العقيد الواسطية . عبد العزيز الرشيد - الطبعة الثانية .

٣٦- تهذيب التهذيب - لابن حجر العسقلاني . الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ
الهند .

٣٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . لعبد الرحمن السعدي - توزيع
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - ١٤٠٤ هـ الرياض

○ (ج) ○

٣٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري - مكتبة مصطفى الباني
الخليبي - الطبعة الثالثة - ١٣٨٨ هـ - القاهرة .

٣٩- الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - مطبعة دار الكتب ١٣٨٦ هـ -
١٩٦٧م القاهرة .

٤٠- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي - الطبعة الأولى - الهند .

٤١- جمهرة أشعار العرب - لأبي زيد القرشي . تحقيق د . محمد الهاشمي . نشر
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ- الرياض .

٤٢- جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك - زياد أبو غنيمة - دار
الفرقان للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - الأردن

○ (ح) ○

٤٣- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع . لابن قاسم العاصمي -
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

٤٤- الحجة في القراءات السبع - لابن خالويه - تحقيق . د . عبد العال
سالم - دار الشروق الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ .

٤٥- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - للسيوطي - مكتبة عيسى
البابى الحلبي - الطبعة الأولى - ١٣٨٧ هـ .

○ (خ) ○

٤٦- خلاصة الأثر - للمحبي - مكتبة خياط - بيروت .
٤٧- خلاصة تهذيب تذهيب الكمال - للحافظ الخزرجي - مكتبة
المطبوعات الإسلامية الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - حلب - سوريا .

○ (د) ○

٤٨- ديوان الأعشى ، دار صادر - ١٩٦٦ م - بيروت .
٤٩- ديوان جرير - بعناية كرم البستاني - دار صادر - ١٩٦٠ م - بيروت .
٥٠- ديوان الفرزدق - مكتبة الثقافة العربية ، بغداد .
٥١- ديوان ليلى بن ربيعة ، دار القاموس الحديث - بيروت .
٥٢- ديوان النابغة الذبياني ، الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٩ م - بيروت .

○ (ر) ○

٥٣- الرسالة - للإمام الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر - دار التراث ،
الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ - القاهرة .
٥٤- الرسالة التدمرية - لابن تيمية - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية .
٥٥- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، لمحمد بن عثمان
القاضي - مطبعة الحلبي - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، القاهرة .

○ (ز) ○

٥٦- زاد المحتاج بشرح المنهاج ، للشيخ الكوهجي ، الطبعة الأولى -

الشؤون الدينية قطر .

٥٧- زاد المعاد في هدى خير العباد ، لابن القيم ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

○ (س) ○

٥٨- السراج المنير في معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، للخطيب الشربيني ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، بيروت .

٥٩- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، لعبد الملك العصامي المكي ، المطبعة السلفية ١٣٨٠ هـ - القاهرة .

٦٠- سنن أبي داود - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٦١- سنن الترمذى ، تحقيق أحمد شاكر ، وغيره ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ .

٦٢- سنن الدارقطني ، تحقيق ، عبد الله المدني ، دار المحاسن للطباعة - القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٦٣- سنن الدارمي ، بعناية محمد أحمد دهمان - دار إحياء السنة النبوية .

٦٤- سير أعلام النبلاء - للإمام الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية - بيروت .

٦٥- السيوطي النحوي ، د . عدنان محمد سلمان ، دار الرسالة - الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ، بغداد .

○ (ش) ○

٦٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي - دار الآفاق الجديد - بيروت .

٦٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، تحقيق . د . أحمد سعد ، دار طيبة للنشر - الرياض .

- ٦٨- شرح جوهرة التوحيد ، للقاني ، دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ ، بيروت .
- ٦٩- شرح السنة للإمام البغوي - تحقيق ، زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ .
- ٧٠- شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، دمشق .
- ٧١- شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل هراس ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، الطبعة الرابعة .
- ٧٢- شرح المعلقات السبع - للزوزني - دار الجيل ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م ، بيروت .
- ٧٣- الشيعة والقرآن ، لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ - لاهور - باكستان .

○ (ص) ○

- ٧٤- الصحاح في اللغة والعلوم - لنديم مرعشلي - دار الحضارة العربية - الطبعة الأولى ١٩٧٥ م - بيروت .
- ٧٥- صحيح البخاري ، المكتبة الإسلامية - اسطنبول - تركيا .
- ٧٦- صحيح الجامع الصغير للألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ .
- ٧٧- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض .
- ٧٨- الصحيح المسند من أسباب النزول - مقبل بن هادي الوادعي - الطبعة الثانية ، دار الأرقم - الكويت .
- ٧٩- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ، عبد الرحمن الدوسري ،

مكتبة دار الأرقم - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ

○ (ض) ○

٨٠- ضعيف الجامع الصغير ، للألباني ، المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية
١٣٩٩ هـ .

○ (ط) ○

٨١- طبقات المفسرين - للحافظ الداوودي - دار الكتب العلمية -
بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .
٨٢- طومان باي آخر سلاطين المماليك . د . عبد المنعم ماجد ، مكتبة
الأنجلو المصرية ١٩٧٨ م .

○ (ع) ○

٨٣- العالم الإسلامي - تأليف عمر رضا كحالة ، الشركة المتحدة
للتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ - دمشق .
٨٤- عجائب الآثار - لعبد الرحمن الجبرتي - دار الفارس - بيروت .
٨٥- العدة في أصول الفقه - للقاضي أبي يعلى ، تحقيق ، أحمد المباركى -
مؤسسة الرسالة ، بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ .
٨٦- العز بن عبد السلام ومنهجه في التفسير ، د . عبد الله الوهيبى ، الطبعة
الثانية ١٤٠٢ هـ .
٨٧- عصر سلاطين المماليك ، ونتاجه العلمى والأدبى . محمود رزق سليم ،
مكتبة الآداب - القاهرة .
٨٨- عقائد السلف ، للأئمة ، ابن حنبل ، البخارى ، ابن قتيبة ،
الدارمى ، تحقيق على سامى النشار ، والطالبي ، منشأة المعارف -
١٩٧١ م - الإسكندرية .

○ (غ) ○

- ٨٩ - غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزرى ، دار الكتب العلمية -
الطبعة الثانية - ١٤٠٠ هـ - بيروت .
٩٠ - الغزو العثماني لمصر - د . محمد عبد المنعم .

○ (ف) ○

- ٩١ - فتح البارى ، لابن حجر العسقلانى - المطبعة السلفية - القاهرة .
٩٢ - الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى - تأليف
أحمد البنا - دار الشهاب - القاهرة .
٩٣ - فتح القدير ، للشوكانى - دار المعرفة - بيروت .
٩٤ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، دار الفكر - ١٤٠٠ هـ
٩٥ - فكرة إعجاز القرآن ، لنعيم الحمصى ، مؤسسة الرسالة - الطبعة
الثانية - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت .
٩٦ - فى الحكم فى الإسلام ، د . مصطفى أبو زيد فهمى - المكتب
المصرى الحديث ..
٩٧ - فى تاريخ العرب الحديث ، د . رأفت الشيخ ، دار الثقافة ١٩٧٧ م -
القاهرة .
٩٨ - فيض القدير للمناوى - دار المعرفة - الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ -
بيروت .
٩٩ - فى ظلال القرآن - لسيد قطب - دار الشروق ، الطبعة الخامسة
١٣٩٧ هـ .

○ (ق) ○

- ١٠٠ - القاهرة ، تأليف شحاته عيسى إبراهيم - دار الهلال - القاهرة .

- ١٠١- القاهرة تاريخها وآثارها ، د . عبد الرحمن زكى - الدار المصرية للنشر والتأليف ١٩٦٦م .
- ١٠٢- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام . د . أحمد مختار العبادى ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م - بيروت .

○ (ك) ○

- ١٠٣- الكافي في فقه الإمام مالك ، لابن عبد البر ، تحقيق د . محمد ولد ماديك ١٣٩٩هـ .
- ١٠٤- الكتاب المصنف ، لابن أبى شيبه ، تحقيق عبد الخالق الأفغانى ، الدار السلفية ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - الهند .
- ١٠٥- الكشاف عن حقائق التنزيل ، تأليف أبى القاسم الزمخشري ، دار المعرفة - بيروت .
- ١٠٦- كشاف القناع عن متن الإقناع ، للشيخ منصور البهوتى - مكتبة النصر الحديثة - الرياض .
- ١٠٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، تأليف : إسماعيل العجلونى ، مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - بيروت .
- ١٠٨- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، للشيخ نجم الدين الغزى ، تحقيق د . جبرائيل سليمان جبور - دار الآفاق الجديدة الطبعة الثانية ١٩٧٩م بيروت .

○ (ل) ○

- ١٠٩- اللآلئ الحسان في علوم القرآن . د . موسى شاهين لاشين . مطبعة الفجر الجديد مصر .

- ١١٠- باب التأويل في معاني التنزيل - للخازن - دار الفكر - بيروت .
 ١١١- باب النقول في أسباب النزول ، للسيوطي ، دار إحياء العلوم -
 الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - بيروت .
 ١١٢- لسان العرب ، لابن منظور - دار صادر ، لبنان .
 ١١٣- لسان الميزان لابن حجر، دائرة المعارف النظامية ، الهند ١٣٢٩ هـ .
 ١١٤- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - للسفاريني ، مؤسسة
 الخافقين ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - دمشق

○ (م) ○

- ١١٥- مباحث في علوم القرآن ، للشيخ مناع القطان - مؤسسة الرسالة -
 الطبعة السادسة ، ١٣٩٨ هـ - بيروت .
 ١١٦- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة
 الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .
 ١١٧- مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني ، تحقيق محمد محي الدين عبد
 الحميد دار القلم - بيروت .
 ١١٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ -
 دار الكتاب العربي بيروت .
 ١١٩- مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب الشيخ ابن قاسم وابنه
 محمد ، ١٣٩٨ هـ .
 ١٢٠- محاسن التأويل ، للقاسمي ، نشر عيسى البابي الحلبي ، الطبعة
 الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م القاهرة
 ١٢١- المحلى ، لابن حزم ، تحقيق أحمد محمد شاكر . دار التراث القاهرة .
 ١٢٢- مختصر الصواعق المرسله لابن القيم - اختصره ابن الموصلي .
 ١٢٣- مراصد الإطلاع لصفى الدين البغدادي تحقيق علي محمد البجاوي

- نشر مصطفى الحلبي طبعة أولى ١٣٧٣ هـ .
- ١٢٤- المسند للإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ .
- ١٢٥- مشكل إعراب القرآن ، لمكي القيسي ، تحقيق ياسين السواس ، طبعة مجمع اللغة العربية ، دمشق .
- ١٢٦- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للشيخ حافظ الحكمي ، مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء الرياض .
- ١٢٧- معالم التنزيل للبعوي - بهامش الخازن ، دار الفكر - ١٣٩٩ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٢٩- معاني القرآن للفراء ، عالم الكتب - الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - بيروت .
- ١٣٠- معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى - بيروت .
- ١٣١- معجم المطبوعات العربية . تأليف يوسف سركيس ، مطبعة سركيس ، ١٣٤٧ هـ القاهرة .
- ١٣٢- المعجم المفهرس لألفاظ الأحاديث النبوية - لمجموعة من المستشرقين ، ليدن ، ١٩٣٦ م .
- ١٣٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية ١٩٨٢ م - تركيا .
- ١٣٤- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون - دار الكتب العلمية - إيران - قم .
- ١٣٥- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - الطبعة الثانية ١٩٧٢ م القاهرة .

- ١٣٦- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، للإمام الذهبي ، حققه
بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ
١٩٨٤ م .
- ١٣٧- مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج - للخطيب الشربيني - مكتبة
الباي الحلبي ١٣٧٧ هـ .
- ١٣٨- المغنى مع الشرح الكبير لابن قدامة ، دار الكتاب العربي - بيروت
١٣٩٢ هـ .
- ١٣٩- مفاتيح الغيب ، للرازي ، المطبعة البهية المصرية - الطبعة الأولى
١٣٥٧ هـ .
- ١٤٠- المفردات للراغب الأصفهاني ، دار المعرفة بيروت .
- ١٤١- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات - لمحمد بن عبد
الرحمن المغراوي دار طيبة . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - الرياض .
- ١٤٢- المقاصد الحسنة ، للسخاوي ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار
الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - بيروت .
- ١٤٣- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ،
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة
الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م القاهرة .
- ١٤٤- الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ بيروت .
- ١٤٥- المنار ، لمحمد رشيد رضا ، دار المنار ، الطبعة الثالثة ١٣٦٧ هـ -
القاهرة .
- ١٤٦- مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، دار
إحياء التراث العربي - بيروت .

- ١٤٧- المنهج الأحمدي في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، لأبي اليمن العليمي ،
عالم الكتب ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م بيروت .
- ١٤٨- المواقف في علم الكلام ، للأبيجي ، عالم الكتب - بيروت .
- ١٤٩- الموضوعات ، لابن الجوزي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان -
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ .
- ١٥٠- موطأ الإمام مالك ، دار الفنائس ، الطبعة السابعة ١٤٠٤ هـ -
بيروت .

○ (ن) ○

- ١٥١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي - مطبعة
دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .
- ١٥٢- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري - دار الكتب العلمية -
الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ بيروت .
- ١٥٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين البقاعي -
الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م حيدرآباد ، الهند .
- ١٥٤- النور السافر في أعيان القرن العاشر للعديد روسي - مؤسسة
الرسالة - بيروت .

○ (هـ) ○

- ١٥٥- هدية العارفين تأليف إسماعيل البغدادي ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة
الثالثة ١٩٦٧ م طهران .
- ١٥٦- هذه هي الصوفية ، تأليف عبد الرحمن الوكيل ، مطبعة السنة
المحمدية - الطبعة الثالثة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ القاهرة .

○ (و) ○

- ١٥٧- وفيات الأعيان ، لابن خلكان . تحقيق . إحسان عباس ، دار

الثقافة ، ١٩٦٨ م بيروت .

○ (ى) ○

١٥٨ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، للثعالبي ، دار الكتب العلمية -
الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

* * *

□ الأعلام □

○ (أ) ○

رقم الصفحة	
١٩٠، ١٠٨	آدم
٣٠٩	آسية
٢١٦	آصف
٦٠	إبراهيم بن علي الشيرازي
١٧٨، ١٧٦	إبراهيم النخعي
١٤٢	إبليس
٣١٢، ٢٤٤	أحمد البنا
٤٦	أحمد بن حجر الهيتمي
١٣٤، ١٢٩، ١٢٨، ١١٧، ١١٣، ١٠٣، ٩٣	أحمد بن حنبل
٢٣٥، ١٩٠، ١٨٠، ١٨٧، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٠	
٣١٤، ٣١٢	
٤٥	أحمد القسطلاني
٣٣٦	أحمد بن المنير
٥٧	أحمد الرملي المنوفى
١٣٩	الأخفش
٣٠٩	أسباط
٢٧٢	أسباط بن نصر
١٢٨	إسحاق (عليه السلام)
١٧٦	إسحاق
٣٠٠، ٢٩٧، ٢٩٤، ٢٨٨، ٢٧٢، ٢٣٥، ١٠٢	ابن إسحاق

١٢٨	إسماعيل (عليه السلام)
٢٨٢	إسماعيل بن عيَّاش
٢١،١٨،١٧	إسماعيل الصفوى
١٢	الأشرف برسبای
١٨٧	ابن الأعرابى
٣١٦،٢٣٧	الأعمش
٢٤٢	الأعور بن بشامة
٢٤٣	الأقرع بن حابس
٣١٨	الألبانى
١٢٤	أبو أمامة
١١١،١٠١	ابن الأنبارى
٣١٢،٢٤٠،١٧٨،١٢٩،١٢٨،٩٧،٩١	أنس بن مالك
٢٥٢	أنيس
٢٠	أورخان
١٧٦،١٧٥	الأوزاعى

○ (ب) ○

٢٣	بايزيد
١٩٢	الباجورى
،٢٣٣،٢٣٢،١٧٢،١٦٦،١٢٩،١٢٨،٩٠	البخارى
٣١٥،٢٥٥	
٢٤٣	البراء
١٣	برقوق
٣١٢	بشر بن نمير البصرى
٢٠٤	ابن بطال

٢٤٧،٢٤٣،٢١٠،١١٠،٨٦،٨٥،٨٤ البغوى

٢٥٠،٢٤٨

٣٢٦،٣٢٤،٨٢،٨٠ البقاعى

٣١٣ بقية بن الوليد

١٧٠،١٢١،١١٩،٣٦ أبو بكر

١٤ بلباى أبو النصر

٣٠٧،٣٠٣،٢١٦ بلقيس

٢٩٩ بيرونس

٢٤٧،٢١٢،١٢٨،٧٢،٧١،٧٠،٦٩،٦٧ البيضاوى

٣٢٢،٣٢١،٣١٨

٣١٩،٣١٣ البيهقى

○ (ت) ○

٣١٤،٣١٣،٢٨٦،٢٤٣،٢٣٧،١٢١،٩١ الترمذى

٣١٧

١٤ ابن تغرى بردى

٢٩٩،٢٩٨ تليخا

٢٢٣،٢١٥،١٨٠،١٦٥،١٢٢،٣٧ ابن تيمية

○ (ث) ○

٣١١ ثابت بن مطرف

٢٢٧ الثعالبى

١٧٧ أبو ثور

١٩٠،١٥٨،٣٧ الثورى

○ (ج) ○

٣١٦،١٧٥،١٧٤،١٧٢،١١٧

جابر رضى الله عنه

١٥،١٤

جان بلاط الجرسكى

٤٢

الجيرتى

٢٧٧،٢٧٦،٢١٧

جريح العابد

٣١٣،٢٨٨،٢٧٩

ابن جريج

٢٣٠

جرير

١٣١

ابن الجزرى

٢٢٨

جعفر الصادق

١٤٦

الجلال المحلى

٢٤٤،٢٣٩،٧٩

أبو جهل

٣١٧،٣١٥

ابن الجوزى

١٩٣

الجوينى

○ (ح) ○

٣١٥،٣١٢،٢٧٢،٢٥١،٢٥٠،٢٣٠،١٠٣

ابن أبى حاتم

١٤٤

حاتم

،٢٧٢،٢٦٩،٢٥٦،٢٥٥،١٦٧،١٦٦

الحارث بن هشام

٣١٤،٣١٢

٣١٥،٣١٣

الحاكم

٣١٥،٣١٣،٣١٢،٢٤٤

ابن حيان

١٧٧

ابن حزم

١٥٢،١٢٠،١١٩

حسان بن ثابت

١٨١،١٧٧،١٧٠،١٢٦،١١٠،٨٤،٨٣	الحسن
٢٤٣،٢٠٠	
٢٤٤	الحسن بن أبي يحيى
٢٨٨	الحسن بن قزعة
٢٩٢	الحسين بن الحسن
٦٢	حسين بن الحسن الحلبي
٣١٦،٣١٥	حفص بن سليمان
١٨١	حكيم بن حزام
٣١٣	الحكيم الترمذي
٧٩	حمزة
٢١٢،١٣٧،١٣٦،١٣٥،١٣٤،١٣٣،١٣١	حمزة الزيات
٢٩٩،٢٩٠	ابن حميد
٣١٥	أبو حميد
١٧١،١٧٠،١٦٦،١٦١،١٦٠،١٥٦،٣٧	أبو حنيفة
١٨١،١٨٠،١٧٧،١٧٦،١٧٥	
٧٩،٧٨	أبو حيان
١٠٢	حيي بن أخطب

○ (خ) ○

٢٤٣،١٢٦،٧٧،٧٦	الحازن
٢١٦	خالد بن الوليد
١٣٣	ابن خالوية
٣١٥	ابن خراش
١٦٦	الخرفي

خصيف بن عبد الرحمن الجزري ٢٣٥

الخليل ١٤٤

خيربك ٣١

○ (د) ○

الدارقطني ٣١٤،١٦٣

أبو داود ٣١٨،٣١٤،٣١٢،٢٣٨،١٢١،٦٨

داود (عليه السلام) ٢٩٣

داود بن أبي هند ٢٢٥

داود بن الحصين ٢٩٤

داود الظاهري ١٧٣

داود بن راشد الطفاوي ٢٥٥

دراج . ٣١٦

أبو الدرداء ٣١٣

دقيانوس ٢٩٧

الدوسري ٢٩٦

دينموس ٣٠٠

○ (ذ) ○

أبو ذر ١٦٦

الذهبي (الإمام) ٣١٥،٣١٤

الذهبي (الدكتور) ٣١٠،٤٩

○ (ر) ○

الرازي ٢١٣،٢٠٥،١٩٢،١٩١،٦٩،٦٨،٦٧

٣٢٣،٢٦١،٢٤٠،٢٢٩

٣٣٥

الراغب

٢٢٣

الربيع بن أنس

١٩٠،١٧٦

ربيعة

٢٧٥

رشيد رضا

١١٩

ابن رداحة

○ (ز) ○

٢٢٧،١٧٣،١٠٠،٩٨،٩٧

الزجاج

٣١٥،٢٥٥

أبو زرعة

٥٧،٥٦،٥١،٤٨،٣٢،١٥

زكريا الأنصارى

،٢٢٣،١٩١،١٤٥،٧٤،٧٣،٧٢،٦٧

الزحشري

٣٢٠،٣١٩،٣١٨

١٢٦،٨٤،٨٣

زيد بن أسلم

٢٤٤،٢٤٣

زيد بن أرقم

٢٥٣

زيد بن خالد الجهني

٤٨

زيد الدين بن إبراهيم

٢٤٢،٢٤٠

زينب بنت جحش

٢٩٤،٢٤٠،١٨٠،١٧٨،١٢١

الزهرى

○ (س) ○

٢١٦

سارية

٣١٥

الساجي

٢٨١

سام بن نوح

٣١٠،٣٠٩،٢٩٤،٢٧٢،٢٣١،٢٢٣

السدى

٢٥٥،٢٤٠،١٧٨	سعد بن أبي وقاص
١١٨	السعدى
٢٩١،٤٨	أبو السعود العمادى
٢٥٥،٢٢٦،٢٢٥،٢٢٣،١٨٧،١٧٠	سعيد بن جبير
٢٨٨	سعيد بن أبى عروبة
١٧٢	أبو سعيد بن العلاء
١٢٧،١٢٢،٣٧	سعيد بن المسيب
١٩٤،١٨٤	السفارينى
٢٨٨	سفيان بن حبيب
٢٩٨	سفيان بن حرب
٢٥٥	سفيان بن وكيع
١٠٢	سلام بن أبى الحقيق
٢٨٣	سلمان
٢٥٩،٢٥٦،٢٥٥	سلمة بن الفضل
٣٥،٢٤،١٨،٧	سليم الأول
٣٠٨،٣٠٧،٣٠٥٣،٢،٧٥	سليمان (عليه السلام)
١٩	سليمان بن عبد الملك
١٩٠	سليمان التيمى
٣١٥	سماك
٢٤١	سودة بنت زمعة
٣٢٥	سيد قطب
٢٦١،٢٤١،٢٣٤،٢٢٢،٨٨،٣١،٢٧	السيوطى
٣٢٧،٣٢٣	

○ (ش) ○

١٧٠،١٦٩،١٦٥،١٦٢،١٥٦،٤٣،٣٧	الشافعي
٢٦٩،١٨١،١٨٠،١٧٨،١٧٧،١٧٦،١٧٥	
٢٤٢	شبرمة بن عمرة
٦٠	أبو شعاع
١٧٠	شرح
٣١٣	شرح بن عبيد
٣٣	ابن أبي شريف
٢٢٧،٢٢٣،١٦٩	الشعبي
٢٨٤	شمعون
٣٥٥،٣٢٩،١٧٣،٤٧	الشنقيطي
٣٥٥،٣٢٩،١٧٣،٤٧	الشوكاني

○ (ص) ○

١٣	الصالح حاجي
٣١٥	صالح بن محمد
٣١١	صفوان بن أبي أمية

○ (ض) ○

٢٩٩،٨٦	الضحاك
--------	--------

○ (ط) ○

٢٣٨	أبو طالب
-----	----------

٣٤٤،٣٣٧،٢٢٤،١٤٥	الظاهر بن عاشور
١٨٠	طاووس
٣١٣،٢٥٥،٢٤٤،٢٤٢،٢٣	الطبراني
٢٢٢،١٢٨،١٢٧،١٢٦،١١٨،٨٤،٨٣،٨٢	الطبرى
٢٨٠،٢٧٣،٢٧٢،٢٦٥،٢٤٤،٢٤٣،٢٣١	
٣١٨،٣١٦،٣١٥،٣٠٧،٢٩٥،٢٨٦	
٢١،١٥،١٤	طومسان باى
○ (ظ) ○	
٤٣	الظاهر بيبرس
○ (ع) ○	
٨٠،٧٩	ابن عادل
١٣	العادل خشقدم
٢٨١	عازر
٣١٤،٣١٣،٢٨٦	أبو عاصم
١٣٦،١٣٢،١٣١	عاصم بن أبى النجود
٢٣٨	أبو طالب
٣٥٤،١٩٨،١٧٨،١٣٧	أبو العالية
٢٩٢	عباد بن يعقوب الأسدى
١٢٢،١٢١،١١٧،١١٤،٨٥،٨٤،٨٣	ابن عباس
١٢٣	
١٩٦،١٨٩،١٦٨،١٦٧،١٦٥،١٦٢،١٢٤	

٢٣٤،٢٣٣،٢٢٩،٢٢٧،٢٢٣،٢١٤،١٩٨

٢٦٦،٢٥٤،٢٤٨

٣١٢ عبد بن حميد

٢٠٣ عبد الله بن جرير البجلي

٣١٣ عبد الله بن خراش

١٣٨،١٣٦،١٣٣،١٣٢ عبد الله بن عامر

٢١٠ عبد الله بن عمرو بن العاصم

٢٩٤،١٣٦،١٣١ عبد الله بن كثير المكي

٢٢٣ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

٦١،٥١ عبد الرحمن بن محمد الخطيب

٤٥ عبد الرحمن بن محمد العليمي

٣١٥ عبد الرحمن بن مهدي

٢٩٢ عبد العزيز بن عبد الغفور

١٠٣ عبد الغفار بن القاسم

٢٣٧ عبد الواحد

٢١٤،١٤٠،١٢٤،١٢٣،١١٢،٩٦،٩٥ أبو عبيدة

٢٦٦،٢٦٥

٢٤١ عتبية بن حصن العزاري

٢٤٠،٣٦ عثمان رضي الله عنه

١٩،١٨ عثمان أرطغرل

٢٣٠ عثمان بن أبي شيبة

٢٩٢ عثمان بن مطر

٦٠ عثمان عبد الرازق

٣١٥ ابن عدي

٢٥٣،١٠٨،٤٣	ابن عربى
٣٤٢،٢٥٣،١٠٨	ابن العربى
٣٢٥	عز الدين بن عبد السلام
٦١	عز الدين الزنجانى
٤٤	العصامى
٢٨٣،١٨٠،١٧٨،١٧٠،١٦٩	عطاء
٢٣٠	عطاء بن السائب
٨٨	ابن عطية
٣١٤،٢٨٥	عطية العوفى
١٦٠	عقبة بن الحارث
٣١٨،١١٧	عقبة بن عامر
١٤٦	العكبى
٢٦٦،٢٣٤،٢٢٩،٢٢٣،١٨٠،١٢٤،١٢٣	عكرمة
٣١٥	
١٩	علاء الدين السلجوقى
٢٣٧	علقمة
٢٥٤،٢١٠،١٧٨،١٧٤،١٦٦،١٢٨،١٢٥	على (رضى الله عنه)
٢٥٥	
٣١٢	على بن زيد بن جدعان
٨٩	أبو على الفارسى
٤٦	على بن محمد بن عراق
٢٩٢،٢٥٦،٢٣٥	على بن المدينى
٢٨٦،٧٩	عمار (رضى الله عنه)

١٠٢	أبو عمار الوائلي
١٨٩، ١٦٧، ١٢٨، ١٢١، ١١٩، ١١٤، ٣٦	عمر (رضي الله عنه)
٢٦٨، ٢٤٠، ٢٣٩، ٢١٦	
١٧٥	عمر بن عبد العزيز
٢٧٢	عمر بن حماد
٨٩	أبو عمر الداني
٢٣٨	عمر بن شعيب
١٣٤	عمر بن عبسة
٣١١	عمر بن قررة
١٣٦، ١٣٢	أبو عمرو بن العلاء
٢٣٧	عناق
٢٣٣، ٢٣٢	عويمر
٢٣٩	عياش بن أبي ربيعة المخزومي
٢٣٠	عيسى بن يونس
٣١٦	أبو غالب القطان

○ (ف) ○

٢٦٣، ٢١١، ١٨٨، ١٤١، ١٤٠، ١١٢	ابن فارس
٣٢٣، ٢٢٣، ١٩٥، ١٤٠، ١١٢، ٩٥، ٩٤	الفراء
١٤٣	الفرزدق
٣٤٧، ٣٠٩	فرعون

○ (ق) ○

٣١٣	القاسم بن محمد
-----	----------------

٢٦٥	القاسم بن سلام
٣٢٩	القاسمي
٢٤٩	القاضي أبو يعلى
٣٢،٢٨،٢١،١٧،١٥	قانسوه الغورى
٢٧	قايتباى
٢٩٣،٢٨٦،٢٤٣،٢٢٩،١٨٠،١٢٣،٨٥	قناده
٢٠٣،٢٩٤	
١٩	قتيبة بن مسلم
١١٢،١٠١	ابن قتيبة
١٧٧،١٦٠	ابن قدامة
٢٤٣،٢٢٩،٢٢٣،١٦٣،١٦٢،٨٨،٨٧	القرطبي
٣٠٠،٢٩٤،٢٨٢	
١٩	قره خان
٢٢٣،١٤٤	قطرب
٨٤	القفال
١٣	قلاوون
٢٣٤	أبو قيس
٢٣٦	أبو قيس بن الأسلت
٢٣٧	قيس بن حفص
٢١٤،١٦٧	ابن القيم

(ك)

٢٢٩،٢٢٤،٢٢٣،١٢٨،١٢٣،١٢٢،١٠٣	ابن كثير
٢٩٦،٢٩٥،٢٨٦،٢٨٢،٢٥٤	

٢٦١	الكرمانى
٢١٢، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٣، ١٣٢، ١٣١، ١٠١، ١٠٠	الكسائى
٣٠٠	كشوطوس
٣٠٨، ٢٣١، ١٢٦، ٨٤	كعب الأحبار
١١٩	كعب بن مالك
٢٧٢، ٢٥٥، ٢٣١، ٢٢٨، ١٩٨، ١٩٦	الكلبى
١٠٢	كنانة بن الربيع

○ (ل) ○

١٨٩	اللالكائى
١٥٢	ليبر
٢١٤	ليبر بن أعصم
١١٧	لقمان
١٠٣	أبو هب
٣١٨	ابن لهيعة
٢٣٠	ليث بن أبى سليم

○ (م) ○

٣١٤، ٣١١	ابن ماجه
٦٢	ابن مالك
٨٨	الموردى
٢٢٣، ١٠١، ٩٩	المبرد
١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٢، ٨٤، ٨٣	مجاهد بن جبر
٢٦٦، ٢٣١، ٢٢٩، ٢٢٢، ١٩٨، ١٩٦، ١٦٢	
٣٠٠، ٢٩٥، ٢٩٣، ٢٧٦	

	المجيبى
٣٧٢،٥٩،٥١	
٥٨	محمد بن أبى بكر المهدي
٢٣٠	محمد بن إسماعيل المخزومي
٢٧٢	محمد بن حميد
٣١٥	محمد بن سوقة
٢٨٢	محمد بن طلحة
٥٨	محمد بن عبد الرحمن الكردى
٢٢٩،٨٥	محمد بن كعب
٣١٣	محمد بن مسعود
١٥٦	محمد السشيبانى
٤٩	محمد المغراوى
٢٠	محمد الفاتح
١٦٥	المرداوى
٣١٢	ابن مردويه
٣٠٠	مرطوس
٢٢٣	المزى
١٥٥	مسروق
٢٥٣،١٨٩،١٧٨،١٧٥،١٢٨،١٢٧،١١٤	ابن مسعود
٣١٥،٢٩٥،٢٤١،٢١٣،١١٦	مسلم
٣١٨	مشرح بن هاعان
٣١٤،٣١٣	مظاهر بن أسلم
١٩٠	معاوية بن الحكم السلمي
٢١١	معبد الجهنى
٣١٢	المغيرة بن حبيب الأذرى

٢٥٣،٢٣١،١٩٠	مقاتل بن حيان
٢٩٩،٢٩٧	مكسلينا
٣١٤،٣١٣	مكى بن أبى طالب القيسى
٣٠٧	المنذر بن عمرو
١٥٧	منصور البهوتى
٣٠٧	موسى
٤٧	موسى بن أحمد الحجاوى
٢٤٢	موسى بن عقبة

○ (ن) ○

٢٧	الناصر بن قايتباى
٣١٤،١٣٨،١٣٣،١٣١	نافع المدنى
١٢	نجم الدين أيوب
٣٠٠	ابن أبى نجيح
٣١٥،٣١٤	النسائى
٥٨	النور الظهوانى
٥٨	النور المحلى
٣٨	النور الطبرى
٢١٢،٦٠	النورى

○ (هـ) ○

١٨١،١٦٦،١٦٥	ابن هبيرة
٢٥٣،٢٠٨،١٧٣،١٦٨،١١٤	أبو هريرة
١٠١،٦٢	ابن هشام
٣١٢	هشام الدستوائى

١٨٠	هند بنت عتبة
١٠٢	هودة بن قيس
٣١٤	أبو الهيثم
٣١٤،٢٥٥،٢٤٢	الهيثمي
○ (٥) ○	
٣١٦،٣١٥،٢٤٠،٢٣٥	يحيى بن سعيد
٣١٢	يحيى بن العلاء
٣١٢	يحيى القطان
٣١٥،٣١٢،٢٧٢،٢٥٦،٢٥٥،٢٣٠،١٠٣	يحيى بن معين
٣١٦	
٣٠٠	يطونس قلوبس
١٧٧،١٥٦	أبو يوسف

* * *

□ فهرس الموضوعات □

رقم الصفحة	الموضوعات
	□ الباب الأول: عصر المفسر وحياته :
	○ الفصل الأول: عصره
١٢	● المبحث الأول : الحالة السياسية والاجتماعية
١٢	دولة المماليك
١٨	الدولة العثمانية
٢٦	الحالة الاجتماعية
٢٦	الحاكم ومعاونوه
٣١	الإدارة المالية
٣٢	القضاة والعلماء
٣٣	عامّة الشعب
٣٤	الأقليات
٣٥	● المبحث الثاني: الحالة الدينية والعلمية
٣٥	الحالة الدينية
٣٥	أهل السنة
٣٦	الشيعة
٣٨	الصوفية
٤٠	الحالة العلمية
٤٣	المدارس والمساجد والمكتبات
٤٥	أبرز علماء عصره

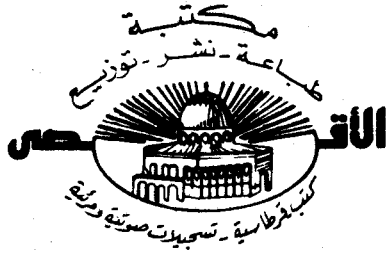
- ٤٩ ○ الفصل الثاني: حياته الشخصية
- ٤٩ ● المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه
- ٥١ ● المبحث الثاني: مولده ونشأته
- ٥٢ ● المبحث الثالث: وفاته
- ٥٣ ● المبحث الرابع: أخلاقه وصفاته
- ٥٤ ○ الفصل الثالث: مكانته العلمية والاجتماعية
- ٥٤ ● المبحث الأول: طلبه للعلم
- ٥٦ ● المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه
- ٦٠ ● المبحث الثالث: ثقافته وآثاره العلمية
- ٦٣ ● المبحث الرابع: مذهبه
- ٦٤ ● المبحث الخامس: الوظائف التي تولاهها
- ٦٥ □ الباب الثاني: منهجه في التفسير
- ٦٦ ○ الفصل الأول: مصادره في تفسيره
- ٦٧ ● المبحث الأول: مصادره في التفسير
- ٦٧ ١ - كتب التفسير بالرأى
- ٨٢ ٢ - كتب التفسير بالمأثور
- ٨٩ ● المبحث الثاني: مصادره في القراءات
- ٩٠ ● المبحث الثالث: مصادره من كتب السنة
- ٩٤ ● المبحث الرابع: مصادره من كتب اللغة
- ١٠٢ ● المبحث الخامس: مصادره من كتب السير والتاريخ
- ١٠٥ ○ الفصل الثاني: طريقته في تفسير الآيات
- ١٠٧ ● المبحث الأول: تفسير الآيات بنظائرها من الآيات الأخرى
- ١١٣ ● المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة

- المبحث الثالث : جمعه بين التفسير بالمأثور عن الصحابة
والتابعين والتفسير بالرأى . ١٢١
- المبحث الرابع : القراءات ١٣٠
- تعريف القراءات ١٣٠
- فوائد الاختلاف في القراءات ١٣٠
- المبحث الخامس : عنايته باللغة ١٣٩
- الفصل الثالث : اهتمامه بالأحكام الفقهية ١٥٥
- الفصل الرابع : آراؤه في بعض مسائل العقيدة ١٨٣
- المبحث الأول : موقفه من تفسيرات آيات الصفات ١٨٤
- صفة الاستواء ١٨٦
- صفة الكلام ١٩١
- صفة اليد ١٩٦
- صفة الوجه ١٩٨
- صفة المجيء ٢٠٠
- صفة الغضب ٢٠١
- رؤية الله في الآخرة ٢٠٢
- المبحث الثانى : موقفه من القضاء والقدر ٢٠٦
- المبحث الثالث : موقفه من السحر وكرامات الأولياء ٢١١
- أولاً : السحر ٢١١
- ثانياً: كرامات الأولياء ٢١٥
- الفصل الخامس : اهتمامه بعلوم القرآن ٢٢١
- المبحث الأول : الحروف المقطعة في أوائل السور ٢٢٢
- المبحث الثانى : أسباب النزول ٢٣٢
- المبحث الثالث : الأحرف السبعة والقراءات السبع والمكى والمدنى ٢٤٦

- المبحث الرابع : النسخ في القرآن ٢٤٩
- المبحث الخامس : إعجاز القرآن ٢٥٧
- المبحث السادس : موقفه من التكرار في القرآن ، وما قيل : ٢٦١
إن فيه من غير لغة العرب .
- الفصل السادس : موقفه من الإسرائيليات والأحاديث ٢٦٧
الضعيفة والموضوعة .
- المبحث الأول : موقفه من الإسرائيليات ٢٦٨
- الإسرائيليات في قصة طلب بنى إسرائيل ٢٧١
رؤية الله جهرة .
- الإسرائيليات في معجزات عيسى عليه ٢٧٦
الصلاة والسلام .
- الإسرائيليات في قصة المائدة ٢٨٣
- الإسرائيليات في قصة الطوفان ٢٨٧
- الإسرائيليات في قصة أصحاب السبت ٢٩٢
- الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف ٢٩٧
- الإسرائيليات في قصة سليمان مع الهدهد ٣٠١
- الإسرائيليات في أصل عقدة لسان ٣٠٨
موسى عليه الصلاة والسلام .
- المبحث الثاني : موقفه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٣١١
- الفصل السابع : عنايته بالمناسبات والنكت التفسيرية ٣٢٣
والمشكلات القرآنية .
وفيه مباحث :
- المبحث الأول : عنايته بالمناسبات ٣٢٤

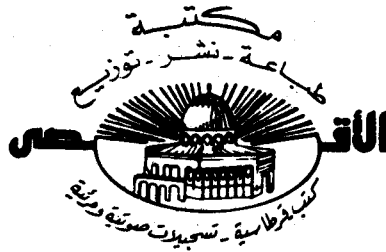
٣٣٥	● المبحث الثاني : عنايته بالنكت التفسيرية
٣٤٢	● المبحث الثالث : عنايته بالمشكلات القرآنية
٣٥٩	○ الفصل الثامن : موقفه من بعض المفسرين الذين سبقوه
٣٥٩	موقفه من الزمخشري
٣٦٣	موقفه من البيضاوي
٣٦٦	موقفه من الرازي
٣٦٩	: الخاتمة □
٣٦٩	قيمة تفسيره العلمية
٣٧٢	النتائج والاقتراحات
٣٧٧	الفهارس

* * *



من مطبوعات مكتبة الأقطر

- ١ - أرباح البضاعة في فوائد صلاة الجماعة . الشيخ عبد الله بن جار الله .
- ٢ - أعلام السنة المنشورة . الشيخ حافظ بن أحمد حكيم .
- ٣ - الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة . الأستاذ / محي الدين القرة داغي .
- ٤ - التليفزيون .. السم اللذيذ . الأستاذ / عبد السلام البيوني .
- ٥ - الجهاد في أفغانستان .. عبر وبصائر . د. عبد الله عزام .
- ٦ - جامع العلوم والحكم . ابن رجب الحنبلي .
- ٧ - الحرب .. المبادئ والأدوات . عقيد أ.ح مصطفى أحمد كمال .
- ٨ - الخطيب الشريني ومنهجه في التفسير . ثقييل بن ثاير الشمري .
- ٩ - دراسات حول القرآن . د. الطحان .
- ١٠ - زاد المسلم اليومي . الشيخ عبد الله بن جار الله .
- ١١ - العسكرية الإسلامية في جيش الرسول . عقيد أ.ح مصطفى أحمد كمال .
- ١٢ - الفتاوى النسائية . الشيخ محمد بن صالح العثيمين .
- ١٣ - فريضة الله في الميراث والوصية . د. عبد العظيم الديب .
- ١٤ - فصل النزاع في أن مكة أفضل البقاع . الشنقيطي .
- ١٥ - كيفية صلاة النبي ﷺ . الشيخ عبد العزيز بن باز .
- ١٦ - الهجرة النبوية بين التحليل والتعليل . الأستاذ / رشدي محمد إبراهيم .
- ١٧ - الموقفه من السنة على ألا بدعة حسنة . الشنقيطي .
- ١٨ - اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام . الشيخ عبد السلام البيوني .
- ١٩ - يا بنتي . الشيخ علي الطنطاوي .



الطبعة الأولى: ١٩٩١

الطبعة الثانية: ١٩٩١

١- مقدمة

٢- مفهوم الترخيم الدولي

٣- أهمية الترخيم الدولي

٤- أهداف الترخيم الدولي

٥- مبادئ الترخيم الدولي

٦- أنواع الترخيم الدولي

٧- إجراءات الترخيم الدولي

٨- فوائد الترخيم الدولي

٩- خاتمة

١٠- مراجع

١١- ملحق

١٢- قائمة المراجعين

١٣- قائمة المؤلفين

١٤- قائمة الناشرين

رقم الإيداع : ١٩٩١/٤٨٦١
I.S.B.N
977-00-7621-7 : الترقيم الدولي

